تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



مصر وفلسطين

فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن هـ.م

د. أحمد محمد عبد الحليم دراز



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٣

الاشراف الفنى :

محمود الجزار

تقـــديم

يسرنى أن أقدم للقـارىء الكريم هذا الكتـاب عن « مصر وفلسـطين » فيما بين (القرنين الحـادى عشر والثامن ق٠م) للدكتور أحمد محمد عبد الحليم دراز ، وهو فى الأصل رسـالة علمية حصل بها صاحبها على درجة المـاجستير فى التاريخ القديم ، وبالتالى تتوافر فيه الشروط العلميـة التى تجعل منه دراسـة تاريخية جديرة بالقراءة ٠

وهو ينقسم الى خمسة فصول ٠ الفصـل الأول وهو بعنوان « مصر وفلسطين قبيل القرن الحـادى عشر ق٠م » وتحدث فيه أولا عن الأحوال الداخلية لمصر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كما تحدث أيضـا عن الأحوال الخارجية لمصر وعلاقة مصر بغرب آسـيا وشعوب البحر ، وثانيـا تعرض لجغرافيـة فلسطين السياسية وبدء الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ٠

أما الفصل الثانى وهو بعنوان « الانقسام المصرى والملكيـة الاسرائيلية » ، فقد تعرض فيه الى الأحوال الداخلية لمصر فى عصر الأسرة الحادية والعشرين من الناحيـة السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة ، وتعرض أيضـا الى الملكية الاسرائيلية ، وعلاقـة الاسرائيليين والفلسطينيين والأدوميين فى عصر الملكية ، كما تعرض لعلاقة مصر واسرائيل وزواج سليمان من أميرة مصرية ، وتنـاول الغزو المصرى لفلسطين ٠

وفى الفصل الثالث وهو بعنوان مصر وفلسطين من منتصف « القرن العاشر حتى نهاية القرن التاسع ق٠م » ، وتحدث عن قيام الأسرة الثانية والعشرين وأحوال مصر الداخلية من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تحدث عن العبريين بعد سليمان ، وعوامل انقسام المملكة ٠ كذلك تعرض لمصر وفلسطين فى عهد وبعد شاشانق الأول حتى نهاية القرن التاسع ق٠م ٠

وقد تناول فى الفصل الرابع ، وهو بعنوان « مصر وفلسطين فى ظل السيادة الآشورية » الأحوال الداخلية فى مصر ، والغزو الكوشى ، وقيام الأسرة الخامسة والعشرين ٠ كذلك تناول الأحوال الداخلية فى فلسطين ، والسيادة الآشورية على بلاد الشام ٠

أما الفصل الخامس والأخير وهو بعنوان « التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين » ، فقد تحدث فيه عن تبادل عبادة الالهة بين مصر وفلسطين ، والفكر الدينى ، والأدب ، والعمارة ، والفن ٠

وأملى أن ينتفع بهذه الدراسة الباحث المتخصص والقارىء المثقف ٠

رئيس التحرير

د٠ عبد العظيم رمضان

قائمـــة الاختصـــارات

A.E.O. :

Gardiner, A.H., *Ancient Egyptian Onomastica*, 2, Vols, Oxford, 1927.

A.J.S.L. :

American Journal of Semitic Languages and Literatures.

A.N.E.T. :

Pritchard, J, (ed) *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament,* Princeton 1969.

A.O. :

Archiv Orientalni.

A.R.A.B. :

Luckenbill, D.D., *Ancient Records of Assyria and Rabylonia* 1926 — 7.

A.S.A.E. :

Annales du sérvice des Antiquités de L'Egypte.

B.A. :

Biblical Archaeologist.

B.A.R. :

Breasted, J.H., *Ancient Records of Egypt*, **5 Vols.**, Chicago, 1906 — 07.

B.A.S.O.R., :

Bulletin of the American Schools of Oriental Research.

B.I.F.A.O. :

Bulletin de L'Institut francais d'archedogie Orientale.

C.A.H. 3. :

Cambridge Ancient History, (3rd ed.). 2 Vols, 198[illegible]

C.d.E. :

Chronique d'Egypte.

J.E.A. :

Journal of Egyptian Archaeology.

J..E.S. :

Journal of Near Eastern Studies.

P.E.Q. :

Palestine Exploration Quarterly.

P.M. :

Porter B, and Moss, R., *Opographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and paintings,* 7 Vols., Oxford, 1927 — 57.

Third Intermediate :

Kitchen, K.A., *The Third Intermediate Period in Egypt (1100 — 650 B.C.)* 2nd edition, Warminster. 1986.

V.T. :

Vetus Testamenium.

Z.A.S. :

Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde.

مقدمـــة

كان الدرس الذى تعلمته مصر من احتلال الكهسوس درســا قاسيا ، فلما جاء يوم الخــلاص واستطاعت طرد العدو من البــلاد أدرك أحمس ، الذى تتبع فلولهم فى فلسطين ، أنه لا اطمئنان لمصر الا بالقضاء عليــه ، فحاصر مدينة « شاروحين » (تل الفراعنــة) ثلاث سنوات حتى سقطت فى يده ٠

رأى المصريون أن الخطر قد جاءهم من الحدود الشرقيــة ، فأخذوا يبعدون كل خطر محتمل عن تلك الحدود ، وقادهم النصر الى نصر على أيدى فراعنتهــا المحــاربين ، حتى دانت لمصر بلاد الشام حتى أعــالى نهر الفرات ، وانتشرت الحاميــات المصرية فى المدن المختلفــة ، وأقام الموظفون المصريون فيها ، كما كثرت زيارات زعماء البــلاد لمصر عندما كانوا يأتون بالجزيــة أو لتحية الجالس على العرش ، فازدادت معرفتهم بمصر وثقافتهــا ودينها كما زادت معرفة مصر ببلادهم وأقبلوا على بعض مظاهر الحضارة فيها ٠

كانت هذه الامبراطورية تحتاج دائما الى نفقات ، وتحتــاج دائما الى جيوش للحفــاظ عليها ، فمن المعروف ان الناس فى كل زمان ومكان يقدســون حريتهم ، ولهذا فكثيرا ما قامت الثورات بين شعوب غرب آســيا ، وكان على الفراعنــة أن يسارعوا باخمادها ،

كما كان عليهم أن يكثروا من ارسال الهدايا الثمينة الى الحكام الموطنيين ليضمنوا ولاءهم ويحولوا دون خروجهم على حكم مصر ٠

سارت أحوال الامبراطورية فى فلسطين وسوريا بين مد وجزر ، فمن صراع مع الميتانيين فى أعالى الفرات خلال النصف الأول من الأسرة الثامنة عشرة الى قتال مع حيثيي آسيا الصغرى خلال النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة والنصف الأول من الأسرة التاسعة عشرة ، الى دفاع مستميت عن مصر ذاتها ضد هجمات الجماعات الليبية من الغرب وشعوب البحر من الشرق والغرب فى أواخر الأسرة التاسعة عشرة وبدايات الأسرة العشرين ، مما أنهك قوى البلاد الاقتصادية وبدأت مصر تنسحب داخل حدودها وشغلت بأحوالها الداخلية المضطربة وبدأ العمال يضربون عن العمل لعجز الخزانة عن دفع المرتبات ، وارتفعت الأسعار ، ومرت على مصر فترات كادت تتفكك فيها وحدتها ، ثم لا تلبث أن تقوم من كبوتها ، كان لكهان آمون فى تلك الأيام الكلمة العليا والثروة المكدسة ، وزاد تأخر البلاد وضاعت هيبة مصر فى آسيا وفى رحلة (ونأمون) خير دليل على تلك المأساة ، ولكن رغم زوال نفوذ مصر السياسى ظل لها بعض نفوذها الدينى والثقافى ٠

كانت فلسطين فى تلك الوقت قد عادت الى ما كانت عليه ، من تقسيمها الى دويلات صغيرة ، ثم نشأت مملكة العبريين تحت حكم بيت « داود » فى جزء من فلسطين وجاورهم « البلست » والكنعانيون/الفنيقيون والادرميون والمؤابيون ، وبالرغم من أن مصر لم تكن فى قوتها القديمة فانها كانت ذات أثر فعال فى توجيه سياسة فلسطين ، وكان سليمان على صلة كبيرة بمصر حتى أنه تزوج من أميرة مصرية ، وقد لعبت مصر بعد موته دورا كبيرا ازاء ما أصاب دولته من شقاق ، ولم تنجح دويلة من دويلات فلسطين فى البقاء ، الا من كانت تساندها مصر وتضفى عليها حمايتها ٠

ضعفت الأسرة الحادية والعشرون وتلتها الأسرة الثانية والعشرون ، فأعاد بعض ملوكها الكرة على فلسطين ، ونجحوا فى استعادة نفوذ مصر هناك ولو الى حين ، فى ذلك الوقت كانت آشور قد بدأت تدخل فى دور جديد ، وراحت ترمى بأبصارها نحو سوريا وفلسطين ، وكان لابد لها ان تصطدم بمصر اذا نجحت فى تنفيذ سياستها .

فى ذلك الوقت كان يحيط بمصر خطر آخر من جهة الجنوب ممثلا فى مملكة « نباتا » التى بدأت ترنو ببصرها نحو شمال الوادى ، وتم لها ما أرادت فى عهد الملك « باى » وفى عهد خلفائه من اسرته حدث الصدام بين مصر وآشور وانتهى الأمر بوقوع مصر فريسة لحكم الآشوريين .

رغم تشابك العلاقة بين مصر وفلسطين فى هذه الفترة ، فانها لم تحظ بما تستحقه من اهتمام ولم تقدم عنها حسب علمنا ، دراسة مستقلة بذاتها ، وانما اقتصر الأمر على دراسات متفرقة فى الكتب والأبحاث التى تناولت تاريخ مصر وتاريخ بلاد الشام القديم كل على حدة وتناولت علاقة مصر ببلاد الشام أو غرب آسيا ككل ، وحتى اذا اقتصر البعض على فلسطين ، تناول شعبا واحدا من شعوبها المتعددة ، وربما ترجع صعوبة دراسة علاقة مصر وفلسطين ككل الى أن الأخيرة كانت دائما مسرحا لسلسلة من الهجرات والغزوات مما حال دون وجود فرصة لاقامة دولة قوية مستقرة ، ويرجع ذلك فى المقام الأول الى موقع فلسطين الجغرافى والذى جعلها بمثابة ميدان للمطامع والمنافسات التجارية والسياسية والحربية للدول الكبرى المحيطة بها فى مصر وبلاد الرافدين وآسيا الصغرى ، لذلك كان من الصعب تناول فلسطين كدولة ذات سيادة وحضارة متميزة حيث كانت حضارتها خليطا

من حضـارات الشعوب التى استقرت فيها ، بالاضافـة الى تأثير حضارتى مصر وارض الرافدين ٠

من هنا اقترح على أستاذى عمل دراسـة عن العلاقـة بين مصر وفلسطين ككل بحدودها الجغرافيـة وشعوبها التى استقرت فيها ، وكانت هذه هى الفكرة التى من خلالها تم اختيـار موضـوع هذا البحث مع قصر مداه الزمنى على أربعـة قرون « من القرن الحـادى عشر حتى القرن الثـامن ق٠م » ، وهـذه الفترة تمثل تقريبا ما اصطلح المؤرخون على تسميته (عصر الانتقال الثالث) التى لم تكن بأى حـال فترة زاهيـة فى تاريخ مصر ، مما أتـاح لدويلات فلسطين وغيرها فرصـة الاستقلال ، وهنا أردنا أن نبرز محاولات مصر رغم ضعفها الاقتصـادى والسـياسى والعسـكرى ، استمرار سيطرتها على فلسطين ، مما يوضح أهمية الأخيرة لحماية حدود مصر من ناحية الشرق ٠

وقد اسـتعان الباحث بالمنهجين الوصفى التحليلى والمقـارن متوخيا قدر الامكان الحيطة والحذر فى استخلاص النتائج التى ليس لها سند مصـدرى وقد جاءت الدراسـة فى خمسة فصـول مرتبة فى معظمها ترتيبا زمنيا على النحو التالى :

الفصـل الأول : مصر وفلسطين قبيل القرن الحـادى عشر ق٠م ٠

الفصـل الثانى : الانقسـام المصرى والملكيـة الاسرائيليـة (من القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن العاشر ق٠م) ٠

الفصـل الثالث : مصر وفلسطين من منتصف القرن العـاشر حتى نهاية القرن التاسع ق٠م ٠

الفصل الرابع : مصر وفلسطين فى ظل السيادة الآشورية (بداية القرن الثامن حتى الرابع الأول من القرن السابع ق٠م) ٠

الفصل الخامس : التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين ٠

تناول الباحث فى الفصل الأول الأوضاع فى مصر وفلسطين قبيل القرن الحادى عشر ق٠م ، فتعرض لأحوال البلدين الداخلية وانعكاسها على العلاقات الخارجية ، فتعرض لحالة مصر الاقتصادية والاجتماعية وما آلت اليه من انهيار وأسباب ذلك وانعكاسه على حالتها السياسية مما أدى الى ضياع سلطة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة ، وتأثير هذه الأحوال ذاتها على سياسة مصر تجاه غرب آسيا ، وفقدانها لاملاكها هناك ، ثم موقف مصر من شعوب البحر ونجاح « مرنبتاح » و « رمسيس الثالث » فى وقف تقدمهم صوب مصر ، وان سمح الأخير لبعض قبائلهم بالاستقرار فى بقاع من مصر وفلسطين ، مما سيكون له أكبر الأثر على المجتمع المصرى فيما بعد ٠

أما فلسطين فقد تناول الباحث جغرافيتها السياسية ، موضحا أهم الشعوب التى استوطنتها خلال تلك الفترة ، متتبعا تاريخ كل شعب ومناطق نفوذه ، ومحاولة كل منها مد سيطرته على حساب الآخر مما سيكون سببا لاندلاع الصراعات فيما بينها ٠

فى الفصل الثانى عالج الباحث الانقسام المصرى وقيام الملكية الاسرائيلية ، فتعرض لأحوال مصر الداخلية خلال عصر الأسرة الحادية والعشرين موضحا استمرار تدهورها الاقتصادى والاجتماعى وانعكاس ذلك على حالتها السياسية ، حيث انقسمت مصر واقعيا الى مملكتين ، « بيت نسبا نب جد » فى الشمال

وعاصمتها « تانيس » ، وبيت « حريحور » فى الجنوب وعاصمتها « طيبة » ، واوضح الباحث سياسة كل من البيتين تجاه الآخر وأثر هذه السياسة على وحدة العرش المصرى ، وأثر هذه الأحوال الداخلية على سياسة مصر تجاه فلسطين .

أما فلسطين فقد استعرض الباحث عوامل قيام الملكية الاسرائيلية ، ومفهومها فى اسرائيل مع محاولة مقارنة هذه الملكية بملكية بلاد الرافدين لابراز ما تميزت به الملكية الاسرائيلية وما أخذته عنها ، ثم أوضح الباحث الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، وبين الاسرائيليين والآدوميين مبينا أسبابه وشارحا نتائجه ، وموضحا موقف مصر منه ، وأخيرا تناول الباحث علاقة مصر السياسية باسرائيل وزواج سليمان بأميرة مصريةموضحا أهمية هذه الزيجة ونتائجها للجانبين المصرى والاسرائيلى ، واختتم هذا الفصل بغزو مصر لفلسطين فى عهد الملك « سيأمون » صهر سليمان .

فى الفصل الثالث ناقش الباحث علاقة مصر بفلسطين من منتصف القرن العاشر حتى نهاية القرن التاسع ق.م ، وتشير بداية هذا الفصل الى قيام الأسرة الثانية والعشرين حيث تناول الباحث أحوال مصر الداخلية فى عصر هذه الأسرة مبرزا وحدة مصر الشكلية فى عهد مؤسسها وأثر ذلك على سياستها تجاه فلسطين حيث كانت حملة « شاشانق الأول » ، فأبرز الباحث أسباب هذه الحملة ونتائجها ، وما أصاب مصر من انقسام بعد موت قائدها .

أما فلسطين فقد تعرض الباحث لأحوال العبريين بعد سليمان وانقسام مملكتهم واستعادة ممالك أخرى فى فلسطين لسيادتها مثل

« أدوم » وغيرها مما هيأ الفرصـة لنجـاح حملة شاشانق الأول على فلسطين ٠

وقد تناول الباحث فى الفصـل الرابع علاقة مصر بفلسـطين فى ظل السيادة الآشـورية ، فتعرض لأحوال مصر الداخليـة وما أصاب وحدتها السياسية من تفتت والذى مر بمراحل تاريخيـة متباينة سواء فى مصر العليـا أو السفلى ، وانعكاس هذه الأوضاع على مركز مصر بين جيرانها ووقوعها فريسة لهؤلاء الجيران خاصـة الكوشيين من جهة الجنوب ، لذلك ألقى الضـوء على قيام مملكة نباتا ومحـاولة ملوكها مد نفوذهم شـمالا صـوب مصر وموقف « تف نخت » من هذا الغزو ، ونتائج ذلك ثم تعرض الباحث لأحوال فلسطين الداخليـة وما نشب بها من صراعات بين ممالكها المختلفة مما أعطى الفرصـة لقوة آشور الطاغية من بسط سيادتها على بلاد الشام فى عهد « تيجلات بيلسر الثالث » ثم مواصلة كل من « سرجون » الثـانى وابنه « سناحريب » ما بداه سلفهما من توطيد سيطرتهما على بلاد الشام ، وموقف مصر من الغزو الآشورى، ثم ناقش الباحث باسهاب مشكلة الملك (؟) سـوا ، مفندا بعض الآراء ومؤيـدا بالأدلة بعضهـا الآخر واختتم الفصـل بالغـزو الآشـورى لمصر ذاتها على يد « اسرحدون » ووقوع مصر فريسـة للحكم الآشـورى ٠

أما الفصـل الخامس والأخير فقد أفرده البـاحث للتأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين من خلال خمس نقاط ، الأولى تبادل عبـادة الالهة بين مصر وفلسـطين حيث ذكر الباحث بعض الالهـة الفلسطينية التى عبدت فى مصر وارتبطت ببعض الالهـة المصرية لاتفاقهما معها فى طبيعتها وبعض الالهة المصرية التى عبدت فى

فلسطين ، أما النقطة الثانيــة فهى ، الفكر الدينى حيث تنــاول الباحث الفــكر الدينى فى بلاد الشرق الأدنى القديم بصفة عامــة وما تميزت به مصر عن غيرها ، وما انفرد به العبريون فى فكرهم الدينى عن بقيــة شعوب الشرق الأدنى وهل كان لمصر أثر فى هذا ؟ ، وقد تنــاول الباحث ذلك التــأثير من خــلال أنشودة اخنــاتون والمزمور ١٠٤ ، والسحر ، أما النقطة الثالثة فهى الأدب وقد تضمن الشعر وأدب الحكمــة وقد أبرز الباحث أثر مصر الواضح فى هذين المجالين على فلسطين من خلال ابراز مميزات الشعر المصرى وأقسامه ومقارنة ذلك بالشعر الكنعــانى والشعر العبرى ، ثم عقد الباحث مقارنة بين حكم « أمنمؤبى » الحكيم المصرى وأشهر أدب للحكمة فى فلسطين ممثلا فى سفر الأمثال العبرى ٠ أما النقطــة الرابعــة لتوضيح أثر التبادل الحضــارى بين مصر وفلسطين فهى العمــارة حيث ظهر تأثير مصر الواضح على فلسطين فى هذا المجال ولتوضيح ذلك تناول الباحث دراســة المعبد المصرى تخطيطه واهم اقسامه ، ومقارنة ذلك بماوجد فى فلسطين من معــابد لابراز أوجــه الشبه والاختلاف ٠ ونظرا للعثور على بقايا أعمدة وتيجانها فى فلسطين ، تناول الباحث نشأة الأعمدة فى مصر وتطورها لمقارنتها بما وجد فى فلســطين ٠ أما الجــانب الأخير الذى يوضح التأثير الحضــارى المتبادل بين مصر وفلسطين فهو الفن بجوانبــه المختلفة ، النحت والتصوير والفنون الأخرى ، وقد تناول الباحث نحت التماثيــل وحفر الصور البارزة والتصوير بالألوان ٠

وأخيرا لابد من أن نرد الفضل الى أهله ، حيث اننى مدين فى اعداد هذه الرســالة الى كل من قدم العون والمســاعدة فى انجازها وأخص بالذكر أستاذى الجليل الأســتاذ الدكتور/ جاب الله على جاب الله الذى شرفنى بالاشراف على رســالتى وقدم لى من العون والجهد والوقت ما تتضاءل أمامه الكلمات ، فلست أحسب أن هناك

من الكلمات أو العبارات ما يمكن أن يوفى سيادته بعضـا من حقه على ، فلقد كان لى شرف تلقى العلم على يدى سيادته منذ السـنة التمهيدية للماجستير ، ومنذ ذلك الوقت تعهدنى برعايته ولم يضن على بجهد أو وقت ، فوقف بجـانبى ناصحـا وموجها ومرشـدا ، وأمدنى بالعديد من المراجع العلمية النادرة التى تعذر الحصـول عليها ، فكان سيادته لى أبا ومعلما وأستاذا لمست فيه حنان الأب وصرامة الأسـتاذ ، وانني مهما فعلت فلسـت بمستطيع أن أوفى سيادته بعضا من حقـه أو أرد له جزءا من فضله فجزاه الله عنى خير الجزاء ·

كما أتقدم بعظيم الشكر والعرفان بالجميل للدكتور/ محمد على سعد الله ، مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب جامعة الزقازيق فرع بنهـا ، لتفضـله بالاشـتراك فى الاشراف على الرسـالة وبما أسداه لى من نصائح علمية وما قدمه من عون صادق ، فالله أسأل أن يجزيه عنى خير الجزاء ·

كما أتقدم بعظيم الشـكر والتقدير للدكتور/ أحمد محمود صابون أسـتاذ التاريخ القـديم المساعد بكليـة التربية جامعـة الاسكندرية فرع دمنهور على ما قدمه لى من ارشادات وما زودنى به من مراجع مهمة فالله أسأل أن يجزيه عنى خير الجزاء ·

ولا أنسى أن أتوجه بالشكر لأساتذتى وزملائى فى كلية الآداب جامعة المنوفية ·

والله ولى التوفيـق ؟

الفصـــل الأول

مصر وفلسطين قبيل القرن الحـادى عشر ق٠م

أولا ــ مصـــــر

مقدمـــة :

١ ــ الأحوال الداخليـة ٠

(أ) الحالة الاقتصادية والاجتماعية ٠

(ب) الحـالة السياسـية ٠

٢ ــ الأحـوال الخارجيـة ٠

(أ) مصر وجنوب غرب آسيا ٠

(ب) مصر وشعوب البحر ٠

ثانيـــا ــ فلســطين

١ ــ جغرافية فلسطين السياسية ٠

(أ) الكنعانيون ــ الفنيقيون ٠

(ب) الآدوميـــون ٠

(جـ) المؤابيـــون ٠

(د) العبرانيـــون ٠

(هـ) الفلســطينيون ٠

٢ ـ بدء الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ٠

أولا ـ مصـــــر

مقدمـــة :

عند تناول أحوال مصر قبيل القرن الحادى عشر ق٠م يكون المقصود فى الحقيقة تناول أحوالها قرب نهاية عصر الدولة الحديثة ، وقد اتسمت هذه الفترة بتأرجح البلاد بين مظاهر الضعف وأسباب الانحـلال من ناحيـة ومحاولات اعـادة النظـام والأمن اليها من ناحية أخرى ٠

تضـافرت مجموعة من العوامل الداخليـة لتسير بمصر نحو الضعف والانحلال فمن الناحيـة الداخلية تدهورت أحوال البـلاد الاقتصادية والاجتماعية ، وانعكست آثار هذا التدهور فى اضرابات العمـال فى عهد « رمسيس الثـالث » وفى سرقات المقابر فى عهـد « رمسيس التاسع » كما تدهورت سلطة الفرعون حتى صار مجرد رمز لا حول له ولا قوة فى ادارة شـئون البلاد وفى مقابل ذلك ازداد نفوذ الكهنة وخاصـة كهنة الاله آمون بمعنى أن ما فقده الفرعون من سلطة ونفوذ آل الى الكهنـة حتى أصبحت كل أمور البلاد فى أيديهم ، وانعكس ذلك بدوره فى الثورات والحروب الأهليـة التى اجتاحت مصر خلال تلك الفترة الى جانب المؤامرة التى استهدفت الفرعون « رمسيس الثالث » ونعنى بها مؤامرة الحريم ٠

أما عن الأوضـاع الخارجية والحالة التى آلت اليها سـلطة مصر ونفوذ الفرعون خارج حدودها فيمكن أن تكشف عنها رحـلة « ونامون » وما لقيه من متاعب ومحن عندما ذهب الى سورية لاحضار الأخشاب لبناء القارب المقدس للاله « آمون » .

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نفصـل أحد هـذه العوامل عن الآخر فكلها متشابكة ومتداخلة ويؤثر الواحد فى الآخر ويتأثر به ، فالأحوال الاقتصادية تؤثربالضرورة على حالة المجتمع السياسـية والاجتماعيـة وفى نفس الوقت تتأثر بهمـا وتنعكس بدورها على أحوالها الخارجية أما بالسلب أو الايجاب .

الأســرة العشــرون

الأحـوال الداخليــة

(أ) الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

كانت مصر قرب نهايـة عصر الدولة الحديثـة تمر بأزمـة اقتصادية طاحنة وأحوال اجتماعية متفسخة ، وكان وراء ذلك العديد من العوامل الداخلية والخارجية التى أحاطت بها خلال تلك الفترة .

اسـتنزفت خيرات مصر الحروب المتكررة التى خاضتهـا فى الشرق والغرب ضد « شعوب البحر » كما سـيأتى ذكره ، فضلا عن ذلك فقد كان للهبات التى أغدقها فراعنة الدولة الحديثـة وعلى الأخص الفرعون « رمسيس الثالث » على معـابد الآلهـة المختلفـة وخاصـة معبد الاله آمون « بطيبة » أكبر الأثر على أحوال مصر الاقتصادية ، فتذكر بردية « هاريس » أن دخل هذه المعابد وحدها بلغ ما يعادل ٦٢ كيلو جراما من الذهب و ١١٨٩ كيلو جراما من

الفضــة و ٢٨٥٥ كيلو جراما من النحــاس ، وأن مراعيه كانت تأوى ٤٢٣٦٢ رأســـا من المــاشية الكبــيرة والصغيرة ، أهـــداه « رمسيس الثالث » منها ٢٨٣٣٧ رأســا دفعة واحدة ، كما بلغ دخل معابد مصر حينذاك نحو مائة ألف مكيال من الغــلال واستأثرت بخيرات ١٦٩ مدينة وقرية فى مصر وخارجهــا ، وامتلكت أكثر من ٨٨ سفينة ونحو ٥٠ ترســانة لصناعة السفن واصلاحها ، وتراوحت مساحة مزارعها بين ١٢ ، ١٥٪ من أراضى مصر الزراعية(١) ٠

كان على تلك المعابد أن تســاهم بنصيب فى خزينــة الدولة نتيجة لمــا هو مفروض عليهــا من ضرائب حيث كانت أملاك هذه المعابد معفاة من السخرة وغير معفاة من الضرائب ولكن تولى عائلات كبار الكهنــة للوظائف المهمة فى الدولة خاصــة المــالية جعل من الميسور لهم أن يتصرفوا فى مالية الدولة كما يشاءون فلا يدفعون الضرائب اذا أرادوا ، ومن الأمثلة التى توضح سيطرة عائلات كبار الكهنة على الوظائف المهمة أنه فى عهد « رمسيس الرابع » كان « رمسيس نخت » كبيرا لكهنــة آمون فى الوقت الذى كان أبوه « مرى بارست » رئيسا لمــأمورى الضرائب ، بينما تولى اثنان من أبنائه وظيفتين من أهم الوظائف فى البلاد فكان ابنه « نس آمون » كبيرا لكهنة آمون من بعده وابنه « وسر ماعت رع نخت » كبيرا لمــأمورى الضرائب والمشرف على أراضى الملك(٢) ٠

علاوة على ذلك فرغم الأزمة الاقتصادية التى كانت تعانى منها مصر فى تلك الفترة فقد زاد الفراعنــة (خاصــة فراعنة الأسرة العشرين) من شــدتها عندما أسرفوا فى اقامة المنشآت المعماريــة ، فحفروا مقابر ضخمة على غرار من سبقوهم فى العصــور المستقرة الغنية ، وهناك نص من العام الثالث للملك « رمسيس الرابع » فى وادى الحمامات يسجل استحضار حجر فاخر من محجره المشهور

وهذا أمر طبيعي ولكن اذا علمنـا أن عدد المكلفين بهذا العمل بلغ ثمانيـة آلاف عـامل اتضح لنا ضخامة العمل الذى قطعت هـذه الأحجار من أجله(٣) ٠ كما تعتبر مقبرة « رمسيس السادس » من أضخم مقابر « طيبـة » وأحفلها بما تصوره من تصـورات عصرها عن الآخرة وأربابها(٤) ٠

ومن العوامـل الرئيسـية التى أثرت على أحـوال مصر الاقتصادية ، انها فقدت امبراطوريتهـا فى آسيا ، حيث أن مصر كانت تعتمد على آسيا فى الحصـول على المعـادن الى حد كبير ، خاصة الفضة والحديد ، وزاد الأمر سوءا تغير الاقتصاد العالمى فى ذلك الوقت ، حيث حل عصر الحديد محل عصر البرونز فكان على مصر أن تعدل اقتصـادها القومى ، والمعروف أن تعديل الاقتصـاد القومى لأمة من الأمم على أساس معدن جديد أمر عسير ، خاصـة اذا كانت تلك الأمة هى المسيطرة على المعدن القديم ولا تملك المعدن الجديد ، فاحتاجت مصر الى وقت طويل ومجهودات مضنية لتواجـه هذه الحالة الجديدة(٥) ٠

والأكثر من ذلك ان مصر فقدت سيطرتها على مناطق التعدين القديمة خاصـة فى سيناء فكان اسم « رمسيس السادس » هو آخر الاسماء التى دونت فى « سرابيط الخادم » وتراجعت حدود مصر حتى أصبحت تمتـد فى أقصر الطـرق بين البحـرين المتوسـط والأحمر(٦) ٠ ربما كان موضع قناة السويس فى الوقت الحاضر ٠

وقد ترتب على هذه الحالة الاقتصـادية المتردية ، أن أصبحت مصر تعانى ما يمكن أن يوصف بتضخم اقتصـادى فارتفعت أسعار الغلال من دبن واحد لغزارة القمح فى بداية الأسرة العشرين الى خمسـة دبنات فى عهد « رمسيس السابع » ولكن انخفضت هذه

الأسعار فى نهاية القرن الثانى عشر ق٠م فأصبح الغراوة من القمح والشعير دبنين فقط(٧) ٠

فى نفس الوقت استمر التفاوت بين طبقات المجتمع فى مستويات المعيشة مما أدى الى اضطراب أحوال مصر الاجتماعية ، أضف الى ذلك استقرار العناصر الأجنبية فى مصر فكان من الجائز أن يمتلك أحد الأجانب أرضا ويزرعها سواء أكان ضابطا فى الجيش أو موظفا مدنيا ، كما كان أغلب هؤلاء الأجانب جنودا مرتزقة فى الجيش ، فعندما توقفت الحملات الحربية التى كانوا يشتركون فيها فقدوا مصدر رزقهم فأصبحوا يتعيشون على السلب والنهب من المواطنين المصريين(٨) ٠

الى جانب ذلك يمكن القول بأن زيادة عدد الأجانب فى القصور الفرعونية كان من العوامل التى أثرت فى أحوال مصر الاجتماعية ، حيث زادت الزيجات من أجنبيات ، وازدادت أعداد الجوارى واحتوت القصور الى جانب الجوارى أعدادا من الحشم عملوا خدما وسقاة ووصفاء فيها(٩) حتى تسللوا الى مخدع الفرعون ذاته ٠

فاذا كانت الأوضاع على نحو ما مر بنا فلا غرابة اذا رأينا حالة الحكومة مضطربة مزعزعة ووجد الموظفون ما يغريهم على العمل لحسابهم الشخصى بدلا من أن يعملوا لمصلحة الدولة ، فكان أكثرهم طموحا يعرف كيف ينتزع بوضع اليد بعض ممتلكات « آمون » التى كانت قد اتسعت فى عهد « رمسيس الثالث » كما أن فرق الجند المرتزقة كانت دائما على استعداد لأن تشن الغارات وتكون أداة للشغب والتمرد ، بينما فعلت المؤامرات السياسية فعلها فى تخريب الخدمات العامة فتدهورت المحاصيل الزراعية وكثرت المجاعات ، وانساق صغار القوم وراء كبارهم فى أعمال السلب والنهب(١٠) ٠

ومن أبرز الوقائع التى تصــور أوضاع مصر فى تلك الفترة ، وما آلت اليه أحوالها من انتشار الفوضى واختلال الأمن والنظام ، يسوق الدارس واقعتين على سبيل الاستشهاد ، هما :

- اضرابات عمال دير المدينة التى وقعت أيام حكم رمسيس الثـالث •

- سرقات المقابر التى حدثت فى أيام حكم رمسيس التاسع •

اضرابات عمال دير المدينة :

كان هؤلاء الرجــال الذين عملوا فى نحت وزخرفــة مقــابر الفراعين أبعد النــاس عن أن يكونوا أقل رعايا الفرعون حظــا ، بل ان كثيرا ما ارتفع بعضهم الى مراكز مهمة فى الدولة ، وكان من المتبع أن يستمر العمل طوال أيام السنة ، ويمنح العمال كل شهر عطلة ثلاثة أيام كانت تقع فى أيام العاشر والعشرين والثلاثين ، فضلا عن اجازات أخرى فى المناسبات الخاصــة بأعياد الالهة الكبرى ، وكانوا يتقاضــون أجورهم حبوبا من قمح وشعير ، كما كانوا يمنحون فى مناسبات خاصة مكافآت من الفرعون(١١) •

كانت هذه فى الواقع أحوال عمال المقابر الملكية قبل النصف الثانى من عهد الملك « رمسيس الثالث » ولكن فى العام التاســع والعشرين من حكم هــذا الفرعون نسمع عن أول اضراب لهم وكان لهذا الاضراب وما تلاه من اضرابات أخرى ما يبررها ، اذ تأخرت مقرراتهم أكثر من شهرين ويوضح ذلك أن صيحتهم الأولى كانت « نحن جائعون » ولعل ما شجعهم على سلوك سبيل الاضراب صلتهم بالوزير « تــو » الذى كان بيده أعمــــال الفرعون ، والذى كان يرتبط بعمال « طيبة » برباط الأصل حيث كان والده « امنمحات »

كاتبا من كتاب الجبانة ، ولذلك يميل « ادجرتون » الى القول : ان عمال طيبـة فى مطالبتهم العنيفة بمقرراتهم كانوا يعتمدون على قريبهم المشهور الوزير « تـو » ويستفيدون منه(١٢) ٠

وترجع هـذه الاضرابات أيضـا الى فسـاد الموظفين وتفشى الرشوة والسرقة داخل الجهاز الحكومى ، والمنازعات السياسـية التى بدأت تظهر فى أخريات عهد « رمسيس الثالث » والتى نتج عنها اضطراب الأمن مما جعل الحكومة تفشل فى امداد عمال دير المدينة بمقرراتهم ٠

وليس هنـاك من داع للدخول فى تفاصـيل هذه الاضرابات فما يهمنا منها هو دلالتهـا ، فقد تزعزعت ثقة العمـال بالفرعون وحكومته ، فبعد أن كانوا يقولون عن الفرعون فى الاضراب الأول « فلترسلوا الى مولانا الطيب فرعون » نراهم فى الاضراب الثالث (والذى وقع فى العام ٢٩ ، الشهر السابع) يعرضـون بشخص الفرعـون ويتمردون على رؤسـائهم فى تحد ظاهر ، حتى انهم فى الاضراب الرابع وجهوا للوزير تهمة الاستيلاء على مقرراتهم ، ويتضح ذلك من قول الوزير « وتقولون لا تأخذ منا مقرراتنا »(١٣) ٠

سرقـات المقـابر :

اذا كانت اضرابات العمال وما صحبها من أحداث تبرز الأحوال الاقتصادية المتردية وعجز خزانة الدولة عن الوفـاء بمسئولياتها تجاه الأعمال المهمة فان الجرائم التى ارتكبت فى تلك الفترة من تاريخ مصر لتشير الى مدى الانهيـار والتفكك الاجتمـاعى اللذين أصابا البلاد ولعل أشهرها سرقات المقابر الملكيـة ، فالمعروف أن العوز والطمع يدفعان فى أغلب الأحيان الى الجريمة ، خاصة اذا وجد ما يغرى بها ، ففى تلال « طيبـة » الغربيـة دفن المصريون

كنوزا من الذهب والفضـــة ويوضـح ذلك ما وجـد فى مقبرة « توت عنخ آمون » والتى حفظهاالزمان من السلب والنهب ومن أروع ما وجد فيها قناعه الذهبى وتوابيته الثلاثة التى شكلت على هيئته ، فصيغ الداخلى منها من الذهب الخـالص وصفح الآخران بالذهب وطعما بأحجار شبه كريمـة ثم مقعد عرشـه وصندوقـه الخاص ومجموعة رائعة من تماثيله المعدنيـة الصغيرة ، وتماثيل بعض أفراد أسرته ، ومجموعات من أدوات الزينة والأوانى المرمرية الشفافة ، وقد غطيت عجلاته الحربيـة وسرادقاته الخشبية بصفائح من الذهب ، فاذا كان ذلك ما وجد فى مقبرة فرعون قصير الأجل مضطرب العهد ، فلاشك أن ثراء مقابر أسـلافه ولاحقيه العظـام كان أجل وأعظم(١٤) ، ونفس الأمر يمكن أن يقال عن مقابر كبار الأفـراد ٠

كان الاغراء بسلب هذه المقتنيات شديدا فى كل وقت ، ولكن طالمـا مادام الحـكومة قوية ساهرة على حفظ النظـام ، ومادام رجالها أمنـاء فان هذه المقـابر كانت فى أمان ، فاذا ما ضعفت الحـكومة وفسـد رجالها تستباح الحرمات ، ومع ذلك لم تنتشر سرقات المقـابر فى الأسرة العشرين الا عنـدما أشرفت الدولة على الهـلاك ، نتيجة الضعف الذى ألم بهـا فحدث التضخم المـالى وانتشر الجوع والفقر وعجز رجـال الشرطة عن ايقـاف عصابات الأجانب عند حدها ، كمـا انعدم الشـعور باحترام أملاك الدولة واحترام قدسية المقابر التى كانت الدار الأبدية ، وعلى هذا كان لابد من انتشار سرقة هـذه الكنوز المكدسـة ، وبدأ اللصـوص بمقابر الأفراد ثم تعدتها بعد ذلك الى مقـابر الملوك ، وقد أجريت التحقيقات وحوكم اللصوص(١٥) ٠

ولكن رغم ذلك استمرت السرقات دون رادع وظل الموظفون المسـئولون فى وظائفهم خـلال تلك السنين الطويلة لقد أظهرت

سرقات المقابر أيام الأسرة العشرين مدى تراخى الموظفين فى تأدية واجبهم ولربما كانوا يجنون نفعا خاصا من تلك السرقات ، وأوهموا الناس بأن العدالة لاتزال قائمة ، وذلك باجراء تلك المحاكمات الصورية مما يوضح هبوط الروح المصرية واختفاء المثل العليا .

(ب) الحالة السياسية :

أدت الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وما ألت اليه من سوء الى اضطراب أحوال مصر السياسية قرب نهاية الدولة الحديثة ، وكانت سرعة تتابع ملوك هذه الفترة مظهرا وسببا لهذا الاضطراب، أما كونها مظهرا فقد لمسنا ذلك فى الفترة القصيرة بين « رمسيس الثالث » و « رمسيس الحادى عشر » حيث تولى سبعة ملوك فى فترة لا تزيد على نصف القرن ، أما كونها سببا فان سرعة تتابع الملوك على العرش يعنى تلاحق السياسات مما لا يعطى الفرصة للنضج ، فمن المعروف أن استقرار الدولة مرهون باستقرار السياسة التى تسير عليها ، كما أن سرعة تتابع الملوك على العرش يعنى أن الجالس على العرش لا يستطيع حماية نفسه من ادعياء الملك ، فاذا كان الفرعون غير قادر على حماية نفسه فانه لا يستطيع من باب أولى أن يوفر الحماية لأفراد رعيته ، فاضمحلت سلطة الفرعون وفقد هيبته الالهية ، وليس من شك فى أن اضمحلال سلطته على هذا النحو كان من شأنه أن يزعزع فى نفس الأفراد احترامهم له والذى كان حجر الزاوية بالنسبة للأمن الداخلى الذى ضاع تماما فى تلك الفترة فكانت اضرابات العمال وسرقات المقابر ، كما أن النهايات الغامضة لملوك تلك الفترة لدليل واضح على اضطراب الأحوال الأمنية ، كما أن سرعة تتابع الملوك على العرش كانت سببا ومظهرا للصراع بين طوائف المجتمع المختلفة ، فالحكام

لا يتصارعون بأشخاصهم وانما بأحزابهم وكل صراع على العرش فرصة يغتنمها الكهنة ورجال الجيش حيث يحاول هؤلاء وغيرهم أن يستفيدوا منها قدر ما يستطيعون ، فاذا ما فاز أحد الأفراد بالعرش فتح باب الانتقام من أعدائه بابعادهم عن وظائفهم أو محو أسمائهم من آثارهم الى غير ذلك من ألوان الانتقام ومما يدل على الاضطراب السياسى فى تلك الفترة ، قيام أحد وزراء الملك « رمسيس الثالث » بتمرد ضده كان مركزه « اتريب » (بنها الحالية) ولكنه لم ينجح واستطاع الفرعون القضاء عليه وعزل هذا الوزير الذى لم يعرف اسمه(١٦) ٠

وهناك مثال آخر على اضطراب الأحوال السياسية والأمنية فى مصر خلال تلك الفترة ونقصد بها تلك المؤامرة التى هددت حياة الفرعون « رمسيس الثالث » والمعروفة بمؤامرة الحريم(١٧) ٠

أما فى عهد رمسيس الخامس أو السادس فهناك ما يشير الى نشوب حرب أهلية فى مصر ، فقد حوت بردية لكاتب المقبرة الملكية اشارة لأعداء يعتقد أنهم مصريون اذ لو كانوا أجانب لاختار الكاتب دلالات ملائمة كما فعل الكتاب الآخرون عند الغزو الليبى ، وقد دمر هؤلاء الأعداء موقعا يدعى « برنبيت » وهو موقع يصعب تحديد مكانه ، ولكن استدعاء رجال الحرس من اقليم جنوب طيبة يشير الى ان هؤلاء الأعداء لم يأتوا من الجنوب وانما من الشمال ، فاذا قارنا هذا بما جاء فى بعض أجزاء بردية « تورين » نرى احتمال أن يكون هؤلاء الأعداء من معارضى الملك الجديد سواء أكان رمسيس الخامس أو السادس وهذا يعنى نشوب عصيان مسلح(١٨) ٠

وفى عهد الملك « رمسيس الحادى عشر » قامت ثورة ضد « امنحتب » كبير كهنة « آمون » وثورة أخرى قام بها « بانحسى »

نائب الملك فى النوبة (وهذا ما سنوضحه عند الحديث عن ازدياد نفوذ كهنة آمون) ٠ ٠

بالاضافة الى ما سبق تعتبر زيادة سلطة الموظفين وفساد أقسام الحكومة المختلفة سببا فى اضطراب الأحوال السياسية فى تلك الفترة ، فرغم انتقال العرش من ملك الى آخر ، احتفظ بعض الموظفين بمناصبهم ، فقد ظل الوزير « نفر ـ رنبوى » فى منصبه فى العام الثانى لحكم « رمسيس الرابع » وحتى نهاية حكم « رمسيس السادس » كما ظل وزير الخزانة « منتيمتوى » من نهاية حكم « رمسيس الثالث » حتى نهاية العام الأول من حكم «رمسيس السادس » وحدث هذا مع ساقى الملك « كدرن »(١٩) ، مما قد يشير الى تضخم سلطة كبار الموظفين على حساب سلطة الملك نفسه ٠

ازدياد نفوذ الكهنة :

كان من تداعى الأحداث فى تلك الفترة أن تبع تدهور سلطة الفرعون ازدياد سلطة الكهنة خاصة كهنة الاله « آمون » ، فمادامت سلطة الفرعون قوية ، فان نفوذ كهنة آمون أو كهنة غيره من الالهة لا تشكل خطرا عليها ، ولكن مع تغير الأحوال خلال النصف الثانى من الأسرة الثامنة عشرة ،ولا سيما بعد فشل دعوة « اخناتون » الدينية زاد نفوذهم السياسى وأصبحوا يكونون دولة داخل الدولة فأحس فراعنة الأسرة التاسعة عشرة بما لكهان آمون من بأس ، ومن هنا بدأوا يعملون على اضعافهم ، فوزعوا مظاهر عقيدتهم بين أرباب البلاد الكبرى « رع ـ حر ـ اختى » اله « هليوبولس » و « بتاح » اله « منف » و « ست » اله فراعنة الأسرة التاسعة عشرة ، ولم يعد الاله آمون الا واحدا من الأرباب(٢٠) ٠

علاوة على ذلك فقد انتزع منصب كبير كهنة طيبة من رجال الدين المحليين حيث قام رمسيس الثانى بتعيين «نب ــ وننف» كاهنا أكبر لآمون بعد ان كان كاهنا أكبر للاله « أوزير » فى « ثنى » وللالهة « حاتحور » فى « دندرة » وقد برر رمسيس الثانى هذا التعيين بمهارة حيث اعتبر اختياره من قبل الالهة(٢١) ، من هذا يتضح ان العوامل السياسية قد لعبت دورا كبيرا فى هذا التعيين ، حيث أن « نب ــ وننف » لم يكن من كهان طيبة فظهر رمسيس الثانى على انه صاحب الرأى الأول فى اختيار وتعيين كبير كهنة آمون أو عزله ، ولو استمر الزعامسة فى اتباع هذه السياسة لتمكنوا من موازنة نفوذ كهنة آمون بنفوذ كهنة الالهة الأخرى ، ولكن رمسيس الثالث نبذ تلك السياسة وقدم خيرة قرابينه لاله الكرنك « آمون » ، وربما كان وراء ذلك ورع حقيقى من جانب الفرعون ، أو رغبة منه فى ارضاء الكهنة ودفع اذاهم ، وأيا ما كان السبب فان رمسيس الثالث أسرف كثيرا فى هباته للالهة وبخاصة « آمون »(٢٢) ، وكان ذلك من أسباب الأزمة الاقتصادية التى مرت بها البلاد كما سبقت الاشارة(٢٣) ، كما كانت زيادة ثروات كهنة الاله آمون من عوامل زيادة نفوذهم ، ومن المظاهر التى توضح ازدياد نفوذ كهنة الاله آمون أنه فى عهد الملك « رمسيس الرابع » نرى « رمسيس نخت » على رأس كهانة آمون ثم سرعان ما نراه على رأس عائلة من الموظفين الرسميين الذين سيطروا على جميع الوظائف المهمة فى الدولة ٠

كان رمسيس « نخت » ابنا ل « مرى ــ تارست » رئيس كهان مدينة الأشمونين ورئيس الاستقبال الخاص بمبانى الملك فى مدينة « هابو » ورئيس جباة الضرائب ، وكان أصحاب هاتين الوظيفتين يشرفون على موارد الدولة ، وربما كان لقوة مركز أبو

فى تعيين ولده « رمسيس نخت » كبيرا لهكنــة آمون رع فى الكرنك والذى ظل يشغل هــذه الوظيفــة طوال أيام رمسيس الرابــع والخامس والسادس وربما بعد ذلك ، وقد تولى اثنان من أبنــاء « رمسيس نخت » وظيفتين من أهم وأكبر الوظــائف فى البلاد ، فأصبح ابنه « نس آمون » كبير لكهنــة آمون من بعده بينمــا صار الابن الآخر « وسر ماعت رع نخت » كبيرا لمــأمورى الضرائب والمشرف على أراضى الملــك ، وبذلك صــار الملــك أسـيرا فى يد الكهنــة(٢٤) ٠

وعندما تولى « أمنحتب » منصب كبير كهنــة آمون انتحل سلطات لم يستطع أحد من رعايــا الفرعون أن يتطــاول اليها من قبل ، فقد كان الفرعون يصــور بحجم كبير يزيد فى نسبته كثيرا على جميع المصريين الآخرين الذين لم يكونوا غير أفراد من البشر ، ولكننا نجد « أمنحتب » مصــورا بنفس ارتفــاع قامة الفرعون ، ويقف أمامه وجها لوجه ، ويتسلم هدايا ملكيــة قدمهــا اليه صف طويل من الجنود الملكيين ، وهــكذا انقلب الحــال فأصبحت هذه الهدايا تعطى للكهنــة لضمان ســلامة العرش المصرى واطــالة الحكم الفرعونى ، ويتضح من ذلك المركز المتســاوى بين الفرعون وكبير كهنــة آمون فى كافــة الحقوق السياســـية والدينيــة بل والاقتصــادية ، حيث سمح الفرعون لمعبد آمون بجبايــة أمواله مباشرة وحل الكاهن الأكبر محل الفرعون فى جبايتها(٢٥) ٠

ظل « أمنحتب » فى منصبه الى أن قامت ثورة ضــده فى عهد « رمسيس الحادى عشر » حيث تولى « حريحور » منصب كبير كهنة آمون(٢٦) ٠

وهناك ما يشير الى ثورة أخرى قام بها « بانحسى » نائب الملك فى « كوش » ويرى بعض المؤرخين انه من المستحيل الربط

بين الثورة ضد « أمنحوتب » وثورة « بانحسى » حيث ذكرت بردية Mayer A أن بعض اللصوص قتلوا على يد « بانحسى » وأهلك آخرون فى حرب المقاطعة الشمالية كما جاء فيها أيضا أن « بانحسى » عصف بمدينة « حار داى » وهى عاصمة الاقليم السابع عشر من أقاليم مصر العليا(٢٧) كما كتب اسم « بانحسى » فى هذه البردية بطريقة تجزم بانه كان عدوا للموالين لمدينة « طيبة »(٢٨) ، ويرى آخرون أن ثورة « بانحسى » لايمكن تفسيرها الا على أساس انه وجيوشه قد تدخلوا ضد كبير الكهنة ، واحتلوا « طيبة » وما جاورها ، ثم تقدموا الى مصر الوسطى وربما أبعد من ذلك الى الشمال مقتفين أثر كبير الكهنة وجيوشه وأن رمسيس الحادى عشر قبل تدخل « بانحسى » بوصفه الوحيد القادر على كبح جماح كبير الكهنة « أمنحتب » مما يشير الى تدهور الأمور فى مصر وضياع سلطة الفرعون(٢٩) معنى ذلك أن الفريق الأول اعتبر تدخل « بانحسى » تمردا ضد العرش ومحاولة للوصول اليه أما الفريق الآخر فيرى أن تدخل « بانحسى » كان من أجل الفرعون ومساعداته ضد « أمنحتب » فاذا كان « رمسيس الحادى عشر » ظل يحكم أثناء احتلال « بانحسى » لمدينة « طيبة » فان هذا يوضح أن تدخله كان ضد كبير الكهنة فقط ، ولكن يبدو أن تدخل « بانحسى » كان من أجل نفسه فى المقام الأول ، اذ يحتمل ان « أمنحتب » أراد نتيجة ازدياد سلطته وقوته فى مصر ان يفرض سيطرته على النوبة ، ومن المحتمل ان هذا الصراع قد خلص « رمسيس الحادى عشر » من شخصيتين كانتا تمثلان خطرا على الفرعون حيث اننا لم نعد نسمع عن أى منهما ، حيث ولى « حريحور » منصب كبير كهنة « آمنون » والذى وصل اليه عن طريق مركزه العسكرى وزواجه من

« نجمت » ابنه « حريره » كبيرة محظيات آمون وربما زوجة « أمنحتب »(٣٠) ٠

تلقب « حريحور » بألقاب كثيرة مثل قائد الجيش ، أو القائد الأعلى لجيش مصر العليا والسفلى ونائب الملك فى كوش ، وربما كان هذا اللقب الأخير مما أملته ضرورات العصر ، حيث انه من غير المحتمل أن يكون « حريحور » مارس الحكم فى النوبة(٣١) ٠ ومن ألقابه كذلك حامل المروحة على يمين الملك ، وكاتب الملك ، والمشرف على خزائن الفرعون وبحكم سيطرته على ادارة مصر الداخلية حمل لقب رئيس المدينة ، وكذلك حمل « حريحور » لقب وزير(٣٢) ٠

ومما يدل على ازدياد نفوذ الكهنة فى عهد هذا الكاهن ظهوره فى معبد « خونسو » فى مناظر كانت قاصرة على الفرعون ، حيث ظهر « حريحور » وهو يمارس طقوس حرق البخور أمام قارب المعبود أثناء تحركه ، ولكن حديث الاله كان موجها للملك « رمسيس الحادى عشر » ثم وجد على أربعة من بين الأعمدة الثمانية التى تشغل وسط البهو ، مناظر للكاهن « حريحور » وهو يمارس طقوسا أمام الثالوث الطيبى ، ثم نجد اسم « حريحور » وحده بعد أن أغفل شخصية الملك تماما ، وعندما أضاف « حريحور » بهوا خارجيا ظهر فيه واضعا على جبهته الصل الملكى بل والتاج المزدوج فوق رأسه وان ظل يرتدى زى الكاهن الأكبر وانتحل الألقاب الكاملة للفرعون ، وهذا ما دفع بعض المؤرخين الاعتقاد ان « حريحور » قد ارتقى العرش بعد موت « رمسيس الحادى عشر »(٣٣) ٠

ولكن هناك ما يثبت ان « حريحور » لم يمت فقط قبل « رمسيس الحادى عشر » بل انه لم يخلع الفرعون عن عرشه

أبدا ، وانما استمر يحكم طيبة تحت سـلطان الفرعون الذى كان رغم نفوذه الضعيف هو ملك مصر كلهـا ، فهنـاك منظر ونص منقوشان بمعبد الكرنك يصـوران وحيـا من ذلك النوع الذى أخذ يزداد منذ ذلك العصر(٣٤) ، فقد لزم تعيين كاتب للمخـازن فى الكرنك ، وقدم اسم من يدعى « نس ـ آمون » وتمت موافقـة الاله عن طريق الايماءة الكبرى ، واهميـة هذا الحدث ترجع الى شخصية الكاهن الأكبر الذى وضـع السؤال وأيضـا تاريخ النص ، اما التاريخ فهو العام السابع من عصر النهضـة (اعادة الولادة) فاذا كان العام الأول من « اعادة الولاة » يقابل العـام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر (٣٥) ، فان العـام السابع يقابل العام الخامس والعشرين من حكم هذا الفرعون ، وأما الكاهن الأكبر فهو حامل المروحة على يمين الملك ابن الملك فى كوش ، الكاهن الأكبر لآمون رع ملك الالهـة قائد الجيش « بعنخى » و « بعنخى » هذا هو الابن الأكبر لكبير الكهنـة « حريحور » ومادام من غير المعقول أن يكون « حريحور » قد تنحى عن رياسـة الكهانة خلال حياته ، فان معنى ذلك انه مات قبل السنة السابعـة من « اعادة الولاية » ربما العـام السادس منها وهو ما يقـابل العام الرابع والعشرين من حكم « رمسيس الحادى عشر » وبما ان هذا الفرعون حكم تسعا وعشرين عاما ، اذا فقد توفى « حريحور » قبله بحوالى خمس سـنوات ٠

وهناك ثلاث برديات هيراطيقية ذكرت « حريحور » دون أن تضع اسـمه داخل خرطوش أو تعطيه لقب ملك ، الى جانب أن « ونأمون » فى رحلتـه الى « جبيل » اشـار الى « حريحور » باعتباره سـيده ، ولم يشر اليه على انه ملك مصر ، والأكثر من ذلك أن « بعنخى » ابن « حريحور » قد مات قبـل «رمسيس الحادى عشر » بحوالى عـام أو بعض عام حيث انه ترك منصبـه

لابنه الأصغر فى العام العاشر من اعادة الولاة اى العام الثامن والعشرين من حكم « رمسيس الحادى عشر »(٣٦) ٠

مما سبق يتضح أن ملكية « حريحور » لم تتعد نقوش معبد « خونسو » أما خارجه (وبخاصة فى نظر الادارة) ظل « حريحور » كبير كهنة آمون ، وهكذا يمكن القول بأن الكهانة قد وصلت الى درجة كبيرة من السلطة والنفوذ ولكنها لم تكن هى السبب فى أن يصبح « حريحور » هو السيد الآمر الناهى فى أخريات أيام « رمسيس الحادى عشر » وأن يورث هذه السلطة لأسرته من بعده ، وانما يرجع ذلك فى غالب الأمر الى القوة العسكرية ، ورغم ذلك لم يكتب للكاهن الأكبر « حريحور » أن يجلس على عرش مصر وان انتحل الألقاب الملكية ، ولكنه ربما كان يمارس من السلطان أكثر مما كان للفرعون الحقيقى « رمسيس الحادى عشر » ٠

مما سبق يتضح لنا مدى تدهور أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية اى احوالها الداخلية قرب نهاية الدولة الحديثة ، فكان لابد أن ينعكس ذلك على أحوالها وسياستها الخارجية ٠

٢ ـ الأحوال الخارجية

(أ) مصر وغربى آسيا :

كان انحسار نفوذ مصر الخارجى من العوامل التى أدت الى تدهور احوالها الداخلية قرب نهاية الدولة الحديثة ، ففقدت امبراطوريتها فى آسيا الغربية ، والتى كانت قد كونتها فى مرحلة شباب الدولة الحديثة ، خلال النصف الأول من عصر الأسرة

الثامنة عشرة وظلت محتفظة بها حتى النصف الأول من عهد الملك « أمنحتب الثالث » ، ولكن سرعان ما بدات الأمور تتغير فى أخريات ايام هذا الملك بعد أن ترك سياسة آبائه فى الخروج من حين لآخر الى أطراف دولته ليرهب المتربصين بها من الدول المجاورة فشجع هذا دولة الحيثيين على العبث بالحدود السورية كما جعل بعض الأمراء المحليين فى أطراف الامبراطورية يتطلعون للاستقلال وتكوين دويلات صغيرة مستقلة ، ثم عجلت سياسة « امنحتب الرابع » (اخناتون) بانهيار النفوذ المصرى فى سوريا الشمالية والوسطى بل ووصل الانهيار الى فلسطين ، ويتضح ذلك من رسائل الاستغاثة التى بعث بها الأمراء الموالون لمصر (المعروفة برسائل العمارنة) للضرب على أيدى الخارجين عليها ، فكان نصيب هذه الرسائل الاهمال وصم الآذان(٣٧) ٠

حاول ملوك الأسرة التاسعة عشر استعادة نفوذ مصر فى آسيا فوجه (ستى الأول) عدة حملات اليها ، ورغم انه لم يحرز تقدما محسوسا فى سورية الا انه نجح فى فرض هيبة مصر فى فلسطين ، وحاول « رمسيس الثانى » أن يتم ما بدأه والده فى سورية الشمالية فاصطدم بالحيثيين وحدثت معركة « قادش » وما تلاها من حروب(٣٨) ، وفى عهد « مرنبتاح » أصبحت الامبراطورية الحيثية على وشك الانهيار ، وبدأت آسيا الصغرى وشمال سوريا تتعرض لهجمات « شعوب البحر » وفى نفس الوقت تعرضت مصر للخطر الليبى وشعوب البحر من جهة الغرب ، ولكن « مرنبتاح » استطاع أن ينقذ حدود مصر الغربية ، ثم قضى على الثورة التى قامت فى آسيا وكان لعناصر شعوب البحر أثر كبير فى تلك الثورة ، ويتضح ذلك مما جاء على لوحة النصر :

« الأمراء منبطحون يصرخون طالبين الرحمة ، وليس بين الأقواس التسعة من يرفع راسه ، لقد دمرت ارض التحنو ، خاتى

هادئة ، كنعان قد استلبت فى قسوة ، عسقلان تم الاستيلاء عليها وجازر قد أخذت ، ينعم كان لم تكن ، اسرائيل أقفرت وليس بها بذرة خارو غدت أرملة لمصر ، وكل من تمرد رده الفرعون »(٣٩) ٠

وكما سبقت الاشارة ، تعرضت حدود مصر الغربية لغزو قبائل « الليبو » التى اندفعت نحو الحدود المصرية ، ويرجع المؤرخون هذا الزحف لأسباب كثيرة أهمها اقتصادية ، حيث أن شعوب البحر عندما أخضعت « كريت » أصبحت الخليفة الحقيقى للتجارة البحرية الكريتية ، وعندما فكر هؤلاء فى الاتجاه جنوبا كان الشاطىء الافريقى عند برقة أقرب اليهم من أى نقطة أخرى ، ومن هنا نشأت علاقات ودية بين شعوب البحر وليبو برقة فضلا عن أن النشاط التجارى المصرى كان قد قل وانحسر فى تلك الفترة ، وعلى ذلك فمن المحتمل ان النضال من أجل تجارة البحر المتوسط كان الدافع الذى جعل شعوب البحر تنضم لليبيين فى حروبهم ضد مصر(٤٠) ٠

حيث انضم لليبيين خمسة من تلك الشعوب هم طلائع الهجرة الكبرى التى سيقدر لها أن تنزل على مصر وفلسطين من الشمال والغرب فى عهد « رمسيس الثالث » (انظر فيما بعد ص ٣٠) وتمكن « مرنبتاح » من هزيمة الغزاة وأنقذت الحدود الغربية ٠

خلف « مرنبتاح » على عرش مصر ملوك ضعاف انشغلوا بالتنافس على العرش دون الاهتمام بالبلاد نفسها ، ومن ثم فقد سادت الاضطرابات وعمت الفوضى(٤١) ، وأدى ذلك الى تقدم شعوب البحر نحو الجنوب ، ووجد الليبيون الفرصة لتنظيم أنفسهم ووقع عبء هؤلاء وأولئك على عاتق « رمسيس الثالث » ثانى ملوك الأسرة العشرين ٠

مع بداية الأسرة العشرين كانت مصر ماتزال تحتفظ ببعض ممتلكاتها فى الشام حيث عثر على تمثال للفرعون « رمسيس الثالث » فى بيت « شان » وآخر فى « مجدو » كما انه بنى معبدا للاله آمون فى فلسطين (٤٢) وقد تمكن « رمسيس الثالث » أيضا من القضاء على ثورة فى « أمورو » ولكن التهديد الأشد عنفا فى تلك الفترة والذى هدد الكيان المصرى كان من شعوب البحر فى الشمال والشمال الشرقى ، ومن الليبيين من جهة الغرب ، وتصف لنا النصوص المصرية تحرك هؤلاء المهاجرين كما جاء على لسان « رمسيس الثالث » نفسه حيث يقول :

« قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة فى جزرهم ، وقد زعزعت المعركة البلاد وبعثرتها كلها فى وقت واحد ، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم ابتداء من خاتى وقودى وقرقميش وأرزاوا وألاسيا .. أقيم معسكر فى مكان فى أمورو ابتلعوا شعبها وأرضها فأصبحوا كأن لم يكن لهم وجود من قبل ، ثم جاءوا واللهب معد امامهم متقدمين نحو مصر وكان حلفهم مكونا من بلست وثكر وشكلش ودانو ووشش متحدين جميعا ووضعوا أيديهم على البلاد كلها الى محيط الأرض وقلوبهم تردد فى ثقة ، لقد نفذنا خطتنا ، ولكن قلب هذا الاله سيد الالهة كان مستعدا ومجهزا لاقتناصهم بالطيور ، لقد دعمت حدودى فى جاهى ، واعددت أمامهم الأمراء المحليين وقواد الحاميات والمريانو ، وامرت بان يجهز مصب النهر كسور قوى السفن الحربية والسفن المسطحة والزوارق التى كانت معدة اعدادا تاما من مقدمتها حتى مؤخرتها بالشجعان من الرجال الذين يحملون اسلحتهم ومن المشاة من خيرة المصريين الذين كانوا كالأسود المزمجرة فوق الجبال ، اما العربات فكان بها المحاربون الاكفاء وكل الضباط الممتازين ذوى الأيدى القادرة ،

وكانت خيولهم ترتعد فرائصها مستعدة لسحق البلاد الأجنبية تحت حوافرهـا » .

ثم يقارن رمسيس نفسه بعد ذلك باله الحرب « مونتو » ويعلن ثقتـه فى قدرته على انقـاذ جيشـه « أما عن أولئك الذين وصـلوا الى حدودى فليست فيهم بذرتهم ... قلوبهم وارواحهم انتهت الى الأبد ... أما أولئك الذين تقدموا من جهـة البحر .. كان اللهب الكامل أمامهم عند مصاب النهر وكان سياج من الحراب يحيط بهم على الشاطىء »(٤٣) .

وقد صور الفنانون المصروين انتصـار « رمسيس الثالث » على شعوب البحر برا وبحرا على الجدار الشـمالى لمعبد مدينـة « هابو »(٤٤) ، معنى ذلك أن « رمسيس الثالث » قد نجح فى القضاء على الاخطـار التى هددت مصر من ناحيـة الشمال والشمال الشرقى أما من جهة الغرب فقد تمكن من الانتصـار على الليبو بعد أن حاولوا دخول مصر واكتفى بكسر شـوكتهم وترك بعض قبائلهم تعيش على حدود مصر الغربيـة تحت سيطرتها وأبقى على من كانت مصر تستخدمهم من جنسهم فى جيشها(٤٥) ، ثم تجددت مشـكلات الليبين والمـاشواش وانضمت اليهم قبـائل من شـعوب البحر ، حيث استغلوا انشغال « رمسيس الثالث » بالحرب فى الشمال واخترقوا الدلتا فى العـام الحادى عشر من حكمه ووصـلوا الى ما وراء الفرع الكانوبى ، وشتتوا أمامهم جماعات « التحنو » سكان الواحات الأصليين ، فاشتدت القوات المصرية عليهم وأحبطت مشاريعهم(٤٦) وبذلك استطاع « رمسيس الثالث » أن يحـافظ على حدود مصر الغربيـة من الأخطار الا أن خلفاءه ، لم يتمكنوا من الاسـتمرار فى المحافظـة عليها بسبب ضعفهم ، وتفشى الفسـاد والرشوة داخل الجهـاز الحكومى ، كما أصبح الموظفون ورجـال

الجيش الأجانب يشكلون قوة جديدة فى الدولة ، الى جانب الأزمة الاقتصادية(٤٧) ، معنى ذلك ان الأحوال الداخلية والخارجيـة لم تسـاعد هؤلاء الملوك فى المحافظـة على ما تبقى من الامبراطوريـة المصرية ، وليس هناك دليل واضح على أن مصر احتفظت بسلطانها كاملا على فلسطين وسورية بعد « رمسيس الثالث » صحيح انه عثر على جعارين للملك « رمسيس الرابـع » فى « تل الصـافى » و « تل جـازر » وللملك « رمسـيس السـادس » فى تل اسـنة « بسـورية » كمـا عثر على قاعـدة تمثـال من البرونز للملك « رمسيس السادس » فى مجدو(٤٨) ٠ الا أن وجود هذه الآثـار الصغيرة لا يدل على استمرار الحكم المصرى فى غربى آسيا ٠

وفى تقرير « ونأمون » عن رحلته الى « جبيل » خير دليل على زوال السـيادة المصرية عن الشـام(٤٩) ، حيث يتضـح منه ان الحـاكم الفينيقى رغم اعترافه بما تدين به بلده لمصر من العـلوم والحضارة ، وما كان لها من سلطة ونفوذ على بلاده فانه يقول : **« حقا أن « آمون » اسـدى الخير لكل البلاد ــ كمـا لمصر التى آتيت منها ــ حين اسـداه اليها قبل غيرها لأن دقـة الحرف فيها قد وصلت الى مقرى والعلم قد جاء منها الى حيث أقيم »** ٠

كما أنه جادل بأن مصر لم يكن لها سلطات على أبائه واجداده من قبل عندما ذكر أن ما قدمه أباؤه واجـداده من خشب لقـارب « آمون » كان مقابل ثمن دفعه الفراعنة ٠

« فى الحق أن قومى قد أنجزوا هذا الأمر بعد ان أمر فرعـون بارسال ست سفن محملة بالبضـائع المصرية أفرغوها فى مخازنها٠٠ وأنت بما جئت لى شخصيـا ؟ وأمر أن يؤتى بسجلات أبائه وان تقرأ محتوياتها امامى ٠٠وقد وجد بها انه دفع ألف دبن من الفضـة

وسلعا من كل نوع فقال لى : اذا كان حاكم مصر سـيد أملاكى وكنت أنـا خادمه ايضـا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة أو ذهبا حين يقول : نفذ أمر آمون على انها ليست هدية ملك التى أعطوها لوالدى وأنـا كذلك لست خادمك ولا خادم من أرسلك » ٠

يتضح من تقرير « ونأمون » أن حاكم جبيل لم يعطـه خشبا الا بعد وصـول رسل من مصر (بناء على طلب ونأمون) حاملين بعض أوانى فضية وذهبيـة وبعض الأقمشة الكتانية ولفافات من البردى وجلودا وحبـالا ، ويبدو أن حاكم « جبيل » لم يكن يريد ثمنا للأخشـاب بقدر ما أراد أن يعامل معاملة الند وليس التابع ، فلو أرسلها دون أن يأتى من مصر شىء فربمـا أعتقد حكام مصر انها مفروضـة عليه ولكنهـا تبدو الآن فى شكل آخر ، فهى بمثابة تجارة بين بلدين وليست بين حاكم وتابع ٠

كما يوضح هـذا التقرير وجود خط ملاحى بين « جبيـل » و « تانيس » ووجود تجـار سوريين فى الموانىء المصرية ، كمـا يلاحظ أيضـا أن « ونأمون » لم يرتكن فى محادثتـه مع حـاكم « جبيل » الا على الأمور الدينيـة المحضـة ، ولم يتعرض لأمر سياسى ، وهـذا يتفق مع علاقة مصر بآسيا وقتئذ ، وما آلت اليه أحوال القطر المصرى ، حتى أن أمير « جبيل » عندما كان يتـكلم عن الحضارة المصرية ، كان يذكر حـاكم مصر ولم يستعمل لفظ فرعون الا اذا أراد المـاضى دليل عدم اعترافه بمن يحكم مصر فى ذلك الوقت ، وهكذا صار « ونأمون » يطلب من الحـاكم الفينيقى ما يلزمه من الخشب قائلا له : **« ان تمثال آمون الذى معه يطيل عمره ، ويهب له الصحة اذا هو أنجز مهمته »** ، بمعنى آخر فان تقرير « ونأمون » عن رحلته الى « جبيل » يوضـح أحوال مصر وفلسطين وسـورية الداخليـة ، والعلاقات التجـارية والمعتقدات

الدينية وطبيعة العلاقات السياسية بين مصر والساحل الغربي لبلاد الشام(٥٠) ·

(ب) مصر وشعوب البحر :

اسلفنا أن انحسار نفوذ مصر الخارجي يرجع للعديد من العوامل منها الداخلي(٥١) ومنها الخارجي(٥٢) وزاد الأمر سوءا مجيء هجرات آرية أشاعت التوتر فى الشرق ، خرجت من مواطنها الأولى فى بداية القرن الرابع عشر ق·م وتسللت الى الحوض الشرقي للبحر المتوسط واختلطت بسكان جزره وسواحله اختلاطا جزئيا ، وعمل رجالها مرتزقة عند من يجزل لهم العطاء من أمم الشرق ، ثم رنت بعض طوائفهم الى الشواطيء الجنوبية للبحر المتوسط فى أواخر القرن الرابع عشر ق·م ، وقد عرفتهم النصوص المصرية ومن ثم العلماء المعاصرون باسم شعوب البحر ، وكان لهؤلاء أكبر الأثر فى انحسار نفوذ مصر الخارجي ، ففى بداية القرن الثانى عشر ق·م نرى جحافلهم وقد دارت حول البحر الأسود ووصلت الى البلقان ودفعت أمامها الشعوب التراقية والفرنجية والأرمينية والميسينية الى آسيا الصغرى ، فانقضت بدورها على دولة الحيثيين فهزمتها وقضت عليها وقد هاجرت شعوب اخرى من تلك التى جلت عن ديارها فى أوربا وركبت السفن وأخذت تجوب البحر المتوسط باحثة عن أوطان جديدة فاستقر بعضها على الشاطيء الشمالى لافريقيا ، والبعض الآخر فى جزر البحر المتوسط أو على شواطئه الشرقية وأصبحوا خطرا كبيرا على مصر عندما أخذوا يهاجمونها من حدودها الغربية فى عهد « مرنبتاح »(٥٣) ، ثم زاد خطرهم عندما هاجمت مصر من البر والبحر فى وقت واحد فى عهد الملك « رمسيس الثالث » الذى تمكن من الانتصار عليهم فى الشرق والغرب(٥٤) ·

أما عن شعوب البحر ، فيرى الباحث التحدث عنها ببداية ظهورها فى المصادر المصرية ، واهمية دورها فى أحوال الشرق الأدنى القديم عامة وانحسار نفوذ مصر الخارجى بصفة خاصة ، والجدول التالى يوضح ذكر هذه الشعوب طبقا للمصادر المصرية :

الشعب	رسائل العمارنة	نصوص قادش	مرنبتاح	رمسيس الثالث	ملاحظات
دانونا	×	—	—	×	
لوكا	×	×	×	—	
شردن	×	×	×	×	
بدشا (بتاشا)	—	×	—	—	
دردانا	—	×	—	—	
ماشا	—	×	—	—	
قرقاشا	—	×	—	—	
عرونا	—	×	—	—	
بلست	—	—	—	×	جاءت صور للبلست فى مناظر معركة قادش دون ذكر لاسمهم
تورشا	—	—	—	×	
شكلش	—	—	×	—	
ثكر	—	—	—	×	
وشش	—	—	—	×	

جاء ذكر الدانونا فى رسائل العمارنة وان لم يرد فى نصوص معركة قادش ولا ضمن الشعوب المتحالفة مع الليبيين ضد « مرنبتاح » ، ثم جاء ذكرهم فى قائمة شعوب البحر التى ذكرها رمسيس الثالث حيث يقول عنهم : (**الذين فى جزرهم**)(٥٥) ، ومن ثم فان موطن « الدانونا » القديم هو « شرق كليكيا » وهى الجزر التى تحدث عنها رمسيس الثالث ، وعاش « الدانونا » هناك حتى القرن التاسع ق٠م ، وكانت قوتهم سببا فى ازعاج جيرانهم « أمانوس » و « ملامو » فى «سمال »(٥٦) ، كما جاء ذكر اللوكا لأول مرة فى رسائل العمارنة ، وقد انضموا الى « قرقش » و « ماشا » فى تحالف « الويلوشا » ضد « رمسيس الثانى » فى معركة قادش(٥٧) ، وقد أتوا أساسا من طروادة قبل حربها ، وكانوا من الشعوب التى اشتركت فى الحرب ضد « مرنبتاح »(٥٨)، وقد عرف الشردن كمرتزقة من السجلات المصرية فى عهد « أمنحتب الثالث » كما ظهروا فى رسائل العمارنة كقراصنة ، وتمكن « رمسيس الثانى » من أسر عدد كبير منهم (ربما فى معركة بحرية قبل معركة قادش) ، واستخدمهم فى معركة « قادش » كما انهم كانوا ضمن شعوب البحر فى حربهم ضد « مرنبتاح » ، وفى عهد « رمسيس الثالث » أصبحوا يباشرون زراعة أرض خاصة بهم ، كانت بمثابة مكافآت منحت لهم نظير خدماتهم الحربية(٥٩) ، ويرجح ان الشردن هم الذين أعطوا اسمهم فيما بعد لجزيرة « سردينيا »(٦٠) ويرد اسم « الايقواشا » لأول مرة فى عهد « مرنبتاح » ولن نلتقى بهم بعد ذلك ، ويمكن أن نعدهم مساوين للآخيين فى اليونانية ، وكانوا يعيشون حول « ميلتوس » فى « كاريا » (انظر شكل رقم ١) أما « التورشا » فيمكن ربطهم بالترسينوى أسلاف الاترسكيين وكانوا يعيشون بعيدا فى

« ليديا » ، أما « الشكلش » فيذكروننا بالسيكلوى أو الصقليين(٦١) ، ويرى « البرايت » أن الشكلش غير معروفين ، وأن « الثكر » هم الصقليون الذين أعطوا اسمهم لجزيرة صقلية فيما بعد(٦٢) .

فى عهد « رمسيس الثالث » اتجهت شعوب البحر برا وبحرا الى مصر ، وتوضح آثار هذا الفرعون ان هذا الهجوم كان فى العام الثامن من حكمه ، وقد ضم خمسة شعوب هم : « البلست » و « الثكر » و « الشردين » و « الدانونا » و « الوشش »(٦٣) وقد سبق الحديث عن « الدانونا » و « الشردن » ، أما الشعب الأول « البلست » فهم فلسطينيو التوراة وسوف نفصل الحديث عنهم فيما بعد و « الثكر » هم مجموعة تعرفنا عليهم من الارشادات المصرية فى مدينة هابو حيث يرتدون خوذات تتفق مع النوع الشائع لدى الفلسطينيين وقد استقر فرع من الثكر فى « جبيل » و « دور » من الساحل السورى ، كما أخبرنا بذلك تقرير « ونأمون »(٦٤) ، وقد اشترك الثكر مع الفلسطينيين فى غطاء الرأس وحمل الفأس وارتباط هذا الشعب بالبطل الاغريقى « تيكروس » (تيوكر) ممكن جدا ، وعلى ذلك يبدو ان الثكر كانوا فى « انكومى » (سلاميس) فى قبرص قبل تدميرها قرب نهاية القرن الثالث عشر ق٠م ، وبداية القرن الثانى عشر ق٠م ، حيث ينسب لهذا البطل (تيوكر) تأسيس « اولبا » فى « كليكيا » و « سلاميس » ويؤيد ذلك أيضا انه وجدت أوان من القبر الثالث فى انكومى من نهاية القرن الثالث عشر ق٠م تظهر رجلا يرتدى ما يتفق مع نوع غطاء الرأس الفلسطينى ، كما وجد ختم من الحجر فى احدى خرائب « انكومى » من القرن الثانى عشر ق٠م ، نقش عليه صورة أحد المحاربين يحمل ترسا كبيرا ويرتدى ما يتفق مع نوع غطاء الرأس الفلسطينى ، ولكن لم يكن الثكر هم

الشعب الوحيد من شعوب البحر التى حصلت على موطىء قدم فى قبرص ، فقد اكتشف (ديكايوس فى عام ١٩٥٢ م) تمثالا من البرونز فى « انكومى » لاله يرتدى خوذة من اللباد بها قرون كبيرة نسبيا مشابهة لنوع خوذات الشردن(٦٥) ٠

خلاصة القول ان هذه الشعوب جميعا قد أتت من أماكن مختلفة تدور كلها فى الفلك « الايجى » ويؤيد ذلك الى جانب ما ذكر سابقا ان النوعين المميزين من الخوذات فى مدينة « هابو » قد ظهرت فى نفس الوقت على ما يطلق عليه « اناء المحارب » عند « الموكينيين » فعلى الاناء موكبان لخمسة محاربين ، مجموعة منهم ترتدى خوذات ذات ريش والأخرى ترتدى خوذات ذات قرون وان كانت القرون هنا طويلة مع وجود ريش يخرج من القمة ، فهى بذلك تختلف الى حد ما عن الخوذات ذات القرون القصيرة التى كان يرتديها التحالف البحرى فى مدينة « هابو » وتختلف أيضا عن الخوذات التى كان يرتديها الشردن(٦٦) ، فاذا اعتبرنا هذا الاختلاف نوعا من التطور الذى طرأ عليها يمكن القول انها تدل على اتصال شعوب البحر بالموكينيين ٠

وهكذا فان الصورة العامة لحوالي مائة وخمسين عاما (١٣٧٠ — ١٢٠٠ ق٠م) خلال مجىء الشعوب المختلفة من بحر ايجة وغربى آسيا الصغرى الى الشرق الأدنى تكون على النحو التالى ان هذه الشعوب جاءت فى مجموعات متوالية استوطنت مناطق النفوذ المصرى فى فلسطين بعد أن قضت على الامبراطورية الحيثية فى آسيا الصغرى وهاجمت شمال سوريا « أوجاريت » ثم سارت جنوبا وتجمعت فى « أمورو » ثم تقدمت جنوبا تجاه مصر برا وبحرا وبعد أن هزم جموعهم رمسيس الثالث ظل عدد كبير منهم فى

أرض كنعان (خاصة الفلسطينيين والثكر) بينما رجع الآخرون الى الغرب نهائيا حيث تركوا اسماءهم فى صقلية وسردينيا ، كما احتفظ التاريخ باسم الفلسطينيين للأرض التى نزلوها وهى فلسطين ٠

ثانيا ـ فلسطين

١ ـ جغرافية فلسطين السياسية :

تحدد الخصائص الطبيعية والجغرافية لسورية وفلسطين ، مصيرهما التاريخى ، فتركز طرق المواصلات الأساسية بين ثلاث قارات فى هذه المنطقة يعنى انه قدر لها أن تكون مسرحا لسلسلة من الهجرات والغزوات دون أية فرصة دائمة لانشاء نظم سياسية قوية ، فكانت أرض تجارب للمطامع والمنافسات التجارية والسياسية والحربية للدول الكبيرة المحيطة بها فى مصر وأرض الرافدين وآسيا الصغرى ، ولانها تميزت بالخصوبة كانت منطقة جذب للشعوب المهاجرة التى تدفقت عليها مرة بعد أخرى ، وقد ساعد تلك الهجرات ، ان هذه المنطقة يمكن دخولها من كل جانب والانتقال منها فى أى اتجاه ، فكانت مفتوحة أمام مصر وأرض الرافدين وآسيا الصغرى وسواحل البحر المتوسط فضلا عن الصحراء التى جاء منها الساميون ، ومن الساميين كان الكنعانيون/ الفنيقيون والأدوميون والمؤابيون والعمونيون والعبرانيون ، ومن العناصر غير السامية والتى تعتبر موضع اهتمامنا الفلسطينيون ، وفيما يلى نتحدث عن هذه الشعوب ٠

(أ) الكنعانيون/الفينيقيون :

تذكر التوراة أن كلمة كنعان تعود الى « كنعان بن حام بن نوح »(٦٧) ولكن من الباحثين من يرى أن كلمة كنعان مشتقة

من أصل سامي (خنع ــ قنع ــ كنع) اشارة الى الضعة ومنها مجازا للأرض المنخفضة (الواطئة) لسكناهم على الساحل ، فسمى هؤلاء الساميون بالكنعانيين أى سكان الأراضى المنخفضة ، والرأى المقبول الآن من أكثر المشتغلين بهذه الدراسات أن أصل الكلمة غير سامي ويرجحون اشتقاقه من كلمة « هندو ــ أوربية » تعنى الصبغة القرمزية اذ كانت هذه المنطقة تشتهر بهذه الصبغة عندما اتصل الحوريون(٦٨) ، بهذه البلاد فى القرن الثامن عشر أو السابع عشر ق٠م ومنها اشتقت الكلمة البابلية « كناخى » أو « كيناخى » كما فى رسائل العمارنة ووردت فى اللغة الفينيقية (كينع) وبالعبرية (كنعان) ، وكلها مسميات تدل على الصبغة الأرجوانية ثم جاء الاغريق واتصلوا بهذه الشعوب السامية وأتجروا معها ، واحتكوا بهذه المجتمعات المدنية المتناثرة على الساحل فأطلقوا عليها اسم « فينكس » التى تعنى « القرمز » أو اللون الأرجوانى ومن هذهالكلمة اشتقت كلمة « فينيقيا » وأصبحت ترادف كلمة كنعان وان الكلمتين أصبحتا تعنيان شيئا واحدا ، وهكذا اتفقت التسمية السامية والتسمية اليونانية فى أن تربط بين هذه الشعوب وبين اللون الأحمر ، حيث ان هذه المدن الساحلية تخصصت فى صناعة نوع من الصبغة الأرجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية رخوة تكثر قرب شواطئها ، ومن هنا جاءت نسبتها الى اللون الأحمر(٦٩) وهكذا كانت تسميتهم السامية القديمة « كنعانيين » وباليونانية « فينيقيين » وكلاهما علم على شعب سامي واحد ٠

لم يرد اسم كنعان فى النصوص المصرية ، الا فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ق٠م أى فى عهد « أمنحتب الثانى » الذى ذكر بين قوات « المريانو »(٧٠) ، ستمائة واربعين أسيرا من الكنعانيين الى جانب نسائهم وأطفالهم(٧١) ، حيث انه كان يشار

الى فلسطين وجنوب سـورية فى بداية الألف الثانى ق٠م باسـم « وتنو » وسكانها « عامو » (الآسـيويين) والذى بدا أكثر دقـة بعد عـام ١٥٠٠ ق٠م ، ثم ظهر الى جانب « رتنو » العديد من الاسماء مثل « جاهى » وتضمنت آثار تحتمس الثالث اسم « خارو » كاسـم عام لسـورية وفلسطين(٧٢) ، وتحدثت برديات الرعامسة عن العبيد الكنعانيين من « خارو »(٧٣) ، بينمـا ضمت لوحة النصر للملك « مرنبتاح » كنعـان وخـارو مع اسرائيـل وخاتى ومدن عسقلان وجازر وينعم(٧٤) ٠

حالت طبيعة المنطقة التى استوطنها الكنعانيون ، فضـلا عن انهم كانوا محاطين بجيران أقوياء ، دون تأسيس دولة قوية موحدة ، فاتخذ تنظيمهم السـياسى شكل دول قائمة فى مدن حصينة مبنيـة فوق أرض مرتفعـة ، كانت هـذه المدن تمتد من « أوجـاريت » (رأس الشمرا) شـمالا الى « غزة » جنوبا ومن مدنهم الداخليـة « أريحـا » و « جازر » و « أورشليم » و « شكيم »(٧٥) ، وأقـدم ذكر لعدد من المدن الكنعانيـة جاء فى نصـوص مسمارية من « أبلا » (تل مرديخ حاليا بشمال سوريا) اذ يعود تاريخهـا الى القرن الرابع والعشرين ق٠م(٧٦) ، كما وردت بعض أسـماء هذه المدن فى نصـوص مصرية من عصر الأسرة الثانيـة عشرة وهى المعروفـة باسم « نصوص اللعنة »(٧٧) ، كمـا ورد ذكرها فى التقـارير الحربية للملك « تحتمس الثالث » وفى رسـائل العمارنة ، ولها وصف فى أسفار العهد القديم كسفرى يشوع والقضاة(٧٨) وهكذا فان الحديث عن الكنعانيين يعنى الحديث عن فرع من الشـعوب الساميـة التي استوطنت جنوب بلاد الشـام وأخـذت اسـمها مما اشتهرت به تلك المنطقة ، وعند الغزو الاسرائيلى كان الكنعانيون مستقرين فى منطقـة تمتد من النقب جنوبا حتى شـمال لبنـان بالاضافة الى دمشق وبيت شان(٧٩) ٠

ينتهى تاريخ فلسطين الكنعانيــة عمليا بدخول بنى اسرائيل اليها فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ق٠م ، وغزو شعوب البحر لها فى أوائل القرن الثـانى عشر ق٠م وان ظلت الأوديــة والسهول لمدة قرنين بعد ذلك أهلة بولايات المدن الكنعانيــة ولكن الكنعــانيين كانوا قد استنفدوا كل نشــاطهم الحضــارى الذى سندهم حتى ذلك الوقت(٨٠) ٠

(ب) الأدوميـــون :

تنسب التوراة الأدوميين الى « أدم » وهو « عيسو » الأخ الأكبر « ليعقوب » (اسرائيل) وهم بدو اشتركوا فى الهجرة الأرامية ولكنهم سبقوا الاسرائيليين فى الرحيل من الصحراء الى جنوب بلاد الشام(٨١) أما موطنهم فقد كان فى جنوب بلاد شرق الأردن وجنوب وادى الحسا الذى ينساب الى الطرف الجنوبى من البحر الميت فى منطقة الجبــال شرقى وادى العربة(٨٢) ، ويطلق العهد القديم على هذا الاقليم اسم « سعير »(٨٣) ،كما يشير العهد القديم الى أن الأدوميين طردوا الحوريين من هــذه المنطقــة واستوطنوها(٨٤) ، وعلى ذلك كانت أدوم تقع فى نقطة لا تتصــل بالاسرائيليين بحدود مباشرة ، وبالتــالى فلم تكن هنــاك أسبابا ظاهرة للعداوة بينهمـــا فضلا عن أن أرضهم طبقا لرواية العهد القديم قد حرمها رب اسرائيل على شعبه(٨٥) ومع ذلك فان الاسرائيليين كانوا يعدون الأدوميين من ألد أعدائهم حتى أن المنازعات بين الفريقين استمرت عدة قرون بسبب عوامل نفسية كمــا يرى العهد القديم ، فالأدوميون يحسون أن الاسرائيليين قد سرقوا حقهم فى البركة والبكروته(٨٦) ، ومن هنا أتى موقف الأدوميين من الاسرائيليين أثنــاء التيه فى الصحراء(٨٧)، وان كنا نرى ان هــذا لا يكفى لاستمرار العــداوة بين الشعبين ، ولكن هنــاك عوامــل أخرى ، حيث أن أدوم كانت ذات أهميــة

اقتصادية كبيرة بالنسبة لاسرائيل ، فهى فى الطريق الى خليج العقبة ومن ثم الى البحر الأحمر ، فضـلا عن انها تحتوى على كثير من الرواسـب المعدنيـة على حدود وادى عربة ، حيث أن الصحراء العربية والتى تمتد من جنوب البحر الميت حتى خليج العقبة ــ كانت غنية بمعدنى النحـاس والحديد(٨٨) ٠

كان الأدوميون يحكمون فى البداية بأمراء يشبهون شـيوخ القبائل ، ثم اسـتطاعوا بعد ذلك تكوين مملكة ربما كان ملوكهـا منتخبين وقد جلس على عرشـها ثمانيـة ملوك قبـل أن يكون الاسرائيليون مملكه لهم وقبل أن يستولى داود عليها(٨٩) ، لم يكن الحكم فى أدوم وراثيـا ، وكانت عاصمة كل ملك تختلف عن عاصمة الآخر ، فكانت « سـالع » عاصمة « أدوم » ثم تغير اسـمها الى البتراء ، وهى واحدة من أشـهر مدن العالم القديم وتقع الى الشرق من وادى عربة فى منتصف المسافـة تقريبا بين رأس خليج العقبـة والبحر الميت(٩٠) ، وقد عرفت بلاد أدوم فى اليونانيـة باسـم « أدوميـا » أما بربة أدوم فهى الواقعة جنوب البحر الميت(٩١) ٠

(ج) المؤابيـون :

ينسب المؤابيون طبقا لرواية العهـد القـديم الى مؤاب بن لوط(٩٢) ، وهم من الشـعوب التى تتصـل بالعبرانيين بصـلة قرابة عن طريق « لوط » كما ان « راعوث » جدة « داود » امرأة مؤابية(٩٣) ، ويقع اقليم مؤاب شـمال وادى الحسـا ، المعروف فى العهد القديم بوادى « زاد » وقد امتدت مملكة مؤاب من شرق البحر الميت حتى الصـحراء واتسعت شـمالا حتى وادى الموجب (نهر ارنون) ويتكون من وادى « دلة » الذى يأتى من الشـمال الشرقى ، ووادى عنقيلة الآتى من الشرق ، وسيل الصعدة الآتى من

الجنوب(٩٤) ، كانت مؤاب مثل أدوم حصينة قوية ذات مواقع استراتيجية على الحدود وفى الداخل ، ولهذا اضطر الاسرائيليون اثناء التيه أن يكفوا عن الاستمرار فى السير فى البرية التى قبالة مؤاب الى شروق الشمس حتى وصلوا الى الجانب الآخر من ارنون(٩٥) .

كانت فرصة مؤاب الوحيدة فى التوسع هي الاتجاه نحو الشمال فيما وراء (أرنون) ومن هذه المنطقة اتصلوا بالاسرائيليين اتصالا مباشرا(٩٦) ، ويتضح من النقش الموجود على الحجر المؤابى(٩٧) ، ان لغة مؤاب كانت من اللهجات التى كتب بها العهد القديم وهى المعروفة عادة بالعبرانية .

وباستثناء نقش « ميشع » لم يعثر حتى الآن الا على اثنين من نقوش المؤابيين الأول كسرة من الحجر البازلتى الأسود منقوش عليها ستة أحرف ، واحد منها فقط واضح تماما وقد عثر عليها فى « ذيبان » عام ١٩٥١ م(٩٨) والآخر هو أيضا كسرة من الحجر البازلتى الأسود عثر عليها بالقرب من الكرك ، وتحمل نقشا من ثلاثة أسطر فقد كل منها بدايته ونهايته بحيث لم يبق الذين علقوا على هذا النقش على انه للملك « ميشع » وان هذا السطر كان يقرأ أصلا كما يقرأ السطر الأول من نقش « ميشع » « أنا ميشع بن كموش ياتي ملك مؤاب »(١٠٠) ، وبالاضافة الى « بالاك بن صفور » و « عجلون » اللذين ذكرا فى العهد القديم(١٠١) ، فان من تعرف أسماؤهم من ملوك المؤابيين هم « كموش ياتي » وقد ذكر فى نقشي ميشع ونقش الكرك ، و « مبشع » الذي ذكر فى نقش ميشع وكان معاصرا لبعض الوقت لكل من أخاب (٨٧١ ــ ٨٥٢ ق٠م) وابنيه « احازيا » (٨٥٢ ــ ٨٥١ ق٠م) و « يهورام » (٨٥١ ــ ٨٤٢ ق٠م) ،

« سامانو » وذكر فى أخبـار سنة ٧٣٢ ق٠م من حوليـات الملك الآشورى « تيجلات بيليسر » الثالث ، « كاموش ناداب » ذكر فى أخبار سنة ٧٠١ ق٠م فى أحد نقوش الملك الآشـورى « سناحريب »، « موسرى » الذى ذكر فى أحد نقوش الملك الآشـورى « اسرحدون » وفى أحد نقوش « أشوربانيبال » ، « كاماشالتو » ذكر فى أحد نقوش « أشوربانيبال »(١٠٢) ٠

(د) العبرانيـــون :

يبـدأ تاريخ العبرانيين الحقيقى بخروجهم من مصر ، والذى اختلف المؤرخون حوله اختلافا كبيرا ، فيرى « رولى » ان الخروج كان من اعتلاء « مرنبتاح » العرش بوقت قصير(١٠٣) ، أما « ميك » فيرى أن الخـــروج كان فى عهد « ســـتى الثـــانى » حـــوالى ١٢٠٠ ق٠م(١٠٤) بينمـا ذهب « روتون » الى انه كان هنـــاك خروجان الأول فى عصر الأسرة التاسعة عشرة والثانى أيام الأسرة العشرين(١٠٥) ويرى « البرايت » ان هنـــاك خروجين أيضـا ولكن الأول حـــوالى ١٤٠٠ ق٠م والثـــانى فى بدايـة عهـد رمسيس الثانى(١٠٦) وان كان الباحث يميل الى ان خروج بنى اسرائيـل كان فى بداية حكم « رمسيس الثانى » ، فعلاوة على اتفـاق بعض المؤرخين على وجـود خروج فى تلك الفترة (روتون ــ البرايت) تثبت الأدلة الأثرية أن استقرار بنى اسرائيل فى فلسطين كان فى النصف الثـانى من القرن الثـالث ق٠م حيث دمرت « تل بيت مرسيم » حوالى ١٢٤٠ ق٠م و « لخيش » حوالى ١٢٣٠ ق٠م أو ١٢٢٠ قمم(١٠٧) ويرى « البرايت » أن تدمير « أريحـا » كان سابقـا لهذين التدمـيرين(١٠٨) فاذا علمنـا أن الاسرائيليين ظلوا فى التيه فترة من الزمن ، تقدرها التوراة بأربعين عاما فان ذلك يعود بنا الى بداية حكم « رمسيس الثـانى » الذى ارتقى

العرش حوالى ١٢٩٠ ق٠م ، كما أن ذكر اسم اسرائيل على لوحة النصر للملك « مرنبتاح » يدل على استقرارهم بفلسطين بعد خروجهم من التيه ، وساعدهم على ذلك أحوال فلسطين الداخلية حيث وجد نوع من الفراغ السياسى نتيجة ضعف الدول المحلية الصغيرة التى كانت قائمة فى فلسطين ، وتميز هذه الفترة (النصف الثانى من عهد رمسيس الثانى) بالهدوء وعدم تجديد الحملات الحربية الى فلسطين ٠

على أى حال فبعد أن خرج بنى اسرائيل من مصر قضوا فترة من الزمن فى التيه ثم واصلوا سيرهم حتى استقروا فى الجهة الجنوبية الشرقية من فلسطين (بادية شرق الأردن) بعد أن وجد موسى مقاومة شديدة فى الدخول الى فلسطين عن طريق « وادى عربة » و « النقب » ومات موسى قبل أن يصل الى الأرض التى كانت محط آمال شعبه ، فأخذ « يشوع » على عاتقه قيادة الشعب لدخول أرض فلسطين عبر الأردن ٠

كان النظام السائد فى أرض فلسطين هو نظام (دولة ـ المدينة) وقد سهل هذا سقوطها فى يد الاسرائيليين واحدة بعد الأخرى ، فكانت « أريحا » أولى المدن التى سقطت فى يد « يشوع » ومن أريحا انطلق فى ثلاث حملات خاطفة الأولى الى وسط فلسطين والثانية الى جنوبها والأخيرة الى شمالها ، احتل نتيجة لها كل أرجاء فلسطين فى فترة وجيزة(١٠٩) ، ويبدو أن شغل الاسرائيليين للمواقع المختلفة فى فلسطين كان بطيئا فى أول الأمر (مثل ما حدث فى أريحا) ثم جرى بعد ذلك بسرعة نسبية ، وفى حوالى نهاية القرن الثالث عشر ق٠م كان الاسرائيليون على ما يبدو فى مرحلة الاستقرار فى كل المناطق الجبلية على جانبى الأردن(١١٠) لكنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء على المدن المحصنة فى السهول

ووديان الأنهار لفشلهم فى التغلب على المركبات الحربية الكنعانية (ويؤيد ذلك أن مدينتى « مجدو » و « تيت شان » قاومتا بنى اسرائيل لعدة أجيال بعد ذلك) فى الوقت الذى ساعدهم انتشار اقامة صهاريج المياه على السكنى فى المناطق الجبلية والاستقرار فى أى مكان تسقط فيه الأمطار ، بينما اضطر الكنعانيون للاقامة فى المواقع القريبة من الينابيع أو جداول المياه الدائمة(١١١) .

لم تقتصر حركة الفتح العبرى لفلسطين على الغزو المسلح ، فربما تم جانب منها بالتغلغل السلمى ، فلم يكد النازحون الجدد يضمنون لأنفسهم موطنا فى الأرض الزراعية ، حتى وطدوا أقدامهم بالتزاوج مع العناصر القديمة فى البلاد ، وكذلك بالانضمام لأقاربهم الذين كانوا قد استقروا من قبل فى فلسطين ولم يشاركوا فى حركة الخروج من مصر ، جملة القول ان هذه العملية أفضت الى أن أصبح الأهلون القدماء فى قبضة العبرانيين اما بالمعاهدات أو الفتح المسلح أو بضمهم اليهم شيئا فشيئا(١١٢).

تشير نصوص العهد القديم الى انه على أثر الاستيلاء على هذه الأرض قسمت بين الاحد عشر سبطا التى كان يتألف منها العبرانيون ، بينما ترك سبط « لاوى » موزعا بين الأسباط الأخرى ليدير أفرادها حاجاتهم الدينية ، وكان من جراء ذلك أن سكن سبطا « يهوذا » و « بنيامين » الاقليم الجبلى الواقع حول « أورشليم » بينما استوطنت الأسباط السهول الخصبة مع الشمال(١١٣) ، وكانت مدة الاستقرار لهؤلاء القوم تتفق مع ما يسمى « عصر القضاة »(١١٤) . كان نظام الاسرائيليين وحكمهم يقومان على أساس الحكم الأبوى فى الأسرة ، وكان شيوخ العشائر يجتمعون فى مجلس من الكبراء للحكم والفصل فى شئون

القبيلة ، وهو الذى يتعـاون مع زعماء القبائل الأخرى اذا ألجأتهم الى ذلك الظروف القاهرة التى لا مفر من التعاون فيها(١١٥) ٠

خلاصة القول أن العبرانيين هم احدى الجماعات التى استقرت فى فلسطين ولم يكونوا الشـعب الوحيد ، وكان لابد من الصراع بين هـذه الجماعات التى استقرت فى فلسـطين ومنهم الكنعـانيون والحيثيون والأموريون والفريزيون واليبوسيون الذين سـكنوا مع بنى اسرائيل وارتبطوا بهم برباط المصـاهرة واشتركوا معهم فى العبـادة ، وكان الفلسطينيون أقوى المنافسـين الذين كان عـلى العبرانيين أن يقاتلوهم لأمتلاك الأرض(١١٦) ٠

(هـ) الفلسـطينيون :

كان الفلسطينيون ضـمن شـعوب البحـر التى نزلت على الساحل الفلسطينى فى الموجة الأخيرة وحاولوا دخول مصر فى بداية القرن الثانى عشر ق٠م ولكن رمسيس الثالث تمكن من الانتصـار عليهم ، ثم سـمح لهم باسـتيطان السـهل السـاحلى من جنوب فلسطين(١١٧) ، وتروى نصـوص العهد القديم أن الفلسطينيين انحدروا عن كفتور بن مصرايم (مصر) أو « لوديم » الليديين ، وسلالات متنوعة مصرية وشمال افريقية(١١٨) ٠

معنى ذلك أن الفلسطينين أتو من مصر ، ولكن ربما يرجع هذا الاعتقاد الى أنهم وشعوب البحر الآخرين استقروا فى السـهل الساحلى من جنوب فلسطين أولا ، كما انهم خدموا كجنود مرتزقة فى الجيش المصرى(١١٩) ، ولكن طبقـا لسـفرى « عـاموس » و « التثنية » فانهم جاءوا من « كفتور » احدى جزر البحر(١٢٠) (انظر فيما بعد أصل الفلسطينيين) ٠

حدود اقليم الفلسطينيين :

ذكرت نصوص العهد القديم « حدود أقليم الفنسيطينيين » هذه هي الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين ،

هذا الاعتقــاد الى أنهم وشعوب البحر الآخرين استقروا فى السهل الساحلى من جنوب فلسطين أولا ، كمــا أنهم خدموا كجنود مرتزقة من الشيحور الذى هو أمــام مصر الى تخم « عقرون » شــمالا تحسب للكنعانيين أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودى ، والأشقلونى والجتى والعقرونى والعويين(١٢١) ، وحــدود هــذه المنطقــة جغرافيــا هى وادى العريش جنوبــا (أما الشيحور على الحدود الشرقية للدلتا فهو نهاية المنطقة التى استقر فيها العريون جنوب غزة)(١٢٢) وخربة المقنــع شــمال عقرون ، فى الشــمال الشرقى و « يهوذا » شرقا والبحر المتوسط غربا ، وهذه الحدود تتفق جغرافيــا مع المنطقة التى استوطنها الفلسطينيون مدة طويلة بعد وصولهم الى فلســطين وقبل توسعهم خــلال القرن الحادى عشر ق٠م ، قبل الاستيطان الفلسطينى كانت هذه المنطقــة تعتبر كنعانيــة ، فطبقا لرواية العهد القديم كانت موطن العناقيين(١٢٣)٠

خلال القرن الحــادى عشر ق٠م وسع الفلسطينيون حدودهم وصلوا نهر « قيشون » شــمالا ، واستولوا على مناطق كثير ة من أقليم « يهوذا » شرقا ، وقد ذكرت « تمنة » (تل البيتاش ؟) فى عهد « شمشون » كمدينــة فلسطينية ٠ وان كان « دوثان » يرى ان سيطرة الفلسطينيين على أودية ومدن «يزعيل » و « بيت شان » ليست حقيقيــة ، وأن سيطرتهم فى أى مرحلة من مراحل تاريخهم لم تتعد الاقليم الذى حدد فى سفر « يشوع » أصحــاح ١٣ مع مد الحد الشــمالى للاقليم الســاحلى حتى نهر « ياركون » (قيشون) وأجزاء صغيرة من المرتفعــات اليهودية شرقا ، أما توسعهم جنوبا فيشار اليه « بجنوب الكريتيين »(١٢٤) ولكن وجد ما يدل على وجود الفلسطينيين فى المناطــق التى رفض « دوثان » ســيطرتهم عليها فقد عثر على مقابض أسلحة قبرصية الصنع فى توابيت من الصلصال على هيئــة أدمية ، وبقايا أخرى فى اماكن الحصــون فى

« بيت شان » شمال وادى الأردن حتى تل الفرعا فى « النقب » غرب فلسطين حيث انتشرت عادة دفن الموتى فى توابيت أدمية الشكل من الفخار ، وهى عادة اقتبسها « الكنعانيون » عن المصريين قبيل مجيء الفلسطينيين(١٢٥) ، ووجود هذه القابض داخل توابيت الدفن يدل على الاستقرار ، فلو كان وجودها نتيجة حرب خاطفة لوجدت مبعثرة أو حتى ما وجدت بالمرة ولكن سيطرتهم على تلك المناطق مكنهم من وضع هذه الأشياء داخل توابيت الدفن بشكل مكن العلماء من العثور عليها ٠

ويؤيد سيطرة الفلسطينيين على المناطق التى رفضها « دوثان » ، الأدلة الأثرية التى وجدها « فرنكين » مؤخرا فى « تل دير علا » (سوكوث) فى وادى الأردن ، ففى « شاروحين » وجد مبنى أسسه « ستى الثانى » (١٢١٦ ـ ١٢١٠ ق٠م) عثر بداخله على فخار ينتمى للفخار الفلسطينى ، وأيد ذلك وجود أربع شقفات من اناء ضخم عليها نقش هيروغليفى يحمل اسم « ستى الثانى » وعندما جمعت الشقاف التى وجدت فى أماكن مختلفة من هذا المبنى أظهرت أن تاريخ هذا الاناء الكبير يرجع الى أيام تأسيس « ستى الثانى » لهذا الحصن ، كما أنه بنى حصونا مماثلة فى الاقليم الممتد بين الدلتا وجنوب فلسطين ، ويتبع ذلك أن الفلسطينيين استقروا هناك كجنود حاميات فى الفترة بين تأسيس تلك الحصون وتدميرها فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر ق٠م ٠ وما وجد فى « دير علا » كان أكثر أهمية ، فعلى أرضية معبد يرجع لعصر البرونز المتأخر (حوالى ١٢٠٠ ق٠م) وجدت أنية محطمة نقش عليها خرطوش للملكة « تاوسرت » التى حكمت فى أواخر الأسرة التاسعة عشرة ، كما وجد فى « بيت شان » ثلاث لوحات ملكية مصرية وجزء من لوحة رابعة ، وقد أرخ

الفخار الفلسطينى الذى وجد فى نفس الطبقة بعد تاريخ هذه اللوحات مباشرة ، وقد احتوت هذه اللوحات على خمسين اشارة جمعت فى خمس عشرة كلمة قسمت بفواصل رأسيه ، ويمكننا أن نفعل ذلك مع المقاطع الصوتية ، فيتضح أنها تشبه القبرصية فى جزء منها وفى جزء آخر تشبه الكارية ، اذا فمن المحتمل جدا أن هذه اللوحات ترجع للنصوص الفلسطينية القديمة(١٢٦) ٠

وجاء الدليل القاطع على استقرار الفلسطينيين فى المناطق التى زعم « دوثان » أنهم لم يسيطروا عليها مطلقا من مقارنة ما وجد على توابيت من الصلصال على هيئة أدمية فى « بيت شان » مع اشارات « رمسيس الثالث » للفلسطينيين فى مدينة « هابو » فعلى توابيت الموتى فى « بيت شان » وجدت رؤوس أدمية مزينة بالزخارف على الخوذات ذات الريش والتى ظهرت أنها من نفس النوع الذى وجد منسوبا للفلسطينيين فى مدينة « هاتو »(١٢٧) ٠

وهكذا تثبت الأدلة الأثرية سيطرة الفلسطينيين فى مرحلة من مراحل تاريخهم على مناطق داخلية فى فلسطين علاوة على الاقليم الساحلى الذى تحدثت عنه نصوص العهد القديم ٠

المدن الفلسطينية :

استوطن الفلسطينيون خمس مدن كبيرة عرفت باسم « البنتابولس » Pentapolis وهى « غزة » و « عسقلان » و « أشدود » وتقع جميعا بالقرب من الساحل (انظر الشكل رقم ٣) وقد عرفت كمدن مهمة قبل الاستيطان الفلسطينى ، فكانت بمثابة نقط مصرية حصينة وحيوية لحماية الطريق الساحلى بين مصر وآسيا خلال العصور البرونزية ، أما المدينتان الأخيرتان فتقعان فى الداخل وهما « جت » و « عقرون » أما « جت » فان

موقعها القديم غير معروف وان كان أمر وجودها قبل الغزو الفلسطينى لاشك فيه ، وتعتبر « عقرون » المدينة الوحيدة التى اقامها الفلسطينيون حيث لم يذكرها أى مصدر قبل مجيئهم(١٢٨) ، كان يحكم كل مدينة من هذه المدن « أمير » يشغل فى نفس الوقت منصب قائد الجيش ، وقد ارتبطت بروابط أشد مما عهدناه بين المدن الكنعانية وكانت أرضهم من أخصب البقاع(١٢٩) .

الوطن الأصلى للفلسطينيين :

قام جدل طويل بين العلماء حول تحديد الموطن الأصلى للفلسطينيين فتناولوا هذه المشكلة من ثلاث زوايا فيولوجيا (فقه اللغة) وعلى الآثار والأدب (المقصود بالأدب هنا الأساطير اليونانية) ولوجود اختلافات جوهرية بين الاتجاهات الثلاثة فانه من الصعب الوصول الى نتائج حاسمة ، وقد اقترح معظم الباحثين انهم انحدروا من « كريت » الى آسيا الصغرى ، ولكن هناك من لم يسلم بذلك تماما ، ومع أن معظم الباحثين يميل الى تعريف « كفتور » و « كفتيو » « تكريت » الا أن هناك من يرى أن « كفتور » هى « كليكيا » كما جاءت فى الترجمة السبعينية ، على أساس أن « كفتور » و « كفتيو » هى أسماء مدن فى جنوب شرق آسيا الصغرى وبالتحديد « كبادوكيا »(١٣٠) ولكن يبدو ان هذا التعريف يرجع الى موقع « كبادوكيا » المهم فى عالم البحر المتوسط وقت اجتماع المترجمين فيها(١٣١) ، وتعرف « كفتور » « بكريت » أيده ما جاء فى سجلات دول ثلاث ، فذكرت النصوص الآكادية « كفتور » بانها الأرض البعيدة ، ومرة أخرى بانها الأرض التى عبر البحر(١٣٢) ، أما فى الوثائق الأوجاريتية فان « كفتور » كانت تعنى غالبا « كريت »(١٣٣) .

وأخيرا فان كلمة « كفتيو » المصرية قريبة جدا من « كفتور » فوجود « ر » ليس عقبة بسبب وجود مشابهات كثيرة لذلك ، كما أن تعريف « كفتور » « بكريت » أيدته الأدلة الأثرية(١٣٤) ٠

وهناك من أرجع أصل الفلسطينيين الى منطقة البحر الأيجى وقد وجد هذا الرأى تأييدا من وجود ريشة الخوذة كما ظهر على صندوق « فاسيتوس » والذى عثر عليه فى جنوب « كريت »(١٣٥) (انظر الشكل رقم ٧) بالاضافه الى أن الفخار الفلسطينى الذى وجد فى أماكن فلسطينية مختلفة كان مشابها للفخار « الموكينى » وقد وجد فى فلسطين جزء من « طست » يبدو من صناعته انه نقل اليها فى القرن الثانى عشر ق٠م ، ورغم الحكم بأن هذا الجزء مشابه لقطع الفخار الفلسطينى التى وجدت فى « سندا » و « انكومى » وهما يقعان فى شمال شرق قبرص الا أنها من أصل « ايجى » كما وجد « فرومارك » فى مرحلة أرخت فيما بين ١٢٢٥ و ١١٧٥ ق٠م فخارا فى « سندا » و « انكومى » أيضا صناعة محلية من نوع الفخار الموكينى يكاد يكون مطابقا تماما لأقدم فخار فلسطينى وجد بفلسطين وهذا الفخار « القبرصى » يشبه الفخار « الموكينى » الذى وجد فى « أرجوس » ولذلك لابد أن يكون قد جاء من اليونان ، وعندما غزا هؤلاء المستوطنون فلسطين ، استمروا فى صنع نفس هذا الفخار على صورة فخار فلسطين(١٣٦) ٠

وهناك من يرى أن الفلسطينيين هم أحد الشعوب « الأليرية » حيث أخذوا اسمهم من اسم المكان « بالاستى » وهو بالاسينى فى اللغة الأليرية(١٣٧) ، وهذا يتفق مع الرأى القائل بأن الفلسطينيين من المنطقة الايجية أو « كريت » حيث اتجهوا الى البحر ووصلوا الى الجزر الايجية و « كريت »(١٣٨) ٠

وهنـــاك وجهـــة نظـر أخرى ترى أن الفلســطينيين من « البلاسجيين »(١٣٩) ، وعلى ذلك يرى « البرايت » صاحب هذا الاتجاه أنهم أتوا من جنوب غرب آسيا الصغرى ٠ كما رأى أن جنوب « طروادة » كانت مستوطنة بالجماعات البلاسجينية ، ثم أرجـع « هيردوت » « الأيونيين » الى أنهم من أصـل « بلاسجينى » ، وأن الشاطىء كان « للبلاسجينيين » قبل أن يستقر « الأيونيون » فى « أيونيــا » كما أن هنــاك اختلاطا فى المصادر بين « التيرانيين » (التورشا فى قائمة شعوب البحر والذين كانوا يعيشون فى ليديا) وبين « البلاسجيين » ، هذا الى جانب اتفاق لغة الفلسطينيين مع لهجة « اللوينيين » (الليكيين والقبرصيين والبسيديين والبامغليين والكيكيين) ويتضـح ذلك من ثلاث اســماء فلسطينيــة لأمراء أو تجـار فى تقريـر « ونأمون » وهم « وار كتير » و « وارت » و « مكمـار » وقد افترض فى عام ١٩٥١ م أن أسماءهم من غرب الأناضول ، وقد أيد هذا الاقتراح فى عام ١٩٦٢ م باجراء تعديل بسيط ومحـاولة تفسير الاسـماء على انها « واركات ــ دارا » و « وارد ــ تا » و « ماك ــ كامولا »(١٤٠) ٠

ويؤيد اتصال الفلسطينيين بالأناضــول أيضا بعض الكلمات الفلسطينيــة التى وردت فى العهد القــديم مثل كلمـــة « زعيم » (زرين) فهى ترجع الى أصـــل « ليدى » أو «اليرى » كما أن اسم « أخيش » فى الترجمة السبعينية والألياذة تشبه تقريبــا اســم « أكوش» Ikusu ملك « عقرون » فى حوليات « اسرحدون » وتضاهى أحيانا اسم « أخيش » فى الرواية الاغريقية والذى ينسب للدردانيين احدى القبــائل الأليرية التى هاجرت الى اليونان وآسيا الصغرى(١٤١) ٠ كما أن الكلمــات العبرية الثلاث « قوبعـة » (خوذة) و « ارجاز » (صندوق) و « بيلجش » (جارية) ترجع

الى أصــل أناضــولى ، كليكى والبرى(١٤٢) · وبالمثــل أيضــا أسماء « تيخول » و « جوليات » و « صقلع »(١٤٣) ويؤيد اتصال الفلسطينيين بالأناضول أيضــا معرفتهم بصناعة الحديد ،والكميات الكبيرة التى وجدت فى الأماكن الفلسطينية فى فلسطين مثل « عين شــــمس » و « تــل يافــا » و « الفرعــا » و « حاصــــور » و « أشدود »(١٤٤) ·

وهكذا تعددت وجهات النظر حول الموطن الأصلى للفلسطينيين، ورغم هــذا يمكن وضــح وجهات النظر هذه فى اتجاهين :

الأول ـ يجعل أصــل الفلسطينيين من « كريت » أو المنطقة الايجية بصفة عامة ·

أما الثانى ـ أن الفلسطينيين من أصل أناضــولى من منطقــة غرب كليكيا وبالتحديد حول نهر « كاليكادنوس » ·

وان كان الباحث يرى انهم جاءوا من المنطقة الايجية بصفة عامة ، أما « كريت » وآسيا الصغرى فما هى الا مناطق استقرار مؤقت أثنــاء هجراتهم الى فلسطين التى أعطوها اسمهم ، وان كان ذلك لا يرجع الى انهم أصبحوا غالبية السكان فيها أو انهم بسطوا نفوذهم عليهــا جميعا ولكن ربما لانهم آخر من نزل بها وتعدد حروبهم مع العبرانيين وكثرة ترديد العهد القديم لاسمهم(١٤٥) ·

٢ ـ بدء الصراع بين العبرانيين والفلسطينيين :

كانت كنعان موطن الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين ، وترك مصيرها للفريق الغالب فالفلسطينيون جاءوا ليستقروا بها ، وكانت قبــائل العبرانيين قد بدأت تستهدف الاستقرار كذلك فيها وقد استطاع الفلسطينيون أن يؤكدوا وجودهم ضــد اسرائيــل

التى لم تكن قد عرفت الوحدة بعد ، وسفر القضاه يوضح أن بنى اسرائيل بعد يشوع حاربوا الكنعانيين فى غرب الأردن ، ونجوا فى بعض حروبهم ولكن نتيجة انحرافاتهم الدينية والخلقية والاجتماعية ، غضب الرب عليهم ، فدفعهم الى أيد أعدائهم ثم أقام عليهم الرب « قضاه » فكان الرب يخلصهم من أعدائهم كل أيام القاضى فاذا مات رجعوا الى الفساد مرة أخرى ، فأراد الرب أن يمتحنهم ، وكان من بين الأمم التى تركها الرب ليمتحن بها بنى اسرائيل ،الفلسطينيون ٠

هذه فى الحقيقة أسباب دينية من وجهة نظر العهد القديم وهى ليست كل الأسباب فهناك عوامل سياسية واقتصادية كانت وراء متاعب الاسرائيليين فى فلسطين ، منها التنافس بين القبائل الاسرائيلية نفسها الى جانب محاولة هذه القبائل التوسع على حساب جيرانها ، بالاضافة الى أسلوب الحياة الاسرائيلية التى كانت تعتمد أساسا على الرعى فى حين نزلوا فى بعض المناطق الزراعية فكان عليهم أن يغيروا أسلوب حياتهم ، الى جانب انهم كانوا محاطين بممالك قوية ٠

فى ذلك الوقت كان الفلسطينيون قد استقروا فى المنطقة الساحلية واستوطنوا مدنهم الخمس ثم بدأوا فى التوسع شمالا وجنوبا ، حتى أن المدن الساحلية الفلسطينية نافست الموانى الفينيقية فى « صور » و « صيدا » و « جبيل » فى التجارة البحرية خلال القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق٠م(١٤٦)
أما التوسع الداخلى فكان من نتائجه الصدام الرئيسى بين العبريين والفلسطينيين ، ففىالوقت الذى بدأ فيه الفلسطينيون توسعهم الداخلى كان الوجود الاسرائيلى أمرا ثابتا ، وهنا شعر الفلسطينيون بوجود خصم خطير يهدد أمنهم ٠ فحاولوا تحطيم هذه القوة

الجديدة وهى فى طور التكوين ، فكانت معركة « أفيق » وفيها انتصر الفلسطينيون على العبريين ، وكان من نتائجها غزو الفلسطينيين للمناطق الجبلية التى كان يشغلها سبطا « أفرايم » و « بنيامين » فبدا للاسرائيليين أن النصر على هذا العدو لن يتحقق الا عن طريق عون خارق للعادة فأحضروا التابوت المقدس فى المعركة الثانية ليضمنوا وجود ربهم بينهم ، وربما يعنى هذا ان تحالف القبائل الاسرائيلية كان موجودا هنا ضد الفلسطينيين ، والحقيقة أنها كانت المرة الأولى التى يتقدم فيها التحالف القبلى الاسرائيلى للدفاع عن اسرائيل ، ولعل السبب فى ذلك انها كانت المرة الأولى التى يتعرض فيها الوجود الاسرائيلى ذاته للتهديد بقوة الفلسطينيين ورغم ذلك انتصر الفلسطينيون وأخذوا تابوت الرب ومات ابنا « عال » و « حفنى » و « فنحاس » وبررت نصوص العهد القديم هذه الهزيمة بأن « يهوه » قد تخلى عن اسرائيل وأنه لم تعد لديه قوة أمام أعدائهم(١٤٧) ، ولكن الحقيقة أن انتصار الفلسطينيين يرجع لعوامل أخرى منها التفوق فى المعدات الحربية المصنوعة من الحديد ، ووحدة الفلسطينيين ضد التفكك الاسرائيلى بالاضافة الى قوة الفلسطينيين الاقتصادية حيث كانت أرضهم من أخصب البقاع فى فلسطين الغربية(١٤٨) ، وكان الصراع بين الفريقين من أهم عوامل قيام مملكة العبريين وهذا ما سوف نراه فى الفصل الثانى ٠

هوامش الفصل الأول

(١) جون ويلسون : الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخرى ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٤٢٩

الآن جاردنر : مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٣٢٢ .

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ، مصر والعراق ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٢٤٩ .

Terny, J. «Egypt from the Deaht of Ramesses III to the End of the Twenty — first Dynasty», C.A.H. 3., 2B, 1980, P. 626.

Faulkner, R.O., «Egypt from the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Deaht of Ramesses III» C.A,H3, 2A, 1980, P. 254.

وعن ترجمة بردية هاريس انظر : B.A.R., IV §§ 151 ff.

(٢) Kitchen, K.A. The Third Intermediate Period in Egypt (1100 — 650 B.C.) 2nd ed., Warminster, 1986, P. 246.

ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٣٣ .

(٣) جاردنر : مصرر الفراعنة ، ص ٣٢٥ .

(٤) عبد العزير صالح : مصر والعراق ، ص ٢٤٩ — ٢٥١ .

(٥) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٣٥ .

(٦) Terny, A.A.H.3, 2B, 1980, PP. 614 — 615.

جاردنر : مصر الفراعنة ، ٣٢٤ .

(٧) Terny, J., «Fluctuation in Grain Prices during the Twentieth Dynasty», Archiv orientalni, 6, 1933, PP. 173 ff.

(٨) Kitchen, Op. Cit., P. 245., Cerny, C.A.H.3. 2B, 1980, P. 620.

Gardiner, A.H., «Hamesside Texts Relating to Taxation and Transport Corn» J.E.A., 27, 1941, P. 41.

(٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٤٣٥ .

(١٠) بوبوت : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٤٦ .

(١١) ارمان — رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٢٤ .

Terny, C.A.H3., 2B, PP. 620 — 625.

(١٢) Edgerton, W.F., « The Strickes in Ramesses III's Twenty-ninth Year,» J.N.E.S., 10, 1951 P. 137.

(١٣) عن اضرابات العمال انظر : Ibid. PP. 137 — 145;

Wente., E., «A Letter of Complaint to the Vizier To.», J.N.E.S. 20, 1961, PP. 252 — 257.

Faulkner, C.A.H3., 2A, 1980, P. 246.

(١٤) عبد العزيز صالح مصر والعراق ، ص ٢٢٨ .

(١٥) عن هذه التحقيقات انظر :

Weigall, A., Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, PP. 181 — 183.

Peet, E., The Great Tomb — Robberies of the Twentieht Egyptian Dynasty, 2 Vols., Oxford, 1930.

Capart, J., Gardiner, A.H., and Dwalle, V., «New Light on the Ramesside Tomb Robberies», J.E.A., 22, 1936, PP. 169 — 193.

ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٤٧ .

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٣٠ .

(١٦) بردية هاريس انظر : B.A.R., IV, § 361.

Faulkner, C.A.H3., 2A, 1980, P. 246.

(١٧) جاءت أحـداث تلك المؤامرة فى عدة برديات هى : بردية تورين القضائية وبرديتى « رولين » و « لى » وتعد بردية تورين أهمها جميعا ، انظـر :

B.A.R., IV, §§ 416 — 453.

de Buck, A., «The Judical Papyrus of Turin», J.E.A., 23, PP. 152 — — 164.

Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 214 — 216.

محمد سعد الله : الدور السـياسى للملكات فى مصر القديمة ، الاسكندرية ١٩٨٨ ، ص ١٥٤ — ١٦٣ .

(١٨) Terny, J., C.A.H3., 2B 1980, PP. 612 — 613.

(١٩) Terny, J., Op. Cit., P. 620.

(٢٠) يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٤٣ .

(٢١) Terny, J., Op. Cit., P. 620.
Edgerton, W.F., «The Government and Governed in the Egyptian Empire», J.N.E.S., 6, 1947, PP. 154 — 158.

(٢٢) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٤٩ .

(٢٣) انظر أعـلاه ، ص ١٠ .

(٢٤) Lefebvre, G., Histoire des Grands Pretres d'Amon de Karnak, Paris, 1929 M PP. 266 — 267.

وانظر : ص ١٠ — ١١ من نفس الفصل .

(٢٥) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٢٨ — ٣٢٩ .
Terny, Op. Cit., P. 629.

(٢٦) Ibid., PP. 629 — 630.
Peet, E., «The Supposed Revolution of High — Priest Amehotpe under Ramesses IX,» J.E.A., 12, 1926, PP. 254 — 255.

(٢٧) بالقرب من الشيخ فضـل حاليا ، على الضفة الشرقية للنيل ، مقابل مدينة بنى مزار .
انظـر : Gardnier, A.E.O., II, 98*.

(٢٨) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٣٢ .

(٢٩) Terny, J., S.A.H3., 2B, 1980, PP. 633 — 634.

(٣٠) Terny, L., Op. Cit., PP. 635 — 636.

(٣١) جاردنر : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ – ٣٣٣ .

(٣٢) Terny, J. Op. Cit., 636 — 637.

(٣٣) Steindorff, G., and Selle, K.C., When Egypt Ruled the East, Chicago 1954, P. 270.

(٣٤) عن الوحى ودوره فى تاريخ مصر القديم انظر :

Terny, J., «Egyptian Oracles»; in Parker, R.A., A Saite Oracle Papyrus from Thebes, 1961.

سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ٤٤٩ – ٤٤٦ .

(٣٥) Peet, E., J.E.A., 12, PP. 254 — 255.

(٣٦) عن حريحور ورمسيس الحادى عشر انظر :

Botti, G. «Who Succeded Ramesses IX Neferkere ?» J.E.A., 14, 1928. PP. 84 — 51.

Terny, J., «A Note on the Repeating of Births», J.E.A., 15, 1929. PP. 194 — 198.

Wees, H., «Herihor und die Aufrichtung des thebanischen Gottesstaates», in Nachr. Gottingen, 1936.

Peet, T.E., «The Chronological Problems of the Twentieth Dynasty» J.E.A., 14, 1928, PP. 52 — 73.

Nims., C.F., «An Oracle Dated in The Repating of Births», J.N.E.S., 7, 1948, PP. 157 — 162.

Terny, J., C.A.H3., 2B, 1980, PP. 635 — 643.

Kitchen, KA., Third Intermediate, PP. 248 — 254.

(٣٧) Hall, H.R., «Egypt and External Warld in the Timeof Akenaton», J.E.A., 7, 1921, P. 48 f.

Sayce, A.H., «What Happened after the Death of Tut-Ankhamun», J.E.A., 21, 1935, P. 168 f.

Mercer, S.A.B., The Tell-El-Amarna Tablets, Toronto, 1939.
Steindorff and Seele, Op. Cit., P. 241.

Albright, W.F., «The Amarna Latters», A.N.E.T., 1969, PP. 483 — 490;

————— , «The Amarna Letters from Palestine», C.A.H3., **2A** 1980, PP. 98 — 114.

(٣٨) Faulkner, R.O., «The Wars of Sethos 1» J.E.A., 33, 1947, PP. 37 — 38.

Kitchen, K.A., «Some New Light on the Asiatic Wars of Ramesses II» J.E.A., 50, 1964, PP. 68 — 69.

Goedicke, H., «Considerations On The Battle of Kadesh», J.E.A., 25, 1966, PP. 72 — 80

(٣٩) Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 376 — 378.

(٤٠) بوبوت : مصر الفرعونية ، ص ١٣٩ .

(٤١) عن هذه الفترة انظر :

أحمد محمد سعيد : نهاية الأسرة التاسعة عشرة فى مصر (١٢٠٤ — ١١٨٤ ق.م) ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ١٩٨٩ ، لم تنشر بعد .

(٤٢) Wilson, A.N.E.T., PP. 260 — 261.

(٤٣) Edgerton, W.F., and Wilson, J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 35 — 38.

Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 262 — 263.

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣١٤ .

(٤٤) Nelson, H., «The Naval Battle Pictured at Medinet Habu», J.N.E.S., 2, 1943, PP. 40 — 55.

(٤٥) بردية « هاريس »

Gaballa, G.A., Narratire in Egyptian Art, Mainz, 1976, PP. 122 — 126.

B.A.R., IV, §§ 403 — 406.
Wilson, J., «The Libyans and the End of the Egyptian Empire». A.J.S.L., 51, 1935. P. 77.

(٤٦) Edgerton and Wilson ,Op. Cit., P .35.

وانظر الفصل الثالث ص ٩٩ ـ ١٠٣ .

(٤٧) انظر أحوال مصر الداخلية ، ص ١٠ ـ ٢٣ من هذا الفصل .

(٤٨) P.M., VII, PP. 372, 375, 381.

(٤٩) اعتمد الباحث على ترجمة :

بريتشارد : نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، جـ ١ ، ترجمة د. عبد الحميد زايد ، هيئة الآثار ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١٠١ ١٠٩ .

آلان جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٢٣٦ ـ ٢٤٢ .

(٥٠) عن رحلة ونامون انظر :

Gardiner. Late Egyptian Stories, Brussels, 1932.
Leclant, J., «Les relations entre L'Egypte et Phenicia, Lu Voyage d'Ounamon al'Expedition d'Lexandre», in Ward, W., The Role of the Phoenicians in the Insteraction of Medittranean Civilization, Beirut, 1968, PP. 4 — 31.
Wilson, J., A.N.E.T., 1969, PP. 25 — 29.

Goedicke, H., The Report of Wenamun, Baltimore, 1975.

(٥١) انظر ، ص ١٠ ـ ٢٤ .
(٥٢) انظر ، ص ٢٤ ـ ٣٠ .
(٥٣) انظر ، ص ٢٦ .
(٥٤) انظر ، ص ٢٨ ـ ٢٩ . وعن أصل شعوب البحر واستقرارهم فى سورية وجزر البحر المتوسط .

Barnett, R.D., C.A.H3., PP. 369 — 370.; Albright, C.A.H3., PP. 514 — 515.

(٥٥) Edgerton and Wilson, Op., Cit., P. 25.

(٥٦) WainWright, G.A., J.E.A., 47, P. 75.
Barnett, Op. Cit., P. 377.

(٥٧) Gardiner, AE.O., 1, PP. 127* — 128.
Barnett, Op Cit., PP. 361 — 363.

(٥٨) Wainwright, Op. Cit., PP. 71 — 72.
Barnett, Op., Cit., P. 362.

(٥٩) انظر ، ص ٢٧ من نفس الفصل .

(٦٠) Gardiner, A.EO., 1, PP. 149, 199.
Kitchen, K.A., «The Philistines» In Wiseman, D.J., Peoples of The Old Testament Times, Oxford, 1973, P. 58.

جاردنر مصر الفراعنة ، ص ٢٨٧ ــ ٢٨٨ .

(٦١) Wainwright, J.E.A., 25, PP. 151 — 153; and J.E.A., 47, P .72.

(٦٢) Albright, C.A.H3., 2A, 1980, P. 508.

(٦٣) انظر أعلاه ، ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(٦٤) انظر المراجع أعلاه ، ص ٣٠ .

(٦٥) Barnett, C.A.H3., 2A, 1980, P. 376.
Albright, C.A.H3., 2A, 1980, P. 512.

(٦٦) Ibid., P. 508.
Blegen, C.W., «The Expansion of the Mycenaean Civilization, C.A.H3., 2A, 1980, PP. 165 — 187.

(٦٧) سفر التكوين ٩ : ١٨ ، ٢٢ ــ ٢٧ ، وانظر أيضا
The New Bible Dictionary, P. 183.

(٦٨) الحوريون من الأجناس الهندو ــ أريه اتخذوا طريقهم الى الشرق عن طريق التسلل البطيء ثم عن طريق الهجرة العنيفة في ظل ظروف مناسبة .
Speiser, E.A., Introduction to Hurrian, New Haven, 1940.

(٦٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ ، سورية ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٤٧ ــ ٤٨ .
Hitti, Ph. K., History of Syria, London, 1951, PP. 79 — 81.
Millard, A.R., «The Canaanites» in Wiseman, Peoples of the Old Testament Times, Oxford, 1973, P. 34.

(٧٠) هى كلمة هندو ــ اريه تشير الى أعلى طبقة من المحـاربين فى مدن سورية ، وهم الذين كان يعهد اليهم بالعربات وخيولهم الشخصية . جاردنر : مصر الفراعنة ص ٢٢٨ .

(٧١) Wilson, A.N.E.T. 1969, P. 246.

(٧٢) Millard, Op. Cit., PP. 30 — 32.

(٧٣) Caminos, R.A., Late Egyptian Miscellanies, London 1954, PP. 117 — 200.

Erman, A., The Literature of hte Ancient Egyptians, London, 1927 P. 210.

(٧٤) انظر أعلاه ، ص ٢٥ . Wilson, A.N.E.T., P. 376.

(٧٥) The New Bible Dictionary, PP. 183 — 184.

(٧٦) Bermant, Ch., and Weitzman, M., Ebla, An Arelaeological Enigma, London, 1979, PP. 158 — 190.

(٧٧) هى وثائق عبـارة عن أوان وتمـاثيل صغيرة مكتوب عليهـا بخط هيراطيقى ردىء أسماء أصحاب ثورات قائمـة فعلا أو الثورات التى يحتمـل قيامها فى مصر والبلاد المجـاورة ، وكان يظن بناء على هذا انها تقع تحت سلطان ملك مصر ، فاذا هددت بعض القبـائل أو المدن بالثورة أو العصيان فما على الملك الا أن يكسر الأشياء المكتوب عليها أسماؤها وتقرأ التعاويز اللازمة فى احتفال سحرى وفى التو ينتهى العصيان بمأسـاة تقع على رأس العصـاه بطريقـة ما . انظر : البرايت : آثار فلسطين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد عبد القادر ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

(٧٨) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص ١٢٣ .

(٧٩) يشوع ١٣ : ٤ ، حزقيال ٦ : ١٤ .

Millard, Op. Cit., P. 33.

(٨٠) البرايت : المرجع السابق ص ١٧٤ ــ ١٧٥ ، عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٩٥ .

(٨١) The New Bible Dictionary, P. 334.

Lods, A., Israel from its Beginning to the Middle of the Eight Century, London, 1962, P. 58.

التكوين ٢٥ : ٣٠ ، ٣٦ : ١ ، ٨ : ١٩ .

(٨٢) Noth, M., The History of Israel, London, 1065, P. 154.

(٨٣) التكوين ٣٢ : ٣ ، يشوع ٢٤ : ٤ ، حزقيال ٣٥ : ٣ ، ٧ : ١٥ .

(٨٤) التثنيـة ٢ : ١٢ .

(٨٥) Noth, Op. Cit., P. 155.

(٨٦) التكوين ٢٥ : ١٩ — ٣٤ ، ٢٧ : ١ — ٤٥ .

(٨٧) العـدد ٢٠ : ١٨ — ٢١ .

(٨٨) انظر الفصل الثانى ص ٨٤ ، وكذلك . Noth, Op. Cit., P. 196

(٨٩) Lods, Op. Cit., PP. 154 , 185.

(٩٠) قاموس الكتاب المقدس ١/٤٤٥ — ٤٤٦ .

(٩١) اسرائيل ولفنسـون : تاريخ اللغـات الساميـة ، القـاهرة ، ص ١٠٥ .

(٩٢) التكوين ١٩ : ٣٧ . The New Bible Dictionary, P. 834.

(٩٣) راعوث ١ : ٤ .

(٩٤) قاموس الكتاب المقدس ١/٧٥ ، انظر الخريطة رقم ٢ .

(٩٥) العدد ٢١ : ١١ — ١٣ .

(٩٦) Noth, Op. Cit., PP. 155 — 157.

(٩٧) كان المبشر الألمـانى (كلاين) أول من اكتشف هـذا الحجـر فى عام ١٩٦٨ م عند العاصمة المؤابيـة « يبون » (ذبيان الحالية على بعد حوالى ٥ كم شـمال نهر أرنون وشمال غرب عرعير) ولكنه فشـل فى الحصول عليه ، وأثناء وجود الباحث الفرنسى « كليرمونت جانو » فى القدس علم بالأمر فانتقل الى « ديبون » وأخذ الحجر « المؤابى » ونقله الى متحف اللوفر ببـاريس ، والحجر عبـارة عن قطعة من صخور البازلت الأسود ، عرضها ٥٥ سم وطولها ١٠٠ سم وسمكها ٧٥ مم وعليهـا ٣٤ سطرا من الكتابة المؤابية ، وقد اقامه « ميشع » ملك مؤاب حـوالى ٨٥٠ م . تخليدا لانتصـاره على يربعـام ملك اسرائيل وشكرا للاله « كيموش » .

قاموس الكتاب المقدس ٢/٦٢٩ .

The New Bible Dictionary, P. 835.

Clermon-Ganneau, G.A., La Stèle de Mesa, Paris, 1887.

(٩٨) Murphy, P., «A Fragment of a Moabite Incription», B.A.S.O.R., 125, 1952, PP. 20 — 23.

(٩٩) Winnett, F., and Reed, W., «A Moabite Incription from Kerak», B.A.S.O.R., 172, 1963, PP. 1 — 9.

(١٠٠) Freedman, D.N., « A Boabite Inscription from Kerka», B.A.S.O.R., 175, 1964, PP. 50 — 51.

(١٠١) العدد ٢٢ : ٢ ، قضاة ٣ : ١٢ .

(١٠٢) محمود أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين فى العصور القديمة ، ط ١ ، الأردن ١٩٧٨ ، ص ٨٣ — ٨٤ .

Oppenheim, J.R., «The Moabites and Edomites», in Wiseman, Peoples of the Old Testament Times, PP. 229 — 249.

(١٠٣) Rowley, H., From Joseph to Joshua, London 1950, P. 129.

(١٠٤) Meak, T.J., Hebrew Origins, New York, 1950, P. 43.

(١٠٥) Rowton, M.B., « The Problem of the Exodus » P.E.Q., 90, 1958, PP. 50 — 60.

(١٠٦) Albright, B.A.S.O.R., 58, 1935, P. 10f

Aharoni, Land of the Bible, 1970, P. 15 f.

(١٠٧) Kenyon, K.M., Archaeology in the Holy Land, London, 1964, P. 209.

Franken, H.J., «Palestine in the Time of the Nineenth Dynastry, Archaeological Evidence», C.A.H3., 2A, 1980, P. 334.

(١٠٨) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٠٩ .

(١٠٩) «Into the Promised Land,» in New Bible Atlas P. 8.

Eissfeldt, O., «The Hebre wKinkdom», C.A.H3., 2B, 1980, PP. 541 — 548.

(١١٠) عن الأدلة الأثرية لاستقرار الاسرائيليين فى فلسطين انظر :
Franken, C.A.H3., 2A, 1980, PP. 334 — 337.

(١١١) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١١٥ .

(١١٢) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٠ .

(١١٣) Eissfeldt, Op. Cit., 548 — 553.

(١١٤) كان القضاة أبطالا وطنيين وحكاما ولدتهم الأحوال فى الأوقات الحرجة ، وقادوا قومهم لمحاربة الأعداء المجاورين والحكام الأجانب ، وهؤلاء القضاة لم يخلف الواحد منهم الآخر ، بل نجد أكثر من واحد فى أن واحد ، وكان الواحد منهم يطلق عليه أحيانا لقب ملك .

(١١٥) Eissfeldt, Op. Cit., PP. 553 — 560.

(١١٦) القضاة ٣ : ١ — ٧ .

(١١٧) انظر أعلاه ، ص ٣٦ — ٣٧
وكذا Dothan, T., The Philistines and Their Material Culture New Haven and London, 1982, P. 1.

(١١٨) التكوين ١٠ : ١٤ ، أخبار الأيام الأولى ١ : ١١ — ١٢ .

(١١٩) Dothan, Op. Cit., P. 13.

(١٢٠) قاموس ٩ : ٧ ، تثنية ٢ : ٢٣ .

(١٢١) يشوع ١٣ : ٢ — ٣ .

(١٢٢) التثنية ٢ : ٢٣ .

(١٢٣) كان العناقيون يسكنون فى جنوب فلسطين فيما بين القدس والخليل وقد أرهبوا العبرانيين بمجرد رؤيتهم ومن ثم فقد جبنوا على محاربتهم الى أن طردهم كالب واستولى على الخليل منهم ، وقد بقى العناقيون فى « أشدود » حتى بعد الغزو العبرانى .

يشوع ١١ : ٢١ — ٢٢ ، ١٤ : ١٢ — ١٣ .

Dothan, Op. Cit., P. 16

(١٢٤) صموئيل الأول ٣ : ١٤ . Dothan, Op. Cit., PP. 16 — 17.

(١٢٥) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١١٨ .

Albright , C.A.H3., 2A, 1980, P. 509.

Pritchard, Op. Cit., P. 99.

(١٢٦) Albright, Op. Cit., P. 509.

(١٢٧) Wainright, J.E.A., 47, P. 74.

Albright, Op. Cit., PP. 510 — 511.

(١٢٨) Dothan, Op. Cit., PP. 17 — 18, Bible Dictionary, PP. 828, 94, 92.

The New Bible Dictionary, PP. 94 — 95, 354 — 355; 454 — 455.

Gardiner, A.S.O., I. PP. 190 — 191.

(١٢٩) Aharoni, Land of the Bible, PP. 248 — 250.

(١٣٠) Dothan, Op. Cit., P. 20.

Wainwright, «Keftiu» J.E.A., 17, 1931, PP. 26 — 43.

————, «Caphtor, Keftiu and Cappadocia», P.E.F.O., 1931 PP. 203 — 216.

(١٣١) Dohtan, Op. Cit., P. 20

(١٣٢) Malamat, Campaigns to the Mediterranean by Iahdunlim and other Early Mesopotamian Rulers, Chicago, 1965 PP. 365 — 373.

Barnett, C.A.H3., 2A, 1980, P. 315.

(١٣٣) Astaur, M.C., Hellenosemitica, Leiden, 1965, PP. 107 — 110, 173.

(١٣٤) عن الآلة الأثرية انظر :

Vercoutter J., L'Egypte et le Mond eegeen Prehellenique, le Caire, 1956, PP. 110 ff.

(١٣٥) Dothan, Op. Cit., P. 22.

(١٣٦) Albright, C.A.H3., 2A, P. 509.

البرايت : آثار فلسطين ، ص ١١٧ .

Pritchard, J., New Evidence on the Role of the Sea Peoples in Canaan at the Beginning of the Iron Age, Beirut, 1967, P. 99.

Catling, H.W., C.A.H3., 2A, 1980, PP. 188 — 209.

(١٣٧) Bonfante, «Who Were the Philistines» A.J.A., 50, 1946, PP. 252 ff.

(١٣٨) Mazar, The Philistines and their Wars Israel, New Brunswick, 1971, P. 166.

Kitchen, The Philistines, PP. 55 — 56.

(١٣٩) البلاسجيون : سكان بلاد اليونان الاصليين غير الهلينيين ، وقد ظلت بقاياهم نقية فى العصور الكلاسيكية وكانت لغتهم ـ فيما يرى هيردوت ـ بربرية أى غير هلينية .

(١٤٠) Albright ,C.A.H3., PP. 512 — 513.

(١٤١) Barnett, C.A.H3., PP. 372 — 373.

Albright, Op. Cit., P. 516.

Dohtan, Op. Cit., PP. 22 — 23.

الأليــادة ٢ : ٨١٩ .

(١٤٢) Nazar, Op. Cit., P. 166.

(١٤٣) Albright, Op. Cit., P. 513.

(١٤٤) صموئيل الأول ١٣ : ١٩ ـ ٢٢ .

Pritchard, Op. Cit., P. 100.

(١٤٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٣٨ .

(١٤٦) Kitchan, The Philistines, P. 63.

(١٤٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

Eissfeldt, S.A.H3., P .571.

(١٤٨) صموئيل الأول ١٣ : ١٩ ـ ٢٢ .

Aharoni, Land of the Bible, P. 252.

الفصـــل الثـــانى

الانقسام المصرى والملكيـــة الاسرائيلية

من القرن الحادى عشر حتى منتصف القرن العاشر ق٠م

مقدمـــة :

أولا ـ مصـــر

١ ـ الأحوال الداخلية فى عصر الأسرة الحادية والعشرين :

(أ) الحـالة السياسـية ٠

(ب) الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ٠

ثانيـا ـ فلسـطين

١ ـ الملكيـة الاسرائيلية :

(أ) عوامل قيـام الملكية الاسرائيلية ٠

(ب) مفهوم الملكيـــة فى اسرائيل ومقارنته بملكيـــة بلاد الرافـدين ٠

(جـ) الملكية فى بلاد الرافدين : نشأتها ـ تطورها ٠

٢ ـ الاسرائيليون والفلسطينيون والأدوميون فى عصر الملكية :

(أ) شـاول والفلسطينيون ٠

(ب) داود والفلسطينيون ـ الموقف المصرى ٠

(جـ) داود والأدوميون ـ الموقف المصرى ٠

٣ ـ مصـر واسرائيـل :

(أ) زواج سليمان من أميرة مصرية ٠

(ب) الغزو المصرى لفلسطين ٠

مقدمـــة :

رأينا فى الفصل الأول كيف تدهورت أحوال مصر الداخلية من النواحي الاقتصادية والاجتماعيـة والسياسـية والأمنية فى أواخر الأسرة العشرين ، وما ترتب على ذلك من ضـياع هيبة الفرعـون وازدياد نفوذ الكهنة خاصـة كهنة الاله « آمون » ، وتفشى الفساد والرشوة داخل الجهاز الحكومى وارتداء رجـال الجيش للثيـاب الكهنوتيـة للوصـول لأهـدافهم السياسـية ثم انتحال الألقـاب الفرعونية (حريحور) فأصبحوا يكونون دولة داخل دولة ، فكان الانقسام أمرا طبيعيا ونتيجـة حتمية لما مرت به مصر خلال تلك الفترة وسـوف نجد هذا واضحا خـلال عصر الأسرة الحادية والعشرين حيث انقسـمت مصر واقعيـا الى مملكتين ، الأولى فى الشمال والثانية فى الجنوب ، وسنحاول فى الصفحات الأولى من هذا الفصل أن نوضـح سياسـة كلا البيتين الحاكمين تجـاه الآخر ، وانعكاس ذلك على الأحوال الاقتصـادية والاجتماعية والسياسـية والنتائج المترتبة عليها .

كما أوضحنا أثر تلك الأحوال الداخلية المتردية على نفوذ مصر الخـارجى ، وما ترتب عليه من فقدان مصر لأملاكها ونفوذها فى آسـيا ، مما أدى الى وجود نوع من الفراغ السياسى كان عاملا مساعدا لاستقرار عناصر بشرية جديدة ، وقيـام ممالك مستقلة قوية فى سـورية وفلسطين الى جانب الممالك القديمة وعلى أنقاضها

ومحاولة كل منها السيطرة على الأخرى ، مما أدى الى قيام الصراع بينها جميعا والذى كان من أبرزه الصراع المسلح بين الاسرائيليين والفلسطينيين وبين الاسرائيليين والأدوميين ، وقد رأى الاسرائيليون فى قيام النظام الملكى وسيلة للدفاع عن أنفسهم ضد الأعداء ٠

وسوف نحاول ابراز العوامل التى حدت بالاسرائيليين الى ايجاد نظام ملكى وما هو مفهوم الملكية عندهم ومقارنته بالنظم الملكية عند أهل بلاد الرافدين والكنعانيين ، وأخيرا نختتم هذا الفصل بالحديث عن علاقة فلسطين بمصر فى عهدى « داود » و « سليمان » وعلاقة مصر « بأدوم » وبالفلسطينيين ٠

أولا ــ مصر

١ ــ الأحوال الداخلية فى عصر الأسرة الحادية والعشرين

(أ) الحالة السياسية :

ارتبطت سياسة الأسرة الحادية والعشرين بأحداث الفترة الأخيرة من عصر الأسرة العشرين حيث مهدت لهذا العصر فترة أحد عشر عاما بدأت بما اعتبره كبار كهنة « آمون » (عصر نهضة) واقتسم السلطة الفعلية خلال تلك الفترة (١٠٨٠ ــ ١٠٦٩ ق٠م) كل من « نسبانب جد » ، (سمندس) فى « تانيس » وثلاثة من كبار كهنة « آمون » فى « طيبة » هم « حريحور » و « باى عنخ » و « باى نجم الأول »(١) ٠

ما أن توفى « رمسيس الحادى عشر » (حوالى ١٠٦٩ ق٠م) حتى أصبحت مصر تحكم من عاصمتين منفصلتين ، ففى طيبة فى الجنوب أقام كبار كهنة آمون حكومة ثيوقراطية اعتمد تدعيم

سلطتهم فيها على مكانة طيبة العريقة وسلطان الاله آمون الذى فاق كل سلطان ، فضلا عن السيطرة على ثورة « بلاد النوبة » وقد امتدت سيطرتهم حتى مدينة « الحيبة » على مبعدة خمسة كيلو مترات جنوب مدينة « الفشن » بمحافظة بنى سويف ، وعلى الواحات الجنوبية ومناطق التعدين فى « قفط » و « وادى عبادة » و « وادى الكاب »(٢) .

أما تانيس فى الشمال فقد حكم فيها بيت « نسبانب جد » واعتبر أفراد هذا البيت أنفسهم الورثة الشرعيين لملوك الأسرة العشرين بحكم قرابتهم بهم ومصاهرتهم لهم بعد أن دعم رأسهم شرعية سلطته بزواجه من « تانت آمون » سليلة الرعامسة(٣) ولعل هذا الاسم (تانت آمون) يروى قصة هذه السيدة التى يبرزها « ونأمون » على الدوام شريكة للملك « نسبانب جد » اذ من الواضح أنها كانت حلقة الاتصال التى تربط طيبة بتانيس(٤) كما ساعدهم ما حققوه من ثراء ورخاء نتيجة لاشرافهم على تجارة مصر الخارجية مع غربى آسيا وحوض البحر المتوسط، ويتضح ذلك من تقرير « ونأمون » عندما قال له حاكم « جبيل » : « أفلا ترى فى مينائى عشرين سفينة فى علاقات تجارية مع « نسبانب جد » ؟ أما عن صيدا هذا (المكان) الآخر الذى مررت به أليس فيها خمسون سفينة أخرى هناك لها علاقات تجارية مع روكت — ايل »(٥) .

ووجد البيتان الحاكمان فى « طيبة » و « تانيس » انه لا قبل لأحدهما بتجاهل الآخر أو الانفراد بالأمر دونه ، فأتما سياسة الوفاق وزاوجا بين سلطتيهما الدينية والدنيوية عن طريق المصاهرة، فزوج بعض ملوك « تانيس » بناتهم لأبناء كهنة « طيبة » وكفلوا

لهن بذلك المشـاركة فى رياسـة كهنوت « آمون » وحمـل لقب
« حرم الاله » ذى المخصصات والامتيازات الواسـعة والذى اكتسب
صبغة سياسية الى جانب صبغته الدينية(٦) ، وبذلك كفلوا السلام
بين البيتين وفى نفس الوقت ضمن ملوك « تانيس » تزكيـة لامتداد
نفوذهم فى « طيبـة » وكون ملوك « تانيس » يلجـأون الى ذلك
انما كان مقرا لاقـامة « من خبر رع » و « ايسمخب »(٢٥) .
سياسيا ويؤكد ذلك أيضـا أن نشاطهم المعمارى خارج « تانيس »
كان محدوداً ، فقد عثر على نقش صخرى فى محـاجر الدبابيـة
قبالة الجبلين يروى كيف أن « نسبانب جد » جلس فى قصره فى
« منف » يفكر فى عمل يبرز تقواه حتى يناله التمجيد وحين علم ان
بهو الأعمدة الذى بناه « تحتمس الثالث » فى الأقصر قد اغرقـه
الفيضان حتى السقف أرسـل ثلاثة آلاف من رجاله لقطع الحجر
الرملى اللازم للترميم(٧) ، من الواضـح أن هذا العمل لم ينبع من
نفس الملك بل ساقته الظروف اليه فوجدها فرصـة لارضـاء كهنة
« آمون » ورغم أن هذا العمل يعد هزيلا بالقياس لأعمـال الملوك
العظام فى الدولة الحديثـة فان خلفاءه لا يعدو ذكر أثارهم فى مصر
العليا أو الوسـطى سوى معبد صغير « لايزيس » عند سفح الهرم
الأكبر ، ومعبد للملك « سيأمون » فى « منف »(٨) .

واذا كان ملوك « تانيس » كفلوا لبناتهم المشاركة فى رياسـة
كهنوت آمون كما سبقت الاشـارة فان هذه السياسـة كان لها
وجه آخر ، حيث نقلت بنات هؤلاء الملوك الى أزواجهن أو أولادهن
حقوقا شرعيـة استغلها بعضهم فى اتخـاذ الألقاب الملكية من بين
هـؤلاء النسـاء « حيت تاوى » ابنـة « تانت آمون » زوجـة
« نسبانب جد » وقد أصبحت « حنت تاوى » الرئيسـة الأولى
لمحظيات « آمون رع » فى « طيبة » وهو لقب زوجات كبار كهنـة
« آمون »(٩) ، أما « ماغ كارع » فكانت تلقب « ابنة الملك المحبوبة

من صلبه » وكانت تمثل فى « طيبــة » العابدة الالهية والزوجــة الالهية لآمون ، ثم لقبت مرتين على تابوتها بلقب « زوجــة الملك العظمى »(١٠) ، وقد تعددت الآراء حول تحديد اسم والدها(١١) ، ومهما كان الاختلاف فالمتفق عليه أنها ابنة ملك ، اذا فأبوها أحد ملوك « تانيس » ومن هنــا كان لقبها « ابنة الملك المحبوبة من صلبه » ، أما لقب « العابدة الالهية » و « الزوجة الالهية » لآمون فيعنى أنها انتقلت من « تانيس » مقر الملوك الى « طيبة » مقر كبار الكهنــة وأنها أصبحت زوجــة لأحد كبار كهنة آمون ، أما لقبها زوجــة الملك العظمى فربما انتحل زوجها (كبير كهنة آمون) الألقــاب الملكية ، وقد فعل ذلك « باى نجم الأول » فادعى الألقاب الملكيــة وأطلق على نفســـه فى نقوش الواجهـــة الأماميــة لصرح معبد « خونســو » بالكرنك لقب الكاهن الأكبر لآمون « باى نجــم بن بيعنخى » وكان ولده « من خبر رع » عندما يشير الى نفسه يقول انه ابن الملك « باى نجم » « مرى آمون »(١٢) .

ومن كبار الكهنة الذين ادعو الملك أيضــا « من خبر رع » وان لم يظهر اســمه فى الخراطيش الا نادرا على أن يسبقه لقب « الكاهن الأكبر » فقد وجد اسمه داخل خرطوش مرتين ، الأولى على بردية جنازية لابنته « جاســوشن » والأخرى وجد فيها اســمه ولقبه الخاص بكبير كهنة آمون على طبعــات قوالب من الطوب عثر عليهــا فى « الحيبة » بمصر الوســطى ، وأحيانا ما وجد اســمه مقرونا باسم زوجة « ايسمخب » (اس أم خبه) داخل خرطوش وفى حالة واحدة ضم الخرطوش لقب « ملك مصر العليــا والسفلى » مما يشير الى أنه ادعى الملك(١٣) ، والحقيقــة أن ادعــاء كبــار كهنة آمون للملك كان نتيجــة طبيعية لسياســة ملوك « تانيس » تجاه « طيبــة » والتى كانوا يهدفون من ورائها الى بسط نفوذهم وسيادتهم عليها ، فكانت النتيجــة عكس ما أرادوا ، وهذا ما سوف

يحاول أن يتجنبه شاشانق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين عندما يتخذ نفس الوسيلة لبسط سيادته على طيبة(١٤) ٠

وفى سبيل تحقيق الوفاق بين البيتين « الطيبى » و « التانيسى » اعتز فراعنة بيت الشمال بمذهب الاله « آمون » وتلقب أكثر فراعنته بلقب « ستين آمون » و « مرى آمون » أى المصطفى من آمون وحبيب آمون ، كما يتضح تأثير « طيبة » على « تانيس » من مدلولات أسمائهم والتى يتضح منها مدى اصرار أصحابها على الانتساب الى « آمون » رب « طيبة » فاسم « آمون أم نسو » بمعنى آمون هو الملك ، هو اسم طيبى ، وكذلك « باسباخع نوت » (بسوسينس) بمعنى النجم الذى يظهر فى المدينة « طيبة » وأيضا اسم « آمنمؤبى » بمعنى آمون فى أوبت (الأقصر) وبالمثل « سيأمون » بمعنى « ابن آمون »(١٥) ، مما يعنى حرصهم على بقاء صلتهم برب « طيبة » رب الدولة الكبير ، فبعد أن كانت عبادة « ست » والمعبودة الآسيوية « عنات » سائدة فى « بر ـ رعمسيس » على أيام الأسرة التاسعة عشرة ، فانها تلاشت الآن وحل محلها ثالوت « طيبة » (آمون وموت وخونسو) كالهة رئيسية ان لم تكن هى الالهة الوحيدة التى عبدت فى « تانيس » وهذا يدل على ان ملوك « تانيس » كانوا يتقربون للاله الطيبى(١٦) ٠

من الواضح أن تمسك ملوك « تانيس » بالاله « آمون » ومحاولة التقرب للبيت الطيبى كان وراءه دوافع سياسية ، خاصة فى فترة تغلب فيها طابع الدين على حياة المجتمع وافكاره ، حتى أصبح الكاهن الأكبر لآمون يحكم القوم عن طريق استلهام وحى الاله(١٧) الذى كان يتدخل فى كل شىء حتى أدق الأمور الشخصية عن طريق اجابة من وحى آمون وهكذا تسلط الدين على افهام الناس ، حتى

ظنوا ان أرادة « آمون » التى كان يصـدرها الكهان كافيـة لتعرف شئون الحياة وقد أكد الكهنـة ان الاله آمون هو الاله الأول الذى انبثق منه كيان كل الالهـة ، كما أكدوا طبيعته الغامضـة تأكيدا شديدا ، واستخدموا فى سبيل ذلك التورية والجناس بين اسمه وبين فعل « أمن » بمعنى « يختفى » وأما وجود الالهـة الأخرى فكان متجاهلا ولكنهم لم يضطهدوا كما حدث فى عهد « اخناتون » معنى ذلك أن ملوك « تانيس » جعلوا لتوجيهات كبار كهنة آمون من خلال وحى « آمون » نصيبا فى حل مشكلات بلادهم ، ارضـاء للكهنة كشركاء ، ورغبـة فى التخلص من عبء المسئوليات والقـاء عواقبها على عاتق وحى « آمون » وهكذا فان الملكية التانيسية قد استغلت مركز الاله « آمون » الضخم كسـلاح نافع فأصبحت سيادتها الواقعيـة بهـذه الصفـة مقبولة دون خضـوع أكثر من اللازم(١٨) ٠

(ب) الأحوال الاقتصادية والاجتماعية :

أما عن أحـوال مصر الاقتصـادية فى عصر الأسرة الحاديـة والعشرين ، فقد ظلت متدهورة حتى استعان ملوك « تانيس » فى بعض منشـآتهم المعماريـة بأحجـار المبـانى القديمـة فى « بر ــ رعمسيس » وغيرها(١٩) ، ورغم ذلك اسـتمر الفراعنـة فى حب الترف القديم فى شئون الدنيـا ومطـالب الدين ٠ وبنـاء المقـابر الضخمة ، وظلوا أكثر المستفيدين من امكانيـات عصرهم كما فعل فراعنة الأسرة العشرين ، ويوضح ذلك ما كشف من مقابر ملوك « تانيس » وأمرائها وأثريائهـا لاسـيما « بسـوسينس الأول » و « موت نجمة » و « أمنمؤبى » و « أونوجبا ونجد »(٢٠) ، ويوضح ذلك أن حجرة الدفن فى مقبرة « بسـوسينس الأول » قد حوت تابوتا من الجرانيت الوردى ، نقش على غطائه صـورة هذا الملك ،

ووجد أربعة أواني أحشاء رأس كل منها ملون باللون الأزرق والذهبي ومحلي بنصل من الذهب ، كما وجد حاملا طويلا من الذهب ركب فيه « طشت » موضوع علي موقد مربع من البرونز ، وكان يوجد في التابوت نفسه تابوت آخر من الجرانيت الأسود وعند ازالة الغطاء الثقيل الذي كان علي هذا التابوت ظهرت مجموعة من الأسلحة والصولجانات ، ثم هناك تابوت ثالث من الفضة وعندما بديء في أخذ ما علي هيكل « بسوسينس » من حلي ، نزع أولا قناعا فصلت فيه قسمات وجهه وقد صيغ هذا القناع من الذهب ، ثم صفيحة رقيقة من الذهب المنقوش كانت تغطي جميع الجسم ، وكذلك نزع من المومياء اثنا عشر سوار ذراع من ذراعه اليسري ، وعشرة أخرى كانت في الذراع اليمنى ثم أغطية أصابع اليد الي جانب ثلاثين خاتما ، كل هذه المجوهرات كانت من الذهب المطعم بالأحجار كما عملت اغطية أصابع الرجلين على شكل حق من الذهب ، كما وجدت خفان من الذهب(٢١) .

ولا يقصد الباحث من ذلك وصفا للمقبرة بقدر ما يقصد اظهار مدى الاسراف الذى مارسه فراعنة الأسرة الحادية والعشرين رغم تدهور أحوال البلاد الاقتصادية والتي توضحها أيضا قلة النشاط المعماري لكهنة « آمون » حتي لو أخذنا في الاعتبار عوامل الزمن من اتلاف وتخريب فقد أتم « تاي نجم الأول » بناء صرح معبد الاله « خونسو » الذي بداه جده « حريحور » وقد حلي « باي نجم »واجهتي الصرح من الداخل والخارج بالنقوش(٢٢) ، وليس من المؤكد أنه هو الذى شيد مقصورة « أوزيرتب عنخ » في الكرنك ، وان كانت نقوشه وأسماؤه قد وجدت علي احدى براباتها ، ولعل السبب أنه ظهر كما لو كان قد وضع اسمه فقط على آثار موجودة فعلا ، أما آثار « ما سحرتا » و « باي نجم

الثاني » فكانت أقل من ذلك ، بينما أقام « من خبر رع » حائطـا عظيما من اللبن شـمال الكرنك من صـالة « آمون » حتى الخزانة الشمالية لبيت « آمون » وقد وجدت كتل من الطوب المهورة باسمه فى الكرنك(٢٣) ، كمـا شـيد « خبر رع » برجا للمراقبـة الى الجنوب قليلا من « الحيبـة » على مقربـة من قرية نزلة الشرفا الحالية ، ويحدد حصن « الحيبة » الحد الشـمالى لسلطان كهان « آمون » كمـا سبق أن ذكرنا كما كان الهدف من هذا الحصن حماية الحدود ضـد الحـكام المخلين من مرتزقة الليبيين الذين استقروا فى « اهناسية » على مبعدة ٣٢ كم شمال « الحيبة »(٢٤) . فقد كان هؤلاء الليبيون هم العدو الحقيقى لكبار كهنـة « آمون » الأمر الذى دفع هؤلاء الكهنة الكبـار الى اظهار قوتهم ، فحملوا لقب « القائد العظيم لجيش مصر العليـا والسفلى ولكل البلاد » وقد اكتشف فى « الحيبة » أجزاء من رسـائل تشير الى أن الحصن انما كان مقرا لاقامة « من خبر رع » و « ايسمخب »(٢٥) .

كان لتدهور أحوال مصر اقتصـاديا كما سبق ان ذكرنا أكبر الأثر على أحوالها الاجتماعيـة والأمنية ، فاستمرت الاعتداءات على موميـاوات الملوك السابقين (انظر سرقات المقـابر فى الفصل الأول ص ١٤ ــ ١٥) وهـذا يدل على ضعف الفراعنة وفساد الحكومة ، وقد أثار هذا الأمر حزن وغضب كبار كهنة « آمون » فى « طيبة » ، ومن ثم عملوا على نقل موميـاوات الملوك من مقـابرها المسروقـة وأعادوا دفنها فى مكان سرى (وهو ما عرف فيما بعد بخبيئـة الدير البحرى) ، وهنـاك ما يشير الى ان هذا الاتجاه قد بدأ منذ أيام « حريحور » و « باى نجم الأول » غير أن الأمر لم يوضـع موضع التنفيذ الا فى العام العاشر من عهد الملك « سيأمون » حيث تم نقل الموميـاوات الملكيـة فضـلا عن موميـاوات بعض أفراد العائلة

المـالكة ، وأودعت مع ما بقى من أثاثها الجنازى فى مقبرة زوجتـه « نسى خونسو » والتى كانت من قبل لملكة شبه منسبة تدعى « انحعبى » وتقع أسـفل تلال جبانة « طيبة » الغربيـة فى واد صغير جنوب الدير البحرى ، وقد ظلت هذه المقبرة مغلقة منذ ذلك الحين حتى كشف عنهـا بعض أهـالى « القرنة » فى عـام ١٨٨١ م وعثر فيهـا على موميـاوات الملوك « سقنن رع » و « أحمس » و « أمنحتب الأول » و « تحتمس الثـانى » و « الثـالث » و « ستى الأول » و « رمسيس الثانى والثالث » وكبـار الكهنـة « ماسحرتا » و « باى نجـم الأول » والملكات « موت نجمـة » و « ماع كارع »(٢٦) .

مجمل القول أن سياسـة المسالمـة بين البيتين الكبيرين فى « طيبة » و « تانيس » أدت الى الابقاء على نظـام الحكم الثنائى مائة وأربعة وعشرين عاما (١٠٦٩ ــ ١٠٤٥ ق٠م) أى عصر الأسرة الحـادية والعشرين الذى اتسـمت فيه سياسـة مصر بالفتور والانطواء تجاه جنوب غربى آسـيا ، وكان وراء ذلك عوامل داخلية وخارجية تمثلت فى فترة اسـترجاء أعقبت خمسة قرون من اليقظـة المتصلة خلال الدولة الحديثـة ، فلم تتعرض مصر لضربات عنيفـة من الخارج تجبرها على الحركة ، فالخطر الخـارجى يولد الوحدة والتغلب على المشاكل الداخليـة ، ولكن بالنظر للعـالم المحيط بمصر خـلال تلك الفترة نجد أن النوبـة كانت قـد اصطبغت بالحضارة المصرية وربطت مصـايرها بها ، أما بلاد الشام فكانت فى شغل شاغل بمشاكلها الاقليمية بعد أن استقرت شعوب البحر فى مواطنها الجديدة كما سبق أن ذكرنا فى الفصل الأول ص ٤٢ ، ٤٣ فانشغلت كل دويلة ببلاد الشـام بمحـاولة اثبات كيانهـا على حساب جيرانها ، فكانت منافسـة طوائف العبرانيين بعضهم لبعض على الحكم وزعامة الدين ، فضـلا عن حروبهم المتقطعة مع دويلات

الكنعانيين والفلسطينيين كما سبق أن ذكرنا فى الفصل الأول ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ثم نجح « داود » فى تأسيس مملكته على حساب بعض جيرانها كما سيأتى ذكره (عن أحوال فلسطين السياسية والجغرافية انظر الخريطة رقم ٢) • وقد ساعدت هذه الظروف مصر فى المحافظة على حدودها الخاصة وعلى استقلالها خلال عصر الأسرة الحادية والعشرين رغم ضعف وحدة الحكم وتقلص نفوذها الخارجى •

ثانيا ـ فلسطين

١ ـ الملكية الاسرائيلية

(أ) عوامل قيام الملكية الاسرائيلية :

ذكرنا فى الصفحات السابقة من هذا الفصل أن سياسة مصر تجاه جنوب غرب آسيا فى عصر الأسرة الحادية والعشرين اتسمت بالانطواء ، وقد أعطت هذه السياسة لدويلات بلاد الشام الفرصة لمحاولة كل منها اثبات كيانها على حساب جيرانها باستخدام الوسائل المختلفة ، فوجدت قبائل بنى اسرائيل فى الوحدة وسيلة للوقوف فى وجه الأعداء المجاورين ، لذا كانت رغبتهم ملحة فى اتباع النظام الملكى وكانت هناك عدة عوامل حدت بالاسرائيليين الى قيام الملكية •

أول هذه العوامل هو الخطر المحيط بالاسرائيليين فكان الكنعانيون من ناحية والفلسطينيون من ناحية أخرى يضعون الإسرائيليين بين شقى الرحى ، كذلك كان المديانيون والمؤابيون والعمونيون والآراميون يمثلون خطرا دائما على وجودهم وكانت

الفرقة حينئذ تمزق اسرائيل من الداخل حتى أنها كانت فى نهاية الألف الثانيــة فى اضمحلال يكاد يكون تاما(٢٧) . فكان لابد أن يتطلع الاسرائيليون الى الوحدة للحفـاظ على البلاد من غـارات الشعوب المجاورة(٢٨) .

ثانى هـذه العوامل أن الكهنوت الاسرائيلى كان قد تسلمته ايلد ضعيفة منذ أيـام « فينحـاس » الذى لم يكتف هو وأخوه « حفنى » ولدا « عالى » بطمعهما الجشـع بل كانا يمارسـان ضروبا من العبادة الوثنية ، اذ كانت الطقوس الشهوانيـة تمارس فى « الأعياد الوثنية منذ القدس » ، الا أنها لم تدنس الكهنـة ، من نسل « هارون » ولكن هذين الشابين لم يتورعا عن افســاد النسوة اللائى كن يترددن على المعبد المقدس للقيـام بالخـدمات التى كانت تتطلب عملا يليق بالنساء(٢٩) .

ثالث هذه العوامل ، ان الاسرائيليين ربما كانـوا على علم بمحاولات سابقة عن قيـام ملكية اسرائيلية كما حدث على أيـام « جدعون وابيمالك »(٣٠) ، هنـاك نص فى سـفر التثنية يجعل الحكم فى اسرائيل ملكيا(٣١) ، ومن ثم فالملكية الاسرائيلية هى هبة من « يهوه » رب اسرائيل لشعبه(٣٢) .

رابعـا : أن الاسرائيليين كانوا يعيشـون بين أقوام يحـكمهم مـلوك ، فالأدوميون والعمونيون والمؤابيـون ، كان لهم مـلوك ، والفلسطينيون كان لهم اقطـاب أشـبه بالملوك كما كان للفنيقيين ممالك مدن (المدينة ـ الدولة) مما دفع بنى اسرائيـل للمطالبـة بملك يحارب حروبهم ويكون لهم قاضيا ، وعلى ذلك فان الملكيـة الاسرائيلية لم تستقر الا على أسس مقتبسة من الخـارج ، ويتضح هذا من احتفاظهم بنظـامهم القبلى فيما يختص بالشـئون الادارية

وكان هذا من عوامل التنافس بين قبائل الشمال والجنوب والذى كان من عوامل القضاء على الدولة(٣٣) ٠

واضح اذن أن الاسرائيلين كانوا مدفوعين بحكم الظروف على أن يتجهوا هذا الاتجاه فصورت لنا أسفار العهد القديم قبائلهم مترددة بين الحرية القديمة وبين النظام الجديد فكانت تعز عليها حرية البدو القديمة ، ويدفعها الخوف من العدو بالرضا بالأمر الواقع ، ويظهر هذا واضحا من تحذيرات النبى « صمويل » من الاضرار التى تنجم عن خضوعهم لحكم رجل واحد(٣٤) ، معنى ذلك ان الخوف من العدو كان العامل الأساسى والمباشر لقيام الملكية الاسرائيلية ، وزوال هذا الخوف كان من عوامل انقسام تلك المملكة كما سوف نرى فى الفصل الثالث ٠

كان صمويل النبى هو الذى اتخذ الخطوة الأولى لقيام الملكية فى اسرائيل ، فقد كان نبيا كبقية الأنبياء الجوالين الذين كانوا يحملون لقب « الرائى » قبل أن يظهر لقب النبى(٣٥) ، ولكنه كان يمتاز عمن تقدموا بشخصيته ومظهره ، به بدأت النبوة فى بنى اسرائيل فى التبلور بشكل واضح كما تحددت صفات النبى فى مفهومهم وهى صفات زعامة سياسية ودينية ، امتدادا للقضاة ، وان كانت لا تسعى الى تسلم مقاليد الحكم ،بل تبقى لتديره من وراء ستار ، بينما الحاكم ملك يجلس على عرشه ويبايعه رعاياه بتوصية من هذا النبى(٣٦) ، ومن هنا لم يكن عند صمويل النية فى اقامة ملك مستقل ، بل كان كل ما يرجوه أن يكون الملك قائدا حربيا وسندا لكل الشعب ، يخلصهم من الفلسطينيين

وهكذا كان صمويل الوسيلة لقيام الملكية فى اسرائيل ، ورغم ذلك نراه يتردد كثيرا فى اجابة شيوخ اسرائيل الى ما يطلبون ، ثم بعد ذلك يخضع لصمويل طوال حياته(٣٧) ٠

فأنذرهم بغضب الرب ان هو رضى فملك عليهم ملكا ، ولكن احتجاجه كان عديم الجـدوى ، حيث آبى الشـعب أن يسمعوا له وقالوا : « لا بل يكون علينـا ملكا ، فنكون نحن أيضـامثل سائر الشعوب ويقضى لنا ملكنـا ويخرج أمامنـا ويحـارب حروبنـا »(٣٨) ، وسرعان ما ينتهى الأمر باختيار شاول ملكا .

(ب) مفهوم الملكية فى اسرائيل ومقارنته بملكية بلاد النهرين :

ان الدراسة التاريخية لنظم الحكم توضـح فى الحقيقـة مدى التطورات السياسـية والمبـادىء والقيم التى أمن بهـا المجتمـع الانسانى ، ولاشك أن النظم السياسية تعتبر بمثابة تجـارب طويلة المدى فى حيـاة الانسـان فى كافة المجتمعات ، فقد اتخذ انسـان منطقة الشرق الأدنى القديم طابعا مميزا فى تنظيمه السـياسى ، حيث تمكن من تشكيل نظام حكم معين لكل اقليم فى تلك المنطقة بناء على ظروف معينة ، ولقد كان نظام الملكية بصفة خاصة هو نظام الحكم السائد أثناء العصر التاريخى ، ودراسـة النظم السياسية تتطلب تعريف أسسها وتطورها ومدلولها حتى يمكن متابعة ما لحق بهـا من تطورات سياسية وحضـارية وفكرية ، ونحن هنا بصدد شعب حديث العهد بنظام الملكية ، حيث اضطرته بعض العوامل الى الأخذ بها (كما سبق أن ذكرنا) أى أنهـا ليست نابعـة من المجتمـع العبرى ، ولكنهم اسـتمدوها من الكنعـانيين بعد أن اسـتوعبوا ثقافتهم ومظاهر الحيـاة الموجودة على أرضهم والمعروف أن الكنعانيين قد استمدوا نظام الملكية من الأمم المجـاورة وخاصة بلاد النهرين لذلك يجب دراسـة الملكية العراقيـة نشأتها وتطورها ومقارنتـه بالملكية العبرية ، وأيضـا التطورات التى أحدثها العبرانيون فيها لتتطابق مع أفكارهم الدينية الخاصـة بحيث أصبحت كما لو كانت نمطا جديدا .

(ج) الملكية فى بلاد الرافدين ــ نشأتها وتطورها :

أمن المجتمع فى بلاد الرافدين أثناء عصر بداية الأسرات السومرية بنظام الملكية بناء على ظروف تاريخية وحضارية معينة ، وقد اعتمدت هذه الملكية على عدة عناصر أهمها المقومات البيئية والدينية والسياسية ٠

ان محاولة التوصل الى كيفية نشأة الملكية فى بلاد الرافدين توضح أن الانسان العراقى القديم عندما بدأ يتغلب على ظروف البيئة وأن يحل مشاكله الاجتماعية احتاج الى استمرار جهوده وتنظيمها ، مما يتطلب بذل جهود انسانية جماعية وتواجد ادارة وقيادة منظمة ، وتطلب هذا التنظيم تكوين جمعية عمومية لمواطنى المدينة يشترك فيها جميع الأمراء البالغين ، وكانت شئون الحياة اليومية فى الفترات العادية تصرف بارشاد مجلس للشيوخ ، أما فى الأزمات (حالات الحرب مثلا) فكان بوسع الجمعية العمومية أن تخول أحد أعضاء مجلس الشيوخ السلطة المطلقة وتجعله ملكا ولكن هذه الملكية محدودة الزمن تنتهى بانتهاء حالة الأزمة(٣٩) ٠

ويتضح أثر الفكر الدينى على نشأة نظام الملكية من ربط الانسان السومرى فى نصوص نشأة ذلك النظام بالقوى الالهية ، ويتضح ذلك من قائمة الملوك السومرية التى تنص على نزول الملكية من السماء(٤٠) ، يقول النص ((٠٠٠٠ **وعندما نزلت الملكية من السماء كانت أولا فى مدينة أريدو**))(٤٠) ، وانتقلت من مدينة الى أخرى حتى غمر الطوفان الأرض فارتفعت الى السماء وبعد انحسار الطوفان ، نزلت الملكية مرة أخرى من السماء ؛ يقول النص ((٠٠٠٠ **وبعد أن أغرق الطوفان الأرض نزلت الملكية (مرة ثانية) من السماء وكانت أولا فى كيش** ٠٠٠))(٤٢) ،

ويعزز الاعتقاد فى نزول الملكية من السماء ، النص التالى ((.... ان البشر لم يكن يحكمهم ((ملك)) وفى ذلك الوقت لم تكن هناك شارات للملك ولا تاج ... الصولجان والتاج وعصابة الرأس وعصا (الراعى) عند الاله أتوا من السماء ... وحينئذ نزلت الملكية من السماء ...))(٤٣) .

لقد كان ايمان الانسان السومرى بنزول الملكية من السماء يعنى ، أن الملكية هى التى نزلت من السماء وليس الملك ، ولذلك لم ينظر الى الملك كاله ، وعلى ذلك يمكن القول ، أن الملكية نشأت كملكية دينية ينوب فيها الملك الاله فى ادارة شئون البلاد التى هى ملك الآلهة ، فالاله فى نظر الانسان الرافدى القديم يعتبر سيد المدينة الحقيقى ، لذلك كان الملك لا يقوم بأى نشاط مهما كانت طبيعته الا بعد استشارة الاله(٤٤) .

من كل ما تقدم يمكن أن نتوصل الى مفهوم الملكية السومرية بأنها لم تكن من أصل انسانى ولكها أضيفت الى المجتمع البشرى عن طريق الالهة ، فالملك انسان كلف بمسئوليات فوق مستوى البشر ، هذه المسئوليات تستطيع الآلهة سلبها منه وتحويلها لغيره ، كما أن الاختيار الالهى وليست الوارثة ، كان هو مصدر سلطة الملك ، وكانت الأسباب التى يستند اليها الآلهة فى اختيار الملك غريبة فى بعض الأحيان ، فبعض هذه الأسباب ينم عن الاهتمام برفاهية الشعب ، ولو أن الانسان السومرى كان يؤمن بانه خلق كخادم للآلهة وانه ليس من حقه أن يطالب بعضهم ، ولكن الآلهة برحمتها رغبوا أن يتمتع رعاياها بالحكم العادل ، أو بمعنى آخر اذا كان السومريون يعتمدون اعتمادا كليا على الآلهة فقد أدى هذا فى مفهومهم الى الاعتقاد بأن الآلهة قد أقروا العدل كأساس للمجتمع ، وعلى ذلك كانت الالهة تستدعي انسانا

ليحكم المدينــة ، فالحكام الأوائل لم يكونوا مختصــين بالملكيــة على البلاد ولكن بالحكم على مدنهم(٤٥) ٠

ارتبط نظــام الملكيــة ارتباطا وثيقــا بالتنظيم الســـياسى السومرى الذى كان يقوم على أســاس نظــام دويلات المدن(٤٦) ، ما يسمى أحيانا الديمقراطية البدائيــة وكان من أهم مميزات هذا النظــام تكوين جمعيــة عمومية لمواطنى المدينــة كانت وظيفتهــا تتضمن اختيار الملك الذى يرأس حكومة المدينــة ((٠٠٠ **اجتمعت كيش ، ورفعـــوا الى الملكيـــة أبخـــوركيش ٠٠٠ رجـــلا من كيش ٠٠٠**))(٤٧) ، كان هذا الاختيار يقتصر على مرحلة مؤقتــة (مثل مواجهــة الأخطــار الحربيــة) بمعنى أن الملكيــة فى تلك المرحلة لم تكن دائمــة ولا وراثيــة حيث كانت الســلطة تعود الى الجمعية العمومية عند انتهاء مرحلة الأخطار ، ولكن عدم الاســتقرار الذى كان يميز حضــارة العراق بوجــه عــام ، ترتب عليــه كثرة المنازعات والحروب بين دويلات المدن ، مما أدى الى عدم استمرار نظام الديمقراطيــة الأولية ، لأن مثل هــذا النظــام كان يصعب الأخذ به فى مثل هذه المنازعات التى كانت تحتاج الى البت السريع فى القرارات بطريق السلطة الفردية ، وقد أدى هذا الى تجميــع السلطات فى يد الملك بمعنى آخر تحول النظــام الســياسى من هيئته الديمقراطية الأولية الى نوع من الملكيــة الأتوقراطية حيث أصبح من مظــاهر اتجاه نظــام الحكم فى سومر جمع السلطات فى يد الملك ، وحينمــا تمكن بعض الملوك من ذوى الشخصيات القوية من اســتمرار حكمهم ، فقدت الملكيــة احد مظاهرهــا وأصبحت دائمة بعد أن كانت موقوتة(٤٨) ، وتشير بعض النصوص السومرية الى هذا الاتجــاه الأوتوقراطى فى نظــام الحكم قرب أواخر عصر بداية الأسرات السومرية ، ولكى يبرر ملوك تلك المرحلة انفرادهم

بالسلطة ، ادعوا أمر اختيارهم كان عن طريق الآلهة ، ومن ذلك ادعاء « لوجال زاجيزى » انه « **... الابن المولود لـ نيساتا وتغذى باللبن المقدس لـ ننخرساج** »(٤٩) ، ويعبر عن نفس الاتجاه ما ورد على لوحة النسور للملك « ايانا توم » فقد اشارت بعض العبارات الى المولد الالهى للملك وكأنه ابن للاله « ننجرسو » والالهة « ننخرساج » كما يذكر أن الالهة هى التى أرضعته « **... وقد وضع بذرة ايانا توم ننجرسو وحملت به ننخرساج التى فرحت من أجله وأخذته ايانا بين ذراعيها وأجلسته على ركبتى ننخرساج التى أرضعته ..** »(٥٠) .

ويجب الاشارة هنا الى أن تطور النظام الملكى فى تلك المرحلة لم يكن تطورا مفاجئا ، بل حدث بطريقة تدريجية نسبية ، وهذا يتضح من النصوص السومرية نفسها ، فالنص ، المنتمى الى « لوجال زاجيزى » والقائل انه من أصل الهى ، يوضح أن هناك اتجاها نحو حمل الحاكم للصفة المقدسة بجانب الصفة الانسانية ، ومن ناحية أخرى لم يكن جميع الحكام يرجعون أنفسهم الى أصل الهى ، فرغم ما جاء فى النص عن المولد الالهى للملك « اياناتوم » فانه لم يدع انتسابه للالهة بل أنه ذكر اسم أبيه وجده(٥١) .

شعوب البحر الأخرى من مناطق مختلفة من سورية وفلسطين ترك فراغا سياسيا لم يلبث أن ملأه سيل من الشعوب السامية . ففى الجنوب كانت القبائل العبرية أهم الغزاة وظهر معهم المديانيون والأدوميون والعمونيون(٥٢) ، وقد أتبع هؤلاء الساميون النظام الذى كان سائدا فى المنطقة أى نظام دولة المدينة ، أما العبرانيون فقد كانوا يمرون بمرحلة عصر القضاه(٥٣) . وكان القاضى يعتمد فى أعماله على رحمة الرب ، ويؤكد سفر القضاة على انهم كانوا

مسئولين عن مهمة التحرر من قوى الغزو الأجنبى بوحى من « يهوه » نفسه وانهم قاموا بالأعمال البطولية لأن روح « يهوه » حلت عليهم ، ومنحتهم قوة بصرية خارقة ، ولم يكن منح هذه القوى من الروح الالهية يتم فى عملية مستمرة ، بل كان يأتى من وقت لآخر(٥٤) ٠

كانت سلطة القاضى محدودة فى أبناء قبيلته ، وأحيانا تتعداها لتشمل قبيلة أخرى مجاورة(٥٥) ، وفى العادة كانت هذه السلطة تنتهى بانتهاء سببها ، ولكن يخبرنا سفر القضاة بأن بعض شيوخ القبائل احتفظوا بالسلطة فى أيديهم وقت السلم ، كما كانت هذه السلطة تنتقل أحيانا الى الأبناء الذين لديهم القدرة على الاحتفاظ بأمجاد آبائهم(٥٦) وكان ذلك بمثابة مؤشر للبدايات الأولى لاتباع النظام الملكى ، حيث قامت محاولات مبكرة لاتباع ذلك النظام بين بعض قضاة اسرائيل مثل « جدعون وابيمالك »(٥٧) ، أما شاول فكان يمثل محاولة نشطة لخلق مملكة شاملة تضم كل القبائل ، أما « داود » وملكية « سليمان » فكانت تمثل اتحادا بين شتى أسباط اسرائيل . وكان المركز القوى لأسرة « داود » يعتمد على الأشكال المأخوذة عن نظام وتقاليد المدينة الكنعانية فى « أورشليم » كما أن تقسيم « سليمان » الادارى للمملكة أدى الى اندماج الاسرائيليين مع المواطنيين الأصليين(٥٨) ٠

ويجدر بنا هنا أن نتلمس التعديل الذى أحدثته اسرائيل فى مفهوم الملكية التى أخذتها عن كنعان والتى يرجع أصلها الى أرض النهرين ، بحيث أصبحت تبدو كما لو كانت نمطا جديدا ٠ كانت الملكية فى (العراق القديم) شريعة مقدسة ، وكانوا يعتقدون أن فكرتها موجودة فى ذهن الألهة منذ بداية خلق العالم ،

كما كان الملك يحتل موقعا مقدسا فى مملكته ، كما سبق أن ذكرنا ، فبالرغم من أنه كان انسانا مثل باقى البشر ، فانه كائن يتمتع بصفات الهية ، وان كان لا يعتبر الها فى حد ذاته فانه كان مقدسا الى الحد الذى يمكن التحدث عن ألوهيته ، حيث أعتقد البابليون بأن الآلهة هى التى تختار الملك وتقدم له وظائفه ، ومنذ البداية هو ملك البلاد ، وقد اعتبر الكثير من الملوك أنفسهم ابناء للالهة ، وقد يقع اختيار الالهة على شخص مغمور تتلمس فيه الكفاءة والقدرة ، فتأخذ بيده الى مقاليد الملك(٥٩) ٠

أما فى اسرائيل فان الصراع بين الملكية من ناحية وحكم فترة البداوة من ناحية أخرى كان موجودا بصورة دائمة ، فحاول بنو اسرائيل ملاءمة النظام الملكى المأخوذ من الممالك المجاورة لها ، مع مفهومهم عن « يهوه » ربهم الخاص ويتضح ذلك من معارضة الأنبياء للحكم الملكى المستبد وتأكيدهم دائما على أن « يهوه » هو ملكهم الوحيد وادراكهم الكامل بأن الملكية بدعة كنعانية(٦٠) ، وحتى اذا ما انتقلت المهام الطقوسية الى الملك ودخل نواب الملك فى خدمته بأن الملك لا يتمتع بعد تنصيبه بأى مميزات أكثر من ذى قبل ، بل انه شخص خاضع « ليهوه » ومهمته هى المحافظة على عدالته وتنفيذ حكمه على الأرض ، وليس من حقه ان يحكم طبقا لأفكاره أو هواه الشخصى المتعارض مع شرائع « يهوه »(٦١) ، وبصفة الملك ممثلا لبنى شعبه وانه مختار « يهوه » وبنوته منسوبة اليه ، فان ملك بنى اسرائيل كان الرابطة بين الرب وبينهم(٦٢) ، وكان هو الكاهن الأكبر ، وأبناؤه هم الكهنة الشرعيون والمسئولون عن ممارسة الطقوس(٦٣) ٠

واذا قارنا مفهوم الملكية فى الشرق القديم بصورة عامة بمفهوم الملكية عند بنى اسرائيل ، نجد أن الملكية عند بنى اسرائيل

تتميز بأن الملك كان بمثابة الرابطة بين « يهوه » وبينهم حيث كان الملك يمثل بنى اسرائيل أمام « يهوه » فى الطقوس الدينية وفى نفس الوقت يمثل « يهوه » أمامهم ومع ذلك فان بنى اسرائيل لم ينبذوا فكرة أن الملك كان حقيقة ممثلا ل « يهوه » فى الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة ، أو حتى الفكرة القديمة عن الملك ككائن خارق مزود بقوى خارقة أو قوى الهية(٦٤) ، ويقف فى علاقة وثيقة تشبه بوجه خاص علاقة النبوة ل « يهوه » وقد استمروا فى استخدام هذه التغييرات والأفكار التى نبعت من مفهوم الشرق عن الملكية والتى عكست أفكارا أسطورية كثيرة ، وقليلا ما نجد فى هذه الصور الأسطورية أى اشارة لاستخدام ألفاظ تدل على وجود علاقة طبيعية أو عضوية بين « يهوه » وابنه « الملك » فالملك انسان مختار من بين أفراد الشعب خاضع تماما ل « يهوه » ويعتمد عليه فى كل شىء(٦٥) ، بالاضافة الى المعارضة لاعتبار الملك فى اسرائيل ندا ل «يهوه » أو يتساوى معه فى الطقوس فقد كان ذروة هذا الهجوم موجها للملوك لمجرد انهم جعلوا القصور الملكية بجوار المعبد أو لانهم وضعوا القبور الملكية داخل هذه القصور ، وبالرغم من كثرة هجوم الأنبياء وانتقاداتهم السياسية وسلوك ملوك بنى اسرائيل ، وتركهم طرق الرب وطغيانهم على الشعب ، الا أن أسفار الأنبياء لا تحتوى على اتهام الملوك بادعاء الألوهية أو اغتصاب حق من حقوق « يهوه » أو أنهم لعبوا دور الرب وطالبوا بعبادتهم فى الطقوس(٦٦) ، وكثيرا ما تشير المزامير الى أن الملك كان يمثل « يهوه » أمام الشعب ، ولكن لا يحمل هذا التمثيل (كما ذكر سلفا) أى نوع من التجسيد له ، بل يتحدد فقط فى انه يتلقى التعاليم الالهية وينقل بركاته ، وكان ذلك يأتى من خلال الأعمال الطقوسية ، وخاصة احتفالات التتويج حيث يمنحه الرب قوى خاصة تجعله أداة للبركة فى وقت السلم ،

وأداة للخــلاص فى وقت المحن والكوارث ٠ وعلى ذلك يجب تجديد القوى الممنوحة للملك ، لهذا نجد العديد من الاشــارات تؤكد أنه فى اسرائيل كانوا يقومون باعــادة تتويج الملك فى احتفال سنوى ، وربما كان ذلك مرتبطا بالاحتفــال الذى يقام كل عــام فى فصــل الخريف والسنة الجديدة والذى كان فى نفس الوقت الاحتفــال بتتويج « يهوه » الذى كانوا يحتفلون به كرمز لاعــادة الخــلق وخصوبة كل شيء ، وبعد ذلك يعاد خلق الأرض والطبيعــة وكل شيء من جديد ، أما الملك فكان يحصــل فى هذا الاحتفال على تجديد وتأكيد للعهد بينه وبين « يهوه » على اختياره ملكا ، ومن ثم تزويده بالقوى الالهية الخاصــة التى تعينه على الاستمرار فى الحكم على مدى عــام كامل ، أما فى وقت الحرب والنكبــات ، فكان الملك والكهنة والأنبيــاء والشعب يتوجهون الى المعبد لاقامة الصــلوات امام « يهوه » ليدرأ الخطــر عنهم وكان الملك هو الذى يتلقى بركات الرب ليوصلها بدوره الى جميع الحاضرين(٦٧) ٠

ويمكننا أن نلخص ما يميز مفهوم الاسرائيليين عن صفات الملك ومهامه فى أن الملك ليس شخصــا يتجســد فيه الرب ، على الرغم من العلاقة الوثيقة بينهما ، وهم الزعيم والرئيس الرســمى للطقوس والاحتفالات العامة ، وفى كل صــلواته يصلى من أجلهم ، ويتلقى البركات من « يهوه » نيابة عنهم ، ويقدم اليه القرابين باسمهم ، فمهمــة الملك الرئيســية فى أوقــات الســلم هى أن يصــبح أداة ل « يهوه » فى اتباع وصاياه ، والعمل على رخــاء بلاده ، وسعادة مواطنيــه ، والقضــاء بينهم بالعدل ، أما فى وقت الحرب والمحن فهو قائدهم ، وتلقى عليــه مهمة تحريرهم وخلاصهم من الأعداء ، فقد اختاره الرب وزوده بقوة عظيمــة خارقة جعلته يتميز عن باقى البشر ليكون أداة له ، لتحقيق خططه على الأرض تخليص ابنــاء شعبه من الأعداء وتنفيذ شريعته على الأرض ٠

٢ ـ الاسرائيليون والفلسطينيون والأدوميون فى عصر الملكية

(أ) شاول والفلسطينيون :

كان الوجود الفلسطينى هو التحدى الكبير الذى واجه الوجود الاسرائيلى واستمرار تطوره ، فمنذ انتصـار الفلسطينيين فى موقعة « أفيق » وهم يسيطرون على معظم المناطق الجبلية التى يشغلهـا سبطا « أفرايم » « وبنيامين » غربى الأردن الى جانب سيطرتهم على الاقليم السـاحلى منذ قدومهم الى أرض كنعـان وقد اسـتطاع الفلسطينيون خلال هذه الفترة أن يجردوا الاسرائيليين من السلاح فأصبحت صناعة المعادن ممنوعة فى اسرائيل ، كما أقام الفلسطينيون القلاع فى أماكن مختلفـة من البـلاد للسيطرة عليها تماما ، وكان أهمها تلك التى عند « بيت شان » للسيطرة على الطريق الموصـل بين نهر الأردن « ووادى يزرعيل » وتلك التى عند « محمـاس » و « جبعة » بين جبل أفرايم وأورشليم هذا فضلا عن تعيين موظفين من الفلسطينيين لجمع الضرائب المفروضة على الشعب المهزوم ، كما كانوا يراقبونهم من مراكز المراقبة فى « جبع »(٦٨) ·

كان الصراع بين الاسرائيليين والفلسطينيين من أجل السيادة على الأرض ، ومحاولة كل منهما أن يثبت كيانه على حساب الآخر ، وقد سـلفت الاشـارة الى أن هـذا الصراع كان من العوامـل المباشرة لقيام الملكية الاسرائيلية والتى تعين عليهـا الآن أن تحقق ما قامت من أجله فاستنفر « شـاول » مواطنيه لمؤازرته ، وجمع الفلسطينيون كل ما تسمح به التعبئـة العامة لقواتهم فى جبـال غرب الأردن وعسـكرت هذه القوات فى مخماس شرقى « بيت ايل » على مبعدة سبعة كيلو مترات الى الشـمال الشرقى من « جبعة » حيث عسكر الاسرائيليون الذين سرعان ما أدركوا خطورة الموقف

وتردد « شاول » فى الهجوم على الفلسطينيين ولكن ولده « يوناثان » قام ومعه حامل سلاحه بهجوم مفاجىء على محلة الفلسطينيين بدون علم أبيه وقتلا عشرين رجلا منهم ، مما أثار الرعب بين الفلسطينيين (٦٩) ، وكان هذا بداية التمرد العلنى من جانب اسرائيل فبات واضحا ان المعركة ضد الفلسطينيين أصبحت وشيكة الوقوع لأن « شاول » وقومه لم يعد لديهم أدنى شك فى أن الفلسطينيين لابد وأن يشنوا هجوما لاستعادة مراكزهم المفقودة ولذلك بادر « شاول » بالهجوم بعد أن أمر رجاله بالا يأكلوا خبزا حتى المساء وتنتهى رواية العهد القديم بنصر للاسرائيليين على الفلسطينيين(٧٠) ، ولكن الفلسطينيين وان كانوا قد خسروا معركة فانهم لم يخسروا الحرب لاسيما أنهم كانوا متفوقين عسكريا وفكروا فى شن هجوم مضاد وتشير اسفار العهد القديم الى أن الفريقين كانا قد استعدا للجولة التالية(٧١) ٠ وهنا خرج « جليات » قائد الفلسطينيين مناديا فى ساحة المعركة ، هل من مبارز ؟ فلم يجرؤ واحد من بنى اسرائيل على منازلته ، فخرج اليه داود وهو ما يزال بعد غلاما لمنازلته فتغلب وقتلته وأثار مصرع « جليات » الرعب فى نفوس الفلسطينيين فهربوا ولحق بهم بنو اسرائيل ، حتى أبواب « عقرون » وفتكوا بهم ونهبوا معسكراتهم وحمل داود رأس « جليات » وأتى بها الى أورشليم(٧٢) ومنذ ذلك الحدث الخطير أخذ « داود » يملأ أعين الناس وآذانهم وقلوبهم ، فأصبح ذا مكانة عالية بين قومه ، مما أثار عليه حقد « شاول » واخذ يسعى الى التخلص منه ، مما دفع « داود » الى أن يعدو طريدا فى البلاد المتاخمة لمدينة « حبرون » (الخليل) حيث جمع فرقة لم تستطع أن تحميه من مطاردة « شاول » فاضطر أن يلجأ الى أعدائه الفلسطينيين الى « أخيش » ملك « جت »(٧٣) ،

وانتهز الفلسطينيون فرصـة الخلافات بين الاسرائيليين ، وجمعوا قواتهم مرة أخرى فى « أفيق » ولكنهم لم يهاجموا مرتفعات وسـط فلسطين من هنـاك مباشرة ، بل تقدموا نحو الشـمال عن طريق السهل الساحلى ، الى سهل « يزرعيل »(٧٤) ، فمدينة « يزرعيل »، ويبدو أن عنـاصر شعوب البحر الأخرى فى السـهول الساحليـة الشمالية ، وفى سهل « يزرعيل » قد انضمت اليهم ، وبهذه الطريقة هاجم الفلسطينيون « شـاول » فى نقطـة مكشوفة داخل حدوده ، حيث أنها منطقة من مناطق الاستقرار الاسرائيلى ، غير المنيعـة من الناحية الجغرافيـة ، وفى نفس الوقت كانت محاطة بمناطق مدن كنعانيـة ومن هنا كانت قبـائل الجليل مرتبطـة بقبـائل وسط وجنوب فلسطين بجسر ضيق من المنطقة الاسرائيلية ولذلك نجح الفلسطينيون فى أن يمنعوا « شاول » من أن يجمع قواته كلها(٧٥)٠

ودارت المعركة فى جبل « جلبوع » وانتهت بهزيمـة ساحقة للاسرائيليين وقتل ابنا « عالى » وانتحر هو نفسـه حتى لا يقع فى أيدى الفلسطينيين ، وعـاد وسط فلسطين مرة أخرى للسـيادة الفلسطينيـة(٧٦) ٠

وهكذا فشلت ملكية « شاول » ويرجع ذلك فى الحقيقـة الى عجزه فى السيطرة على الفئـات المتعارضـة داخل مملكته ، كما أن نزاعه مع « داود » أفقده طبقة الكهنة القوية(٧٧) ، كمـا يرجع فشله وسـقوطه الى ضعف قوته العسكرية ، ومحاباته لقبيلتـه « بنيامين » فكان حكمه فى مظاهر كثيرة ملكيا قبليا ، ولكنه كان أكثر تقدما مما كان عليه أيام « جدعون » و « يفتاح »(٧٨) ٠

أما الملك « داود » فقد استطاع أن يحقق ما لم يحققـه سابقوه فأسس الأسرة الملكيـة التى حكمت أسباط بنى اسرائيل

مجتمعة لأول مرة تحت امرته ، وبعد أن استقر الأمر له كان عليه ان يتجنب العوامل التى كانت سببا فى سقوط « شاول » ومنهـا اتخاذ الأخير موطنه « جبعة » كعاصمة لمملكتـه ، فكان على « داود » أن يفكر فى عاصمة جديدة لمملكته التى أصبحت تضم قبائل الشمال والجنوب ، حيث أن الابقـاء على حبرون (الخليـل) كعاصـمة للمملكة ، سـوف يجر على « داود » خطر الظهور أمام الاسرائيليين كملك قبلى يحـاول أن يفرض على قبائل‌الشـمال حكما يهوذيا ، فقد كان «داود » ملكا ليهوذا فى « حبرون » وقبائل اسرائيـل لم ترض أن يحكمها ملك يهوذا وانما « داود » الذى اختاروه ملكا على اسرائيل(٧٩) ، كما أنه فى نفس الوقت اذا فكر فى اختيـار مدينة فى « بنيامين » أو « أفرايم » سوف يجر عليه غضب اليهوذيين الذين كانوا أول من اختاروه ملكا ، ومن هنـا لن يتسامحوا معه اذا انتقل الى واحدة من قبائل الشمال(٨٠) ٠

وهكذا فكر « داود » رغبـة منه فى الاستقرار وفى ارضـاء قبائل الشمال والجنوب ، أن يتخذ أورشليم عاصمة لمملكته ، فهى فى نظر قبـائل الشـمال والجنوب مدينة محايـدة(٨١) فأهـل أورشليم لم يكونوا يهوذيين أو اسرائيليين وانما كانوا « يبوسيين » « وكنعانيين » ، الى جانب ذلك فان المدينـة لم تكن حصنا صغيرا وانما كانت واحدة من أقدم دول المدن فى البلاد وهى حصينة غير مكشوفة يمكن أن يدافع عنها الأعمى والأعرج(٨٢) ٠

وهكذا بدأ « داود » يستعد للاستيلاء على أورشليم ورغم اختـلاف الآراء حول كيفيـة الاستيلاء عليهـا ، فقد كتب للملك « داود » النجـاح فى الاستيلاء عليهـا ، رغم ذلك ترك سـكانها الأصليين كما كانوا ، ان كان قد انتقل هو وحاشيته وآل بيته اليها، فضلا عن المرتزقة من جنوده(٨٣) ٠ جعل « داود » أورشليم قاعدة

الملك وعاصمة الدولة ، ولما كان « داود » على طريقة أمراء بنى اسرائيل ورؤسائهم فضلا عن الحكام الأجانب المجاورين لاسرائيل ، يستمد سلطانه فى الحكم من الله ، فقد جعل أورشليم مقر السلطة الدينية والسياسية والعسكرية ، ثم نقل تابوت العهد اليها(٨٤) ٠

وهكذا نجح « داود » فى أن يجعل من أورشليم مركزا للحياة السياسية والدينية ، ذلك لأن ، تابوت العهد هو الأثر الرمزى الرئيسى لتحالف القبائل الاسرائيلية الاثنى عشر ، ثم ربط « داود » ذلك كله بالتقاليد الودية التى ربطت القبائل بعضها بالبعض الآخر ، مستغلا ذلك كله لمصلحة عرشه ، واصبح الكهنة من أكثر المؤيدين للملكية ، بعد أن كانوا أعدائها ، بل ان « داود » جعل منهم رجال دولة رسميين وعينهم فى مجلس الدولة الأعلى ودعاهم الى حكم البلاد معه ، أو بالأحرى الى تدعيم حكمه بالوسائل التى يستطيعون تسخيرها لهذا الهدف(٨٥) ٠

(ب) داود والفلسطينيون ــ الموقف المصرى :

كان لانقسام مصر فى عصر الأسرة الحادية والعشرين أثر كبير فى علاقتها بفلسطين فى الوقت الذى كانت آشور هى الأخرى مشغولة بمتاعبها الداخلية مما هيأ الظروف لعدد من الممالك والدويلات أن تزدهر فى سورية وفلسطين(٨٦) ، ولم يكن أمام الواحدة منهم خصوم أقوياء سوى جيرانها المتاخمين لها ، ومع ذلك استمرت العلاقات التجارية والروابط الثقافية بين هذه الممالك والقوى الكبرى فى وادى النيل وأرض الرافدين(٨٧) ٠ فتشير قصة « ونآمون » الى أن « نسبا نب جد » قد حافظ على العلاقات التجارية مع فلسطين ومدن الساحل السورى فى الفترة الأخيرة من عهد « رمسيس الحادى عشر » آخر ملوك الأسرة العشرين ، وكان

هـذا الوضـع يتطلب تجنب الاحتـكار السـياسى والعمليـات الحربيـة(٨٨) .

اما فى فلسطين فقد حاولت كل دويلة من دويلاتها أن تثبت كيانهـا على حسـاب الأخـرى وكان الصراع بين الاسرائيليـين والفلسطينيين أشدها جميعا ، حيث نظر الفلسطينيون الى التطورات الجديدة التى أحدثها « داود » بقلق شـديد ، اذ كان فيها قلب لكل الموازين القديمة ، فقد كانوا يعتبرونه من مواليهم ، حيث كان « داود » قبل ذلك قانعـا بدائـرة ملكه الصغـير فى « حبرون » (الخليل) تاركا لهم حرية الاغارة على القبائل الشمالية فى اى وقت ، أما قيـام دولة قوية تحت قيادة « داود » فكان من شـأنه أيضا أن يفقد الفلسطينيين سيطرتهم على طرق التجـارة بين الشرق والغرب والشمال والجنوب عبر أراضى فلسطين ، والذى كان من العوامل المهمة منذ القدم لقيام الحروب بين القوى العظمى المجاورة لفلسـطين وسـورية ، مصر من ناحيـة والحيثيين والبابليين والآشـوريين (فيما بعد) من ناحيـة أخرى ، من هنـا لم يتقبل الفلسطينيون عن رضـا قيام مملكة قوية تحت قيـادة « داود » فبدأوا يفكرون فى ضربها(٨٩) .

التقى الجمعـان ونجح « داود » فى هزيمـة الفلسـطينيين باستخدام نفس تكتيكاتهم الحربية التى تعلمها منهم عندمـا كان واحدا من قوادهم بعد فراره من وجـه « شـاول » فلم يواجههم بالجانب الأكبر من قواته بل بفرقة من المرتزقة التى ربما كانت قد عززت وتطورت أثنـاء حكمه ليهوذا ، فكان لدى هـذه الفرقة فهم المحترف لفن الحرب (٩٠) ، وعندما قام الفلسطينيون بمحـاولة ثانية هزمهم « داود » مرة أخرى وهكذا حقق نجاحا بعيد المدى وطردهم من المناطق الاسرائيلية ، بل أننا نسمع عن قتـال له عند

« جت » وهى واحـدة من المدن الخمس الرئيسيـة فى الاتحـاد الفلسطينى ، ومن ناحيـة أخرى احتفظ « داود » بمدينـة صقلع وأورثهـا لولده من بعده بل أصبحت مدينـة « جت » مدينـة اسرائيلية ولكن بالرغم من ذلك فان « داود » لم يخضع الفلسطينيين لحكمـه(٩١) ، وكان السبب وراء ذلك هو مصر ، فرغم أنهـا كانت تمر بفترة ضعف الا أنهـا أعطت الفلسطينيين من تأييدها ما منع « داود » من اخضاعهم لنفوذه ، بل ان السهل السـاحلى الفلسطينى لم يصبح أبدا جزءا من الأمـلاك الاسرائيليـة(٩٢) ، ويرجع ذلك الى أن مصر كانت ترسـم سياستها على الا تنفرد قوة فى فلسـطين بالسـلطان حتى يكون لها موطىء قـدم تستطيع به اسـترجاع نفوذها الضـائع حتى سنحت لها الفرصـة ، ويؤيد هذا الافتراض موقفها من « أدوم » .

(ج) « داود » والأدوميون ـ موقف مصر :

كانت مملكة « أدوم » ذات أهميـة اقتصادية كبيرة بالنسبة للملك « داود » فهى فى الطـريق الى خليج العقبـة ومن ثم الى البحر الأحمر ، فضـلا عن أنهـا تحتوى على كثير من الرواسـب المعدنية على حدود وادى عربة ، حيث أن الصحراء الغربية ـ والتى تمتد من جنوب البحر الميت حتى خليج العقبـة ـ كانت غنيـة بمعدنى النحاس والحديد(٩٣) ، ومن هنا أمر « داود » قائـده « يؤاب » بغزو « أدوم » وأوقع فيها مذبحة مروعة للذكور من أبنائها(٩٤) ، ويبدو أن « حدادا » الثانى ملك « أدوم » قتل فى هذه المعركة ، ولكن الأمير « هدد » اسـتطاع الهروب الى مصر . حيث تزوج من أميرة مصرية هى أخت الملكة « تحفنيس »(٩٥) ويرى كل من Grdseloff, Federn أن الاسـم تحـريف عبرى للقب المصرى T — h (mt) — P3 — nsw بمعنى زوجة الملك

اى الملكة ، بينما يرى Albright أن « تحنفيس » اسم شخص يبدأ بـ h(nt) — T3 ويمكن مقارنته بالاسم Ta — hent — thuty

وهو اسم أم زوجة « باى نجم الثانى »(٩٦) ولكن اذا كان « تحفنيس » اسم شخص فانه لا يوجد ما يطابقه فى اللغة المصرية(٩٧) وعلى ذلك يميل الباحث الى أن هذا ليس اسم شخص وانما لقب حل محل اسم الملكة التى ربما لم يعرف العبرانيون اسمها فى ذلك الوقت فقالوا « زوجة الملك » ومن البديهى أن زوجة الملك هى الملكة .

وعاش « هدد » فى مصر الى أن مات « داود » وقائده « يؤاب » فبدأ الأمل يعاوده فى استعادة حقه الشرعى فى عرش « أدوم »(٩٨)، وتعكس رواية العهد القديم بخصوص « هدد » التوقعات السياسية التى جعلت الأدوميين حلفاء للمصريين فالأمير « هدد » لم يعامل كلاجىء الفرعون(٩٩) ، فقد أزعج المصريين نجاح « داود » فى كسر شوكة الفلسطينيين ، فكان لابد من حليف لهم فى فلسطين من هنا كانت معاملتهم للأمير « هدد » والتى بها حصلوا على صداقة دولته لتكون منطقة توازن بينهم وبين الاسرائيليين(١٠٠) .

٣ ـ مصر واسرائيل

(أ) زواج سليمان من اميرة مصرية :

كان نظام المصاهرة بين الأسرات الحاكمة وسيلة لاتمام المعاهدات وتقوية العلاقات بين الدول المعنية من النظم السائدة فى الشرق الأدنى القديم بما فى ذلك اسرائيل خلال عهدى « داود » « وسليمان » .

بدأ « داود » حكمه بأن تزوج من ابنة « تاليماى » ملك « جاشور » وبهذا الرباط أيضا كسب ود مملكة « اشبعل » الشمالية ووضع حدا للقلاقل بين « جاشور » و « يهوذا » كما ضمن موقفها المحايد أثناء حربه مع الأراميين ، وقد اتبع « سليمان » سنة الزواج بأجنبيات أيضا(١٠١) وكان الزواج السياسى هو حجر الزاوية فى سياسته الخارجية ، وكانت أهم هذه الزيجات ، زواجه من ابنة فرعون ، ويدل على أهمية هذه الزيجة أنها ذكرت فيما لا يقل عن خمسة مواضع فى أسفار العهد القديم التى تناولت فترة حكمه(١٠٢) ٠

أولا ـ فى افتتاح حوليات سليمان « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخذ بنت فرعون وأتى بها الى مدينة « داود » الى أن أكمل بيته وبيت الرب وسور أورشليم حواليها »(١٠٣) ٠

ثانيا ـ عند وصف بناء قصره ، « وعمل بيتا لابنة فرعون التى أخذها سليمان كهذا الرواق »(١٠٤) ٠

ثالثا ـ عند عبور الغزو المصرى الى « جازر » صعد فرعون ملك مصر وأخذ « جازر »وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان »(١٠٥) ٠

رابعا ـ عند وصف بناء المعبد فى أورشليم « ولكن بنت فرعون صعدت من مدينة « داود » الى بيتها الذى بناه سليمان لها »(١٠٦) ٠

خامسا ـ فى قائمة زواج سليمان من أجنبيات ، « وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون(١٠٧) فتكرار ذكر هذه

الزيجة فى خمسة مواضــع على هذا النحو يوضح أهميــة زواج سليمان من ابنة فرعون ومكانتها ، وقد نظر الكتاب لهذه الحادثة على أنها الحدث الوحيد ذو التأثير القوى فى السياســة بين البلدين فكل الزيجـات الدبلوماسية الأخرى لملك اسرائيل كانت الزوجـة فيهــا فى المرتبـة الثانيــة بعد ابنــة فرعــون ، حيث أن زواج « سليمان » من ابنة فرعون كان حدثا استثنائيا فى سياســة مصر ، فالمعروف أن ملوكها كانوا يأخذون بنات الأجانب زوجات لهم ولم يحدث العكس وان كان هنــاك ما يشير الى طلب أرملة مصر ، الزواج من أحد أبنـــاء الملوك الأجانب »(١٠٨) ، الا ان هــذه الزيجــة لم تتم ، ولم يتحطم المبدأ المصرى بعدم زواج الأمــيرات المصريات بأجانب ٠

أما ما جاء فى رســائل العمارنة م ن‌ان هنــاك أربعة نبلاء من ســورية يطلق على كل منهم « ابن الملك » كانوا أزواجا لبنــات فرعون فلم يثبت تماما بالحجة(١٠٩) ، والمثل الوحيد حول زواج مصرية من حاكم أجنبى كان فى « اوجاريت » فقد جاء على زهريــة من القرن الرابع عشر ق٠م ٠ منظر لحفل زواج الملك « نقماد » ملك « اوجاريت » من أميرة مصرية ، ولكن فى كل الاحتمالات فان ما يتعلق بشأن هذه المرأة انها كانت من حريم القصر الملكى وليست ابنة فرعون(١١٠) ٠

ومن جهة أخرى وكما نعرف من رسائل العمارنة فان ملك بابل « كاراشمان انليل » طلب يد ابنة « أمنحتب » (الثالث) وقد رفض هــذا الطلب ، فمنذ القــدم لا تعطى ابنـــة فرعــون لأى انسان(١١١) ، ويذكر « هيردوت » أيضــا أن زواج ابنة الفرعون لملك أجنبى مناقض للتقاليد المصريــة فطبقــا لتاريخ الاغريق فان

« أماسيس » ملـك مصر رفض أن يعطى ابنتـه لملـك فارس « قمبيز »(١١٢) ٠

معنى ذلك أن دخول سليمان فى مصـاهرة مع البيت الحاكم فى مصر نال به أهميـة سياسية كبيرة ، ولكن الفائدة الأكثر أهمية من المصاهرة نفسها هى هدية الزواج التى أعطاها فرعون لابنته وهى مدينة « جازر » حيث أنها من المدن التى فشـل الاسرائيليون فى طرد الكنعانيين منها وتقع « جازر » على أحد الطرق الرئيسية من السـهل السـاحلى الى داخل فلسطين وهى التى استخدمهـا الفلسطينيون فى ازعاج « داود »(١١٣) ٠

(ب) الغزو المصرى لفلسطين :

والحقيقة أن مشكلة تحديد الفرعون والد زوجة سليمان قد حيرت الكثير من الباحثين ، فهنـاك من يرى انه « سيأمون »(١١٤) وهنـاك من يرى أن يكون الفرعون المقصـود هو « بسوسنس » الثانى(١١٥) ، بينما يرى فريق ثالث أنه « شاشانق الأول »(١١٦)، ولكل فريق من هؤلاء الأدلة التى يؤكد بها وجهة نظره ، وان كان الباحث يميـل الى الرأى الأول اعتمـادا على الترتيب التاريخى والأدلة الأثرية ، فاذا اعتمدنا على الترتيب التاريخى فى معرفـة والد زوجة « سليمان » ، يتضح أن فرعون مصر أخذ « جازر » وأحرقهـا قبل أن يعطيها دولة لابنتـه ، هـذه الواقعـة الأخيرة (الزواج) قد حدثت فى بداية حكم « سليمان » وسقوط « جازر » كان قبل أن تعطى كدولة أى ضمن السـنوات العشر الأولى من حكم « سليمان » (٩٧٠ — ٩٦٠ ق٠م) ومن المحتمل جدا أن تكون خلال الأربع السنوات الأولى (٩٧٠ — ٩٦٦ ق٠م) وهذا يبرهن على أن الغزو المصرى لمدينـة « جازر » و « فلسطين » والارتبـاط

بالمصاهرة مع « سليمان » كان فى العقد الأخير من حكم « سيأمون » من (٩٧٨ ــ ٩٥٩ ق٠م) وتجعله الفرعون الذى غزا فلسطين(١١٧)٠

ولدينا قرينتان تزكيان القول بأن « سيأمون » سير جيشه الى اقليم « النقب » ضـد الفلسطينيين وبلغ « جـازر » آخر المعاقل الكنعانيـة على الحدود بين فلسطين واسرائيل ، ففى الملوك الأول ٩ : ١٦ ورد أن فرعون مصر غزا المدينـة ودمرهـا وطرد سكانها قبل أن يعطيها دوطة لابنته التى تزوجت « سليمان » هذا الى جانب الأدلة الأثرية المكتشفة فى « تانيس » فهنـاك رسـم للملك « سيأمون » صـورة وأحد الأعداء الآسـيويين راكع أمامه وبيده بلطة من طراز « ايجى » خاص بشعوب البحر الذين استقروا فى فلسطين بعد أن هزمهم « رمسيس الثالث » ، هذا الدليل جعل « مونتيه » يفترض أن هذا الفرعون قام بحملة ضد الفلسطينيين ، وأثناء مطاردتهم غزا مدينة « جازر » على الحدود بين فلسـطين واسرائيـل ذلك الغزو الذى نسبته أسـفار العهد القـديم لوالد زوجة سليمان(١١٨) ٠

وتأتى امكانية حملة « سيأمون » على فلسطين وتدمير مدينـة « جازر » من اعادة فحص تقرير المعلومات الأثرية التى أعطيت عن هذه المدينـة والتى تدعى أنها لم تدمر فى القرن العاشر ق٠م(١١٩) ، فوجد « ياوين » أنها على النقيض من ذلك تماما ويرى أن الفرعون الذى ذكر فى العهد القديم هو الذى قـام بذلك(١٢٠) ، ولم تظهر أية معارضـة تلغى الرأى السابق ، فمدينـة « جازر » فى الشمال الشرقى كانت ضمن مقاطعـة حاكم فلسطينى وقد أظهرت نصـوص العهد القـديم ان « داود » بالرغم من تدميره لقوة الفلسـطينيين العسكرية الا أنه لأسباب كثيرة لم يغز بلدهم(١٢١) والشىء الوحيد الذى يقف ضـد وجهـة النظر هذه جاء من وصف امتداد مملكة

« داود » حيث أن هنــاك عبــارة وحيدة غير واضحــة المعنى تقول « وبعد ذلك ضرب داود الفلسطينيين وذلهم ، واخذ داود زمــام القصــبة من الفلسطينيين »(١٢٢) ، ولســوء الحظ فان تفســير مصطلح « زمام القصبة » غير واضح حتى الآن ، وهو يســاوى ما جاء فى سفر أخبــار الأيام الأول ١٨ : ١ ، والذى اســتبدل « زمام القصبة » بمدينــة « جت » « وأخذ » جت وقراهــا من الفلسطينيين » ، فاذا كان هذا التفسير فى حد ذاته يحتوى على معنى تاريخى فانه يعتبر محــاولة لتفسير المعنى الغامض الذى جاء فى صمويل الثانى ٨ : ١ ٠

على أى حال فان « زمام القصبة » هو اسم مكان ، أو دلالة على شىء حقيقى أو رمزى يستخدم فى الحــديث عن احتمال محاصرة قوة حربيــة والحقيقة أن « داود » انتصر على الفلسطينيين وأخذ « زمام القصبة » واكتفى بفرض الجزية عليهــا أو اقامة حــكومة اسرائيلية موالية فيهــا ، ولكن ليس هنــاك شىء يقال عن احتلاله لاقليم البلست ، فالسكوت عن هذه التفاصيل ذو مغزى خصوصــا فى ضوء طبيعــة الاصحاح الذى جاء منه مناقشة الجملة(١٢٣) ، فالحديث عن الدول الأخرى التى هزمهــا « داود » مثل « مؤاب » و « أرام » و « أدوم » واضح تماما « وصار المؤابيون عبيدا لداود يقدمون الهدايا »(١٢٤) ٠ « وجعل داود محــافظين فى أرام ، وصار الأراميون لداود عبيدا يقدمون الهدايا »(١٢٥) « وجعل فى أدوم محافظين وكان جميع الأدوميين عبيدا لداود »(١٢٦) ٠

وعلى ذلك فان غياب مثل هــذه التفاصيل عند الحديث عن الفلسطينيين يفصــح عن نفســه ، فالعهد القــديم مجد « داود » لتخليص شعبه من الفلسطينيين(١٢٧) ، كما أن ادراج الفلسطينيين ضمن الأمم المهزومة جاء من أن « داود » ضمهم للأمم التى حصــل

منها على الغنائم(١٢٨) ، فهذه الأسفار اذا تشير الى انتصار « داود » على الأعداء خارج حدود اقليم « البلست » ، أو الأقاليم المتاخمة لحدودها ، وهذه هى الصورة التى رسمتها كل النصوص وذكرت فيها مسرح الأحداث ضد الفلسطينيين ، فبعد أن طرد الأعداء من « يهوذا » « بدأ يجهز للمعركة الأولى وانتقل للحدود الشمالية » للساحل الفلسطينى وضرب « داود الفلسطينيين من « جبعون » الى « جازر » ولكن « جازر » نفسها لم تسقط ، بل ظلت تحت حكم الفلسطينيين ولذلك ظل شعبها متسلطا على الكنعانيين(١٢٩) ، كما أن معارك « داود » ضد الفلسطينيين كتبت كأعمال بطولية أسطورية(١٣٠) ، واذا نظرنا الى ما جاء فى اخبار الأيام الأول ٢٠ : ٤ ــ ٨ ، نجد أنه يحتوى على كثير من التناقضات حيث يذكر النص ثلاث معارك ضد الفلسطينيين ، كلها خارج الاقليم الفلسطينى ، ولكن من المحتمل ان هذه المعارك كانت فى المناطق التى احتلها الفلسطينيون من الاسرائيليين على أثر معركة جبل « جلبوع » وهذه المعارك كانت على حافة مقاطعة « عقرون » الفلسطينية ، وربما اقتطع « داود » أحد الأقاليم على الحد الشمالى لهذه المقاطعة ، ولكنه لم يتوغل داخل اقليم « البلست » ولم يغز مدنهم الرئيسية(١٣١) ، ويؤيد ذلك حادثة مدينة « جت » جنوب فلسطين والتى ظلت مستقلة حتى العام الثالث من حكم « سليمان » حيث هرب عبيد شمعى الى « اخيش » ملك « جت » وكون « اخيش » يرد هؤلاء العبيد لسيدهم ليس بالضرورة دليلا على أن « جت » كانت تابعة لاسرائيل ، حيث أن تسليم الهاربين على كل المستويات (النبلاء أو طبقة العامة) لم يكن التزاما قانونيا فرض على المدن الاقطاعية فقط ، بل كان بندا (شبه معاهدة) بين الدول المتساوية السلطات(١٣٢) ٠ على أن

« جت » أصبحت مدينة اسرائيلية فى عهد « رحبعام » ، وذلك على أساس أنها كانت ضمن المدن التى حصنها ، بمعنى آخر أن « جت » فقدت استقلالها فيما بين العام الثالث من حكم سليمان وبداية « رحبعام » فى تحصين حدود (يهوذا) ، فمن البديهى اذا أن هذا التغيير يرجع لحملة فرعون مصر على الساحل الفلسطينى(١٣٣) والتى تبعها وضع سليمان يده على « جازر » ويبدو أنها لم تكن « جازر » وحدها ، بل كل مملكة « عقرون » و « جازر » جزء منها ، هى التى وقعت تحت الحكم الاسرائيلى(١٣٤) ٠

هذا الاحتمال افترضته دراسة « مازار » لقائمة مدن مقاطعة « دان » الواردة فى سفر يشوع ١٩ : ٤٠ ـ ٤٩ ، والذى به تم اتحاد مملكة اسرائيل ، وقد استنتج « مازار » أن هذه الأقاليم من مقاطعة « دان » والتى تمتد الى الشمال والشرق من « جازر » كانت من قبل ضمن مملكة « داود » بينما ظلت الأقاليم الجنوبية (تمنه ، عقرون ، جيبثون ، بعله) ، وهى المنطقة التى تشغلها مملكة « عقرون » ، بعيدة عن النفوذ الاسرائيلى حتى حكم سليمان(١٣٥) ٠

وقد ذكرت « جازر » مع « بعلة » ضمن المدن التى أعاد سليمان بناءها(١٣٦) ، وليس هناك ما يمنع من اثبات أن « بعلة » هى التى تقع على بعد عشرة كيلو مترات غرب « عقرون » فى مقاطعة « دان » وهذا يعنى أن سليمان أعاد بناء « بعلة » بعد أن كانت قد دمرت مثل جارتها « جازر » أيام حملة « سيأمون »(١٣٧) ٠

وتأتى أيضا امكانية حملة « سيأمون » على فلسطين من البقايا الأثرية المتنوعة التى وجدت فى فلسطين فقد عثر على جعل يحمل

اسمه فى « تل الفرعا » غرب النقب ويتفق هــذا المكان مع موقــع « شاروحين » القديمــة ، والتى كانت احدى النقاط القوية على الطريق المتجه من مصر شــمالا الى فلسطين ، منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة عندما احتلها « أحمس الأول » ، حتى زوال الســيادة المصرية عن كنعان(١٣٨) .

ومن الاكتشافات الأثرية فى « تل مورو » على بعد ستة كيلو مترات الى الشــمال الغربى من أشــدود يأتى دليل آخر على أن « سيأمون » غزا الساحل الفلسطينى ، حيث يرى « دوثان » أنه كان يوجد فى هــذا المكان مستعمرة دمرت تماما فى النصف الأول من القرن العاشر ق٠م ولايمكن أن يرجع هذا التدمير لعهد « شاشانق الأول » لعدم وجود الفخــار قبل الفينيقى والذى وجد بكثرة فى كل المواقــع الساحليــة الأخرى ، على الأقــل من منتصف القرن العاشر ق٠م وما بعده ، كما أن هذه المستعمرة لم يدمرها « داود » فليس هنــاك من سبب يجعلنا نعتقد ذلك ، كمــا أنه لم يتوغل داخل اقليم « البلست » كمــا سبق أن ذكرنا ، اذا فالاحتمــال التاريخى الوحيد الممكن هو أن من فعل ذلك ، هو نفس الحــاكم المصرى الذى غزا « جازر » ودمرها دون أن يعيد بناءها ودمر تل « مورو » أيضــا ولم تظهر فى هذا المكان مستعمرة جديدة حتى القرن الثــامن ق٠م(١٣٩) ، وكمــا سبق أن ذكرنا وقعت مدن فلسطينية أخرى فى قبضــة قوات الفرعــون خــلال ســيرها الى « جازر »(١٤٠) وانضمام هذه المدينــة للسيادة الاسرائيليــة ، كان خطوة كبيرة نحو تحويل الأراضى الفلسطينية لحكم سليمان ، ولكن لم يذكر العهد القديم الا مدينــة « جازر » فقط من ضــمن الأراضى التى تحولت لحكم سليمان ، ويرجع ذلك الى أن ما جاء فى الملوك الأول ٩ : ١٦ ، عن حمــلة فرعون ضــد « جازر »

وانتقالها بعد ذلك للملك « سليمان » كانت اشارة عارضة جاءت من نقل قائمة المدن التى حصنها « سليمان » بمعنى آخر أن الموضوع الرئيسى فى النص لم يكن زواج « سليمان » « والدوطة » التى جاءت مع العروس المصرية ، ولكن الأصل « جازر » وما حدث لها قبل أن يعيد « سليمان » بناءها .

ولكن ليس من المعقول أن يتورط الجيش المصرى فى عمليات حربية ، ويسير مئات الأميال لمجرد أن يحتل مدينة لحساب ملك اسرائيل حتى ينال رضاه ، فالأمر أبعد من ذلك ، فمن المحتمل أن الحملة التى قام بها الفرعون كانت حملة تأديبية ضد « جازر » والفلسطينيين ، فبعد أن فرض المصريون حمايتهم على الفلسطينيين للوقوف فى وجه توسعات الملك « داود » ولتحقيق ذلك أخذوا مدينة « جازر » حيث أنها على الطريق الرئيسى من السهل الساحلى الى داخل فلسطين والعكس صحيح ، ويفسر هذا عدم قدرة « داود » على التقدم داخل اقليم « البلست » كما سبق أن ذكرنا ، ولكن نتيجة سياسة سليمان السلمية دخل فى تحالف مع فرعون مصر « سيأمون » فأراد الأخير أن يعبر عن اخلاص نيته ، فتنازل عن « جازر » للملك سليمان ، لمعرفة أهميتها بالنسبة له فثار الفلسطينيون لذلك ويبدو أنهم رفضوا تسليم « جازر » للملك سليمان ، فقام الفرعون بحملته ودمر المدينة ، ثم اعطاها لسليمان فى صورة صداق لابنته ، ويؤيد ذلك أن التدمير كان قبل الزواج .

ومن المحتمل ان الفرعون كان له دوافع اقتصادية أيضا منذ أيام « نسبا نب جد » وعصر النهضة فى الأسرة العشرين كانت « تانيس » مدينة تجارية ارتبطت بموانى ساحل سورية وفلسطين كما أخبرنا تقرير « ونأمون » ، وعلى ذلك فربما كانت

حملة « سيأمون » حملة تفتيشية الغرض منها القضاء على منافسة التجارة الفلسطينية(١٤١) الى جانب ذلك فمن المحتمل أن « سيأمون » حاول استعادة السيطرة المصرية على الساحل الفلسطينى ، حيث أضعفت حملات « داود » قوة الفلسطينيين العسكرية ، ثم كان انشغال الاسرائيليين بوراثة العرش بعد موت « داود » فوجد « سيأمون » فى ذلك فرصة لاعادة سيطرة مصر على فلسطين ، التى كان الفرعون يرى أنها تابعة له ، فجازر كانت الحصن الأخير فى كنعان الذى ظل تحت حكم ملوك الأسرة العشرين ، ويتضح هذا من اكتشاف خزف مطعم يحمل اسم رمسيس التاسع من نهاية القرن الثانى عشر ق٠م ، اذا ليس من المستبعد أن يكون « سيأمون » قد حاول أن يعيد السيطرة المصرية على الساحل الفلسطينى الذى فقد من قرن ونصف ، وليس من المستبعد أن يكون هدف الحملة غزو مملكة اسرائيل نفسها(١٤٢) ، ويفسر هذا تقدم القوات المصرية أبعد من « جازر » فوصول الجيش المصرى الى هذه المدينة « جازر » كان يشكل تهديدا مباشرا لمملكة اسرائيل وربما يؤدى الى مواجهة بين قوات سليمان وجيوش الفرعون ، ولكن كلا من الملكين وجد أنه من الأفضل أن يتحالفا وبهذا التحالف أصبحت الأمور العسكرية والتجارية فى فلسطين تحت سيطرة مصر واسرائيل فمدينة « جازر » لم تشكل أهمية للملك « سيأمون » فقط ، ولكنها تمثل أهمية جوهرية للملك « سليمان » أيضا خاصة بعد ضمها كدوطة لابنة فرعون ، وهكذا فأن « سيأمون » بحملته ومصاهرته للملك سليمان قضى على المنافسة التجارية للساحل الفلسطينى ، وحقق الأمن للمصالح التجارية المصرية فى سورية وفلسطين كما اصبحت حدود سليمان الجنوبية الغربية مأمونة من جانب مصر ، وحقق السيادة على

أعدائه الفلسطينيين لقد أملت المصـالح المشتركة على الملكين ضرورة الاتفاق أو التحـالف فنظرا لأحوال مصر الداخليـة المتردية فى تلك الفترة كما سبق أن ذكرنا ، كان لا يعنيها احتـلال تلك المنطقـة بقدر ما يعنيها أن يكون حاكمهـا من حلفائها ، تحقيقا لمصلحتهـا أولا ، ويتضح ذلك من سياستها على أيام « داود » من ايواء الأمير الأدومى ، « هدد » ومساندتها للفلسطينيين فلم يكن هذا من أجل « هـدد » أو « الفلسطينيين » فى حد ذاته ، ولكن لتحقيـق مبدأ السياسة المصرية وهو ايجـاد حليف فى هذه المنطقـة لتأمين مصالحها السياسية والاقتصـادية ، اذا لم يكن تنازل الفرعون عن هـذه المنطقة لملك اسرائيل تنازل المضطر بل تنازل سـياسى ، تنازل رجل يعرف أحوال بلاده والبلاد المجاورة ٠

هوامش الفصل الثانى

(١) Kitchen, K.A., Third Intermediate, PP. 465 — 466.

(٢) Kees ,H., Ancient Egypt., P. 203.

وكـذا

Lacaut, P., et Chevrier, H., H., Une Chapelle de Sesostris 1er à Karank, Le Caire, 1956, P. 232.

(٣) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦١ .

(٤) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٤٧ .

(٥) بريتشارد : نصوص الشرق الأدنى القديمـة المتعلقة بالعهد القديم ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

وانظر : ص ٣٠ – ٣١ من الفصـل الأول ، ومراجع رحلة ونامون ، ص ٣٠

(٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦١ .

Sander — Hansen, C.E., Das Gottesweib des Amon, Kobenhaven, 1940, P .51.

وعن وظيفة الزوجة الالهية لأمون انظر :

Leclant, J., «Gottesgemahlin» Lexiken der Agyptologie, II, PP. 792 — 812.

(٧) Cerny, J., C.A.H3., 2B, 1980, PP. 645 , 653.

Kitchen, Third Intermediate, P. 256.

وعن النص انظر :

Daressy, G., «Les Carrieres de Gebelein et le roi Smendis», R. d.T., 10, 1888, PP. 133 — 138.

(٨) P.M., III ,PP. 5, 225.

(٩) Kitchen, Third Intermedaite, P .57.

(١٠) Cerny, C.A.H3., 2B, PP. 650 — 651.

(١١) يرى تشرنى انها ابنة نسبانب جد Ibid., P. 650.
بينما يرى جاردنر انها ابنة بسوسينس الأول ، جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٤٩ .

وذهب كتشن الى أنها ابنة باى نجم الأول .
Kitchen, Op. Cit., P. 58.

(١٢) B.A.R., IV, § 648, P. 315, § 652, P. 317.
Kitchen, Op. Cit., PP. 258 — 261.

يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٥٨ .

(١٣) Cerny, C.A.H3., 2B, 1980, PP. 648 — 649.

(١٤) انظر الفصل الثالث ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(١٥) سليم حسن : مصر القديمة ج ٩ ، القاهرة ١٩٥٢ . ص ٥ — ٥٧ .

(١٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦١ .

(١٧) عن وحى آمون انظر : تحية محمد شهاب الدين : الوحى الالهى فى مصر القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآثار جامعة القاهرة ، ١٩٨٨ .

Cerny, J., Egyptian Oracles in Parker, R.A., A Saite Oracle Papyrus from Thebes, 1061, chap. 4.

(١٨) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٤ .

(١٩) عن علاقة « بر — عمسيس » بتانيس وكيف انتقلت آثار الأولى الى الثانية انظر :

Habachi, L., «Khata Cna, Qantir, Impolanee», A.S.A.E., 52, 1954, PP. 443 — 558..

Uphill, E.P., «Pithom and Raamses, Their Location and Significance» J.N.E.S., 27, 1968, PP. 291 -- 317.

(٢٠) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦٥ .

(٢١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ١٠ — ١٥ .

(٢٢) P.M.. II, PP. 525 ff.

(٢٣) Daressy, G., «Fauilles de l'angle nord-ouest de l'enceinte de grand temple d'Amon à Karnak», A.S.A.E., 22, 1922, PP. 63 — 64.

(٢٤) Chaban, M., «Fouilles a Achmonein», A.S.A.E., 8, 1907, P. 223.

Wainwright, G., «El-Hibe and Esh-shurafa and Their Connection with Herakleopolis and Cusae», A.S.A.E., 27, 1927, P. 82.
P.M., IV, P. 124 f.

(٢٥) Spigelberg, W, «Brief der 21. Dynastie aus El-Hibe» Z.A.S., 53, 1917, PP. 1 — 4.
Cerny, J., C.A.H3., 2B, 1980, PP. 653.

(٢٦)
جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٠ — ٣٥١ .
عن خبيئة الدير البحرى انظر :
Cerny. G., The Royal Mummies, Cairo, 1912.
Maspero, G., Les Momies royales de Deir el-Bahari, Caire, 1889
وعن مقبرة « انحعبى ٢
Cerny, J., «Studies in the Chrondogy of the Twenty-first Dynasty», J.E.A., 32, 1946, PP. 24 — 30.
عن مقبرة كهنة وكاهنات آمون والتعرف بها انظر : P.M., I. P. 198.

(٢٧) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤١ .

(٢٨) ادوارد ماير : حياة صمويل النبى ، ترجمة مرقس داود ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٦٥ .

(٢٩) نفس المرجع ، ص ٢ ، ٢٥ ، صمويل الاول ٢ : ٢٢ — ٢٤ .

(٣٠) القضاة ٩ : ٦ — ٢٠ .

(٣١) التثنية ٢٥ : ١٤ — ١٥ .

(٣٢) Eissfeldt, C.A.H3., 2B, 1980, 573.

(٣٣) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤١ .
Eissfeldt. Op. Cit., P. 574.

(٣٤) صمويل الأول ٨ : ١٠ ـ ١٨ .

(٣٥) صمويل الأول ٩ : ٩ ، سيجال : حول تاريخ الأنبياء عند بنى اسرائيل ، ترجمة حسن ظاظا ، بيروت سنة ١٩٦٧ ، ص ٩ ـ ١٨ .

(٣٦) حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٤٠ .

(٣٧) Hall, The Ancient, History of the Near East, P. 424.

(٣٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .
صمويل الأول ٨ : ٢٠ ـ ٢١ .

(٣٩) جاكوبسن فى : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٦ ـ ١٥٠

(٤٠) Leo Oppenheim, A., «The Sumerian King List», A.N.E.T., 1969, PP. 265 — 266.

(٤١) Ibid., P. 265.

(٤٢) Leo Oppenheim, A.N.E.T., P. 265.

(٤٣) Speiser, E.A., «Akkadin Myths and Epics, Old Babylonian Version», A.N.E.T., 1969, P. 114.

(٤٤) عبد المنعم بو بكر وآخرون : العراق القديم ـ تاريخه وحضارته ، الألف كتات ٥٩ ، ص ٢٩٨ .

(٤٥) جاكوبسن : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٥ .

(٤٦) كانت بلاد الرافدين طوال الألف الثالث ق.م من وحدات سياسية صغرى تعرف باسم « دول المدن » كانت كل دولة من هذه الدول تتألف من المدينة والأراضى المحيطة بها التى يفلحها أهل المدينة وقد تشمل دولة المدينة أحيانا أكثر من مدينة واحدة ،أو تجتمع فيها بلدتان أو ثلاث وبضع قرى تعتمد على المدينة الرئيسية وتخضع لادارتها وبين الأونة والأخرى يظهر فاتحون يوحدون بين معظم دول المدن هذه فى دولة قومية واحدة تخضع لحكمهم غير أن مثل هذه الدول القومية لم يكن من دأبها أن تدوم طويلا فتتجزأ البلاد من بعدها الى دولة

مدينة مرة أخرى كانت المدينـة الرئيسية هى مركز دولة المدينـة وكان المركز من المدينة نفسها هو هيكل اله المدينـة وكان مرتبط به معابد الهة اخرى أقل شـأنا .

جاكوبسن : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٤٧) Jacobsen, I., «Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia», J.N.E.S., 2, 1943, P. 165.

(٤٨) هنرى فرانكفورت : فجر الحضـارة فى الشرق القديم ، ترجمـة ميخائيل خورى ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٦٨ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٤٠١ ـ ٤٠٣ .

Jacobsen, J.N.E.S., PP. 165 — 172

(٤٩) Labat, R., Le Caractere religeux de la royaute Assyro-Babylonienne, Paris ,1939, PP. 63 — 69.

(٥٠) Jacobsen, T., «The Concept of Divine Parentage of the Ruler in the Stele of the Vultures», J.N.E.S., 2, 1943, PP. 119 — 121.

(٥١) Thureau-Dangin, F., Les Inscriptions de Sumer et d'Akkad, Paéis, 1905, P. 41.

(٥٢) موسكاتى : المرجع السابق : ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

وانظر الفصل الأول ، ص ٣٨ ـ ٣٩ ، ص ٤٢ ـ ٤٥ .

(٥٣) قضـــاة ٢ : ١٦ ، ١٩ و ٣ : ٩ ـ ١٠ ، ١٥ ، ٢١ و ٤ : ٤ و ١٠ : ٢ وانظر الفصل الأول ، ص ٤٢ .

(٥٤) قضاة ٦ : ٨ ، ٣٤ و ٤ : ١٤ .

صموئيل الأول ١٠ : ١ ـ ٧ .

(٥٥) قضاة ٣ : ٩ .

(٥٦) قضاة ٨ : ٢٢ ، ٩ : ٧

(٥٧) قضاة ٩ : ٦ ـ ٢٠ .

وعن عصر القضاة انظر :

Eissfeldt, C.A.H3., 2B, 1980, PP. 553 —560.

(٥٨) Mowinckel, S., He That Cameth, N. Y., 1954, P. 16

(٥٩) Labat, R., Op. Cit., P. 40.
Frankfort, Kingship and Gods, P. 286.

سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ، ص ١١ – ١٤ .

(٦٠) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ – ٣٣١ .
صمويل الأول ٨ : ٥ – ٢٠ ، ١٠ : ١٧ – ١٩ .

(٦١) المزامير : : ٧ . Eissfeldt, Op. Cit., P. 573.

(٦٢) أرميا ٣٠ : ٢١ . Ibid

(٦٣) صمويل الأول : ١٣ : ٩ .

(٦٤) Mowinckel, Op. Cit., PP. 73 — 76.

(٦٥) المزامير ٨ : ٩ ، ٢٠ .

(٦٦) يعد الاصحاح الثامن من سفر حزقيال نموذجا على ذلك بالرغم من أنه يعطى وصفا تفصيليا لانتهاكات المعبد الا أنه لا يشير الى ادعاءات أى ملك للالوهية أو المساواة مع « يهوه » .

(٦٧) Pederson, J., Israel, Its Life and Culture, Copenhagen, 1962, PP. 79 — 80.

(٦٨) انظر الفصل الأول من ص ٥٣ الى ٥٤ .
وكذا : Hall, Op. Cit., P. 423.
Eissfeldt, Op. Cit., PP. 571 — 572.

(٦٩) صمويل الأول ١٣ – ٣ .

(٧٠) صمويل الأول ١٤ : ٢٤ – ٣١ .

(٧١) صمويل الأول ١٧ : ١ – ٤ .

(٧٢) صويل الأول ١٧ : ٢٠ – ٥٤ .

(٧٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ص ٣٦٠ .
صمويل الأول ٢١ : ١ – ١٥ .

(٧٤) أو سهل مرج بن عامر وهو سهل خصيب فى جنوب الجليل ، هو ميدان حروب فلسطين ، وهو مكان انتصار « بازق » على جيوش « سيسرا » وأيضا مكان هزيمة « يوشيا » فى بقعة « مجدو » قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٤٣ .

(٧٥) Noth, M., The History of Israel, London, 1965, PP. 177 — 178.

(٧٦) Hall, Op. Cit., P. 350; Eissfeldt, Op. Cit., PP., 578 — 579.

(٧٧) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٢ .

(٧٨) Lods, A., Israel from Its Biginning to the Middle Eight Century, London, 1962, P. 360.

(٧٩) Noth, Op. Cit., PP. 189 — 190.

(٨٠) Lods, Opè Cit., P. 361.

(٨١) Keller, The Bible As History, London, 1967, P. 188.
Cook, Op. Cit., P. 373.

(٨٢) حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ١٧ .
صموئيل الثانى ٥ : ٦ .

(٨٣) صموئيل الثانى ٥ : ٦ — ٩ . Noth, Op. Cit., P. 191.

(٨٤) حسن ظاظا : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٨٥) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٥٦ — ٥٧ .
Noth, Op. Cit., P. 191.

(٨٦) يقصد الباحث بفلسطين هنا السهل الساحلى الذى استقر فيه البلست .

(٨٧) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٥ .

(٨٨) Goedicke, H., The Report of Wenamun, P. 66.

(٨٩) Noth, Op. Cit., P. 187.

(٩٠) Eissfeldt, Op. Cit., PP. 582 — 583.
Noth., Op. Cit., PP. 187 — 188.

(٩١) Lods, Op. Cti., P. 360.
Eissfeldt, Op. Cit., P. 583.
Kitchen, K.A., «The Philistines» in Wiseman, D.J., Peoples of The Old Testament Times, Oxford, 1973, PP. 64 — 65.

(٩٢) Kenyon, K., «Excavations in Jerusalem», P.E.Q., 95, 1963, P. 244.

(٩٣) Noth, Op. Cit., P. 196.
Keller, Op. Cit., P. 188.

(٩٤) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٠ .

(٩٥) Kitehen, Third Intermediate, P. 274.

(٩٦) هامش ١٨٣ . Ibid.

(٩٧) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٠ .

(٩٨) Hall, Op. Cit., P. 431.

(٩٩) الملوك الأول ١١ : ١٩ ـ ٢٠ .

وقد ناقش « شولمان » مسألة زواج « هدد » من الأميرة المصرية باستفاضة ، انظر :

Schulman, A.R., «The Curious Case of Hadad the Edomite» in Lesko, Egyptological Studies in Honor of Richard A. Parker, Hanover and London, 1986, PP. 122 — 135.

وعن تربية أمراء أجانب فى القصر الملكى انظر :

عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٠٩ ـ ٢١١ .

(١٠٠) Peet, E., Egypt and The Old Testanen, London, 1922, P. 150.

(١٠١) Malamat, A., «Aspects of the Foreign Policies of Davdi and Solomon» J.N.E.S., 22, 1963, P. 8.

(١٠٢) Ibid, P. 9.

(١٠٣) الملوك الأول ٣ : ١ ـ ٢ .
Schulman, Op. Cit., PP. 122 — 123.

(١٠٤) الملوك الأول ٧ : ٨ .

(١٠٥) الملوك الأول ٩ : ١٦ .

(١٠٦) الملوك الأول ٩ : ٢٤ .

(١٠٧) الملوك الأول ١١ : ١ .

(١٠٨) حيث عثر فى « بوغازكوى » عاصمة الحيثيين على رسالة بالمسارية تروى قصة خطاب طلبت صاحبته من « شوبيلو ليوما » ملك الحيثيين (١٣٧٥ — ١٣٣٥ ق.م) أن يزوجها واحدا من أولاده ليربط بذلك بين العرشين المصرى والحيثى ، معللة ذلك بأن زوجهـا قد مات ، دون أن يرزق بولد يجلس على العرش وفى نفس الوقت تربأ بنفسها من أن تتزوج بواحد من رعاياها ، وقـد شك الملك الحيثى فى هـذا الطلب الغريب وظن بصاحبته الظنون ، وكان ذلك سببا فى أن تحتج الأرملة باحتقـار على اساءة الظن بها ، وأن انتهت الأمور باجابة طلبها وأرسـل اليها الملك الحيثى بواحد من أبنائه ، غير أن هذا الأمير الحيثى قتل وهو فى الطريق الى مصر .

نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، ج ٣ ، ص ٧٩ — ٨٠ .

Goetze, A., A.N.E.T., 1969, P. 319.

وهناك من يرى ان هذه الأرملة هى « نفرتيتى » .

عبد المنعم أبو بكر : اخناتون ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ١١٩ .

فاندية : مصر ، ص ٣٨٩ .

شارف : تاريخ مصر ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القـاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٤١ — ١٤٢ .

والبعض يراها « عنخ اس ان آمون » ابنـة اخناتون وزوجـة توت عنخ آمون .

Sayce, A.H., «What Happened, after the Death of Tut-Ankhamun» J.E.A., 12, 1926, P. 170.

Griffith, N., «Akhenaten and the Hitties» J.E.A., 9, 1923, P. 78.

Redford, D.B., Akhenaten the Heretic King, Princeton, 1984, PP. 217 ff.

(١٠٩) Malamat, A, «The Kingdom of David and Solomon in its contact with Egypt and Arab Naharaim» B.A., 21, 1958, P. 98.

(١١٠) Desroches — Noblecourt, Christiane, Ugaritica, 3, 1956, P. 179.

(١١١) Mercer, S.A.B., The Tell El-Amarna Tablets, Toronto, 1939, PP. 12 — 13.

(١١٢) Malamat, Op. Cit., P. 98.

(١١٣) Peet, Op. Cit., P. 153.
Malamat, Op. Cit., P. 99.

(١١٤) محمد أبو المحاسن عصفور : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، جـ ٢ بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٠٥ .

(١١٥) Hall, Op. Cit., P. 437; Peet, Op. Cit., P .152, Malatmat, B.S., 21, PP. 98 —99.

(١١٦) Oesterley, Op. Cit., P. 225.

عبد الرازق قنديل : « يهود مصر » مجلة كلية اللغات والترجمة ، جامعة الأزهر ، ١ : ١٩٨٥ ، ص ٥ .

(١١٧) Kitchen, Third Intermediate., P. 280.

(١١٨) Kitchen, «The Philistines»., PP. 64 — 65.
Kitchen, Third Intermedite, P. 281.; Cerny, C.A.H3., 28, PP. 656 — 657.
Eisseldt, C.A.H3., 2B, PP. 7587 — 588.
Montet, P., Le Drame d'Avaris, Paris, 1940, **P. 196.**

(١١٩) Malamat, J.N.E.S., 22, P .17.

(١٢٠) Yadin, Y., The Kingdom of Israel and Judah, 1961, P. 77.

(١٢١) Robinson, H., A History of Israel, 1, London, 1932, P. 224.

(١٢٢) صموئيل الثانى ٨ : ١ .

(١٢٣) Malamat, Op. Cit., P. 14.

(١٢٤) صموئيل الثانى ٨ : ٢ .

(١٢٥) صموئيل الثانى ٨ : ٦ .

(١٢٦) صموئيل الثانى ٨ : ١٤ .

(١٢٧) صموئيل الثانى ٣ : ١٨ ، ١٩ : ١٠ .

(١٢٨) صموئيل الثانى ٨ : ١٢ .

(١٢٩) أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٤ ــ ٨ .

Malamat, J.N.E.S., 22, P. 15.

(١٣٠) صموئيل الثانى ٢١ : ١٥ ــ ٢٢ .

(١٣١) Malamat, Op. Cit., P. 15.
Kitchen, «The Philistines», P. 63.

(١٣٢) Malamat, Op. Cit., P. 15.

(١٣٣) أخبار الأيام الثانى ١١ : ٨ . Malamat, Op. Cit., P. 15.

(١٣٤) يشوع ١٥ : ٤٥ .

(١٣٥) Mazar, B., «The Cities of the Territory of Dan» I.E.J., 10, 1960, PP. 65 — 77., Malamat, J.N.E.S., 22, P. 16.

(١٣٦) الملوك الأول ٩ : ١٨ ، أخبار الأيام الثانى ٨ : ٦ .

(١٣٧) Malamat, Op. Cit., P. 16.

(١٣٨) Petrie, W.M.F., Beth Pelet, 1, 1930, PP. 1 — 29.

(١٣٩) Malamat, J.N.E.S., 22, P. 12.

(١٤٠) Macalister, R.A., The Excavation of Gezer, 3, 1012, P. 195.

(١٤١) Kitchen, Ihird Intermediate, P. 281.

(١٤٢) Macalister, Op. Cit., P. 195.
Malamat, J.N.E.S., 22, P. 13.

الفصـــل الثـــالث

مصر وفلسطين من منتصف القرن العاشر حتى نهاية القرن التاسع ق٠م

اولا ــ مصـــــر

١ ــ قيـام الأسرة الثانيـة والعشرين ٠

٢ ــ أحوال مصر الداخلية فى عصر الأسرة الثانية والعشرين٠

٣ ــ أحوال مصر الداخلية فى عصر الأسرة الثانية والعشرين ٠

(أ) الحـالة السياسـية ٠

(ب) الحالة الاقتصـادية والاجتماعية ٠

ثانيـا ــ فلســطين

١ ــ العبريون بعد سليمان : عوامل انقسام المملكة ٠

٢ ــ مصر وفلسطين فى عهد شاشانق الأول ٠

ــ حملة شاشانق الأول على فلسطين :

أسبابها ــ خط سير الحملة ــ نتائجها ٠

٣ ــ مصر وفلسـطين بعد شاشـانق الأول حتى نهايـة القـرن التاسـع ق٠م ٠

مقدمـــة :

يميـــل بعض الباحثـين الى اعتبـار عصر الأسرة الحـــادية والعشرين بداية للعصور المصرية المتأخرة ، ربما على أســاس غلبة الخمول على أوضـاع مصر الداخلية والخارجية ، وبالتالى تقلص نفوذها الخـارجى ، وأيضـا ضعف وحـدة الحكم وتقاســمه بين الملوك ، وذهب رأى آخر الى اعتبـار الفترة من الأسرة الحـادية والعشرين حتى نهايـة الأسرة الخامسـة والعشرين عصر انتقـال ثالث(١) ،ولكن هناك رأيا ثالثا يرى أن عصر الأسرة الحاديـة والعشرين هو نهاية للدولة الحديثـة وان ما تلاها هو ما يطلق عليه عصر متأخر ، وهذا ما يميل اليه الباحث ، على أســاس أن مصر وان لم تحقق توســعا خارجيـا يذكر فى عصر الأسرة الحاديـة والعشرين . الا انها حافظت على حدودها الخاصة كما حافظت على استقلالها ، وظل حكمها فى أيد مصرية ســواء فى تانيس أم فى طيبة وهـذا ما يفرق بين أوضـاع هـذا العصر وصـورته العامة بين الأوضاع التى شهدتها العصـور التالية(٢) ، والتى تبدأ بالأسرة الثانية والعشرين وسـوف يتناول الباحث فى هذا الفصـل ظروف قيام الأسرة الثانية والعشرين ويستعرض أوضـاع مصر الداخلية خلال الفترة من « شاشانق » الأول مؤسس الأسرة حتى « شاشانق » الثـالث (٨٢٥ ـ ٧٧٣ ق٠م) وسياسـة هـؤلاء الملوك تجـاه « طيبة » والتى كانت تمثل دولة داخل الدولة منذ أواخر عصر

الأسرة العشرين ، ثم أوضاع مصر الاقتصادية والاجتماعية خلال تلك الفترة ٠

ثم ننتقل الى أحوال فلسطين الداخلية ابان تلك الفترة والانقسام الذى أصاب مملكة العبريين وأسبابه ، ثم يوضح الباحث انعكاس أحوال مصر وفلسطين الداخلية على علاقة كل منهما بالأخرى ، وأهم مظاهر ذلك حملة شاشانق الأول على فلسطين وأخيرا علاقة مصر وفلسطين من وسركون الأول حتى شاشانق الثالث ٠

أولا ـ مصر

١ ـ قيام الأسرة الثانية والعشرين

ترجع الأصول الأولى لملوك الأسرة الثانية والعشرين الى عناصر « الماشواش » التى حاولت غزو مصر فى عهد مرنبتاح ورمسيس الثالث الا أنهما نجحا فى صد غزواتهم أكثر من مرة ، كما سبق ان ذكرنا(٣) ، لذلك تراجع هؤلاء الغزاة عن فرض أنفسهم بالقوة ، ولكنهم نجحوا فى التسلل السلمى ، ولما كانوا محاربين بطبيعتهم انضم الكثيرون منهم الى الجيش المصرى كمرتزقة ، ولكن قلة الحروب خلال الأسرتين العشرين (بعد رمسيس الثالث) الحادية والعشرين ، وعدم توافر المال اللازم لدفع أجورهم ، الى جانب وجود فراعين ضعاف على العرش المصرى ، كل هذا قد زاد من نفوذ هؤلاء الأجانب المرتزقة فأصبحوا مصدر قلق واضطراب ، حتى أصبحنا نقرأ فى النصوص المصرية عن العمال الذين توقفوا عن العمل بسبب الخوف من الماشواش(٤) ، وقد استقر هؤلاء الأجانب فى واحات الصحراء الغربية ، خاصة الداخلة والبحرية ،

فضلا عن الوادى نفسه ، كما استقرت جماعات منهم فى اهناسيا وتمركز بعضهم فى تل بسطة « الزقازيق » ولعل هذا هو السبب الذى دعا « مانيتون » الى أن يطلق على ملوك هذه الأسرة (ملوك بوباسطة)(٥) ، ثم ما لبثوا أن تمصروا فانتحلوا الديانة والعادات المصرية ، فاطمئن الفراعنة الى بعض جماعاتهم ووزعوهم فى حاميات متفرقه ، ومنحوهم هبات من الأراضى الزراعية كمرتبات دائمة ، الا أنهم لم ينسوا أصولهم تماما فجمع رؤساؤهم بين لقب « ور » المصرى بمعنى عظيم وبين لقب « مس » الليبى بمعنى ملك ، ولقب « رئيس ما الكبير » هو اختصار فيما يبدو للقب رئيس الماشواش الكبير (٦) ٠

معنى ذلك أن الأسرة التى نحن بصددها هى من نسل الأسرى والمرتزقة الذين استقروا بالبلاد ومنحت لهم أراضى مشروطة بالتزام الخدمة العسكرية ، وعلى ذلك يميل الباحث الى الرأى الذى يصف العناصر الحاكمة فى عهود الأسرات من الثانية والعشرين الى الرابعة والعشرين بالمهجنيين(٧) ، اعتمادا على عدة أسباب منها :

أولا — أنهم لم يكونوا من عنصر واحد ، بحيث تصدق عليهم تسمية واحدة ، وانما كانوا من قبائل خليطة من أهل الواحات ، والصحراء الغربية « الأعدمين » « التحنو » و « الشمحو »(٨) ، وفئات من شعوب البحر من أمثال « الشردن » و « الأقواشا » و « التورشا » و « اللوكى » و « الشكلش » فضلا عن « الماشواش »(٩) والذين نزلوا السواحل الغربية الليبية منذ القرن الثالث عشر ق٠م فصاعدا ، وعجزوا عن دخول مصر بالقوة أكثر من مرة ، فاكتفوا بالتسلل السلمى اليها ٠

ثانيا ـ أنه قد غلبت عليهم عناصر الماشواش وقلت فيها عناصر الليبيين شيئا فشيئا ، بحيث بدأ شاشانق الأول أول ملوك الأسرة بلقب رئيس « ما » الكبير أى رئيس « الماشواش » الكبير وليس رئيس « الربو » ، وكذلك كان أبوه وجده وحمل نفس اللقب « تف نخت » رأس الأسرة الرابعة والعشرين ، الى جانب ألقاب أخرى قبل ولايته العرش(١٠) ٠

ثالثا ـ أنه فى أوائل العصور المتأخرة راح ذكر « الربو » يقل شيئا فشيئا ، وزاد عنه ذكر قبائل « ماشواش » وكان هؤلاء أقدم عهدا من « الربو » اذ ذكرتهم مصادر عهد « أمنحتب الثالث » فى القرن الرابع عشر ق٠م ، وكانوا يلبسون قراب العورة واعتادوا الختان ، ربما تأثروا بالعادت المصرية ، دليلا على تشبعهم بها ، نتيجة لطول اتصالهم بالمزارعين على المناطق الحدودية(١١) ٠

ومعنى ذلك أن ملوك مصر خلال عصور هذه الأسرات (٢٢ ـ ٢٤) لم يكونوا أغرابا عن مصر تماما : ولم يفتحوا البلاد عنوة ، ولكنهم كانوا خليطا من الأجانب المتمصرين ، ساعدتهم الظروف التى كانت تمر بها البلاد ، على أن يتمتعوا بكثير من النفوذ الذى جعلهم يرتقون عرش مصر وكانت أقوى جالياتهم تلك التى كانت تعيش على الأرجح فى الواحات البحرية ثم نزحت الى اهناسيا باعتبارها من المداخل الطبيعية من الواحات الى وادى النيل وباعتبارها منطقة مناسبة للنشاط الزراعى والتجارى ، فضلا عن قربها من الصحراء الغربية وكان ذلك فى أخريات أيام الرعامسة ، وانتسب هؤلاء النزلاء الى « بيواوا » أو « بويو واوا » ، الذى سرعان ما أصبح ولده « ماوا ساتا » واحدا من كهان « حرى شف » معبود « اهناسيا » ثم أخذت عائلته تتوارث هذا المنصب الكهنوتى

ويزداد نفوذها بالتدريج فى اهناسيا فضلا عن مصر الوسطى ، حتى تمكن « شاشانق » جد مؤسس الأسرة الثانية والعشرين من أن يصبح قائدا للحامية الأجنبية (الليبية) وأن يجمع فى يديه السلطتين الدينية والعسكرية فى مصر الوسطى ، وان يحمل ولده « نمرات » على أيامه لقب « رئيس الجيش كله » والرئيس الأعظم للأجانب ، وهكذا وطبقا للوحة « باسن حور » التى كشف عنها فى السرابيوم وتؤرخ بالعام السابع والثلاثين من حكم شاشانق الخامس ، فان موطن الأسرة الجديدة كان فى اهناسيا الأمر الذى ارضاه جمهور المؤرخين(١٢) ، وان كان هناك رأى آخر يرى ، أن هذه الأسرة ، انما كانت تقيم منذ أوائل عصر الأسرة الحادية والعشرين فى « بوباسطة » وليس فى اهناسيا ، اعتمادا على أن لوحة « أبيدوس » التى تعرضت للوحى الخاص ب « نمرات » والد « شاشانق » مؤسس الأسرة لم تتحدث عن اهناسيا ولا عن معبودها « حريشف » (حار سافيس) ، كما ان لوحة « باسن حور » التى اعتمد عليها العلماء والتى أقامها « باسن حور » كاهن « اهناسيا » فى السرابيوم ، كانت فى العام السابع والثلاثين من عهد « شاشانق » الخامس ، أى فى وقت لاحق على عهد شاشانق الأول(١٣) .

وهناك ما يدل على قوة بعض العائلات ذات الأصول المهجنة ، خاصة عائلة شاشانق الأول قبل ارتقائهم عرش مصر ، حيث أنه عندما مات « نمرات » والد شاشانق دفن فى أبيدوس ثم حدث اعتداء على قبره فذهب شاشانق شاكيا الى الملك فى تانيس فاهتم الملك بالأمر وسافر بنفسه الى « طيبة » مع شاشانق ليحتكموا الى الاله آمون فى ذلك الأمر وأقيمت المحاكمة فى الكرنك وشهدها الفرعون وكبير الكهنة ، وانتهت بان حكم وحى الالة بادانة الجناة،

وعندئذ انحنى الفرعون أمام تمثال الاله الكبير وطلب من آمون رع أن يبارك كل اعمـال شاشـانق ، وقـد أجـاب الالـه على ذلك بالموافقـة(١٤) .

هذه الحادثة لا توضح قوة بعض العـائلات ذات الأصـول المهجنة فحسب ، انما تدل فى نفس الوقت على ضعف فراعنـة مصر فى تلك الفترة ، فضلا عن أنها تشير الى أن هذه العناصر قد تمصرت تمصرا تاما واعتنقت ديانة المصريين شأنهم فى ذلك شـأن بقيـة سكان البلاد ، كما تدل هذه الحـادثة على ذكاء شاشانق ونفـاذ بصيرته ، حيث أنه لم يقنع بالشكاية لكبير كهنـة آمون بل ذهب الى ملك تانيس ، وبهـذا العمـل كان شاشانق يضمن استجابة الفرعون لطلبه ، حيث أنه أرضى غرور فرعون ضعيف ، كان يشعر بعدم قدرته على حكم مصر كلهـا ، وفى هذا العمـل اعتراف من أمير قوى فى مصر الوسـطى بسلطة الفرعون ، وفى نفس الوقت عدم اعتراف ضمنى بسـلطة كبير كهنة آمون ، وعلى ذلك كان لابد أن يوافق الفرعون على ما ذهب من أجله شاشانق بل أن الفرعون ذهب بنفســه مع « شاشـانق » لحضـور المحاكمـة امام وحى « آمون » ، ثم أرسـل الملك تمثـالا ليوضع فى معبد « أوزير » «بأبيدوس » كمـا سـمح للأمير « شاشـانق » بتشييد مبنى فى « أبيدوس » لاقامة شـعائر جنازية كبرى ، لتمجيد والده(١٥) ، وأصبح « شاشانق » بذلك على علاقـة طيبة بملوك الأسرة الحاكمة، وعندما ارتقى العرش احترم ذكرى آخر ملوكها لذلك فان هنـاك احتمالا قويا بأن الانتقـال من الأسرة الحادية والعشرين الى الأسرة الثانيـة والعشرين قد تم فى سـلام(١٦) ، ولاشـك أن الفرعون المقصود هنا هو « بسوسينس » الثانى حيث أنه من المعروف ان « وسركون » الأول ابن « شاشـانق » وخليفتـــه اتخذ ابنـة « بسوسينس » الثانى وتدعى «ماعت كارع » زوجـة له(١٧) .

وبفضل هذه المصاهرة وقوة حزب « شاشانق » مع ضعف حزب الفرعون ، ضمن الأول لنفسه ولأسرته وراثة عرش مصر وجعل عاصمته « بوباسطة » بشرق الدلتا بعد أن اطمأن الى ولاء غرب الدلتا له ، وذلك لانتشار حلفائه وأقربائه على حدوده(١٨) ٠ وهكذا أصبحت السمة الغالبة على تكوين الأسرة المالكة وبطانتها وأعوانها ، انها ذات أنساب مهجنة جمعت بين دماء بعض أمراء الصحراء الغربية الأصليين وبين دماء بعض الأميرات المصريات من سليلات الأسرة الحادية والعشرين الملكية وبين دماء بعض أمراء الشعوب المهاجرة التى سميت اصطلاحا باسم شعوب البحر ٠

٢ ـ أحوال مصر الداخلية فى عصر الأسرة الثانية والعشرين

(أ) الأحوال السياسية :

بعد أن ارتقى شاشانق الأول عرش مصر حمل الألقاب التى كان يحملها « نسبانبجد » (سمندس) مؤسس الأسرة الحادية والعشرين ليظهر للناس على أنه استمرار للماضى ، وفى نفس الوقت بداية عهد جديد ، وقد اعترفت العواصم الشمالية مثل « تانيس » و « منف » به ملكا ، وذلك لعلاقته بالأسرة السابقة فى « تانيس » فضلا عن علاقته بكهانة « بتاح » فى « منف » ، أما فى « طيبة » فقد تأخر الاعتراف به كفرعون حقيقى حتى العام الخامس من حكمه ويوضح ذلك نقش على حجر الكرنك مؤرخ بالعام الثانى ، الشهر الثالث ، من فصل « أخت » اليوم السابع عشر لرئيس « ما » العظيم ، « شاشانق » ، ومعنى ذلك أن الكهانة الطيبية فى العام الثانى من حكم « شاشانق » لم تعترف به كفرعون ، ولم تضع اسمه فى خرطوش ولم تسبغ عليه الألقاب الفرعونية ولكنها أطلقت عليه رئيس ال « ما » الا أنه منذ العام

الخامس اعترفت به طيبـة كفرعون حقيقى(١٩) ، حيث وجدت لفافة من نسيج الكتـان مهداه الى الكاهن الثانى « جد ـ بتاح ـ أف ـ عنخ » والذى كان يلقب ابن الملك «رعمسيس » ، عليهـا اسم « ايبوت » ككاهن أكبر لأمون ، واسـم والده « شاشانق » كفرعون ، مؤرخة بالعام الخامس من حكمه (٢٠) ٠

لقد كانت طيبة ومعظم مصر العليـا على أيام الأسرة الحادية والعشرين بمثابة دولة داخل الدولة على راسها اسرة من قادة الجيش تحمل الألقاب الكهنوتيـة وعلى ذلك فعندما أراد ، شاشانق توطيد وحدة البـلاد أتبع وسيلتين :

الأولى ـ تعيين بعض أفراد البيت المـالك وانصـارهم على رأس الادارات فى كهانة آمون فى « طيبة »(٢١) ، فأسرع بتعيين ابنه الثـانى « ايبوت » فى منصب كبير كهنة « آمون » فى الكرنك ، فكان طبيعيـا أن يكون هذا الابن ممثلا للحـكم الملكى فى « طيبة » بدليل انه كان يحمل لقب « قائد الجيش » الى جانب لقب كبير الكهنة ، ثم أضافت الآثار الأخيرة له لقب « حاكم مصر العليـا » وان كانت هـذه الألقـاب لتدعيـم سـلطة الابن وتثبيت مركزه وتبرير وجود قوة عسكرية معه فى طيبة ، وكان من نتائج هـذه الحركة الحكيمة أن كسر « شاشانق » تقليد الوراثة المتعارف عليـه بالنسبة لهذا المنصب الخطير(٢٢) ٠

أما الوسيلة الثانية ـ فهى الزواج من الأسرة الكهنوتيـة الطيبيـة وكان لابد أن يستفيـد شاشـانق من سياسـة الأسرة السابقة ، فمن المعروف أن ملوك « تانيس » فى الأسرة الحاديـة والعشرين اتبعوا وسيلة المصـاهرة مع كبـار كهنـة « آمون » لتزكية نفوذهم فى « طيبة » حيث قـام هؤلاء الملوك باعطـاء بناتهم

كزوجات لكبار كهنــة « آمون » ولكن من ناحيــة أخرى ، نقلت بنات الملوك الى أزواجهن بهذه المصــاهرات فى نفس الوقت حقوقا شرعية استغلها بعضهم فى اتخــاذ الألقــاب الملكية(٢٣) وعلى ذلك فقد أراد « شاشانق » أن يتفــادى ما وقع فيه ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، رغم أنه اتخذ نفس الأســلوب (المصــاهرة) فبدلا من اعطــاء بناته كزوجات لكبــار كهنة « آمون » فقد زوج أولاده من الأسرة الكهنوتيــة ، وبذلك اكتسبوا حقوقا شرعيــة فى منصــب الكهانة ، بهاتين الوسيلتين أصبح « شاشانق » يشرف اشرافا مباشرا على هذه الوظيفة البالغة الأهميــة ، وكفل لأسرته السلطتين السياسية والدينيــة مع ملاحظة أهميــة السلطة الدينية علاوة على ذلك فقد أعطى وظيفــة الكاهن الثانى لأبنــاء الأمراء أو لأحد أزواج الأميرات ، بينما خصصت وظيفتــا الكاهن الثالث والرابع لأبنــاء الأسر النبيلة التى تنتمى لســلالة المــاشواش(٢٤) ومع ما فى ذلك من دلالة على حسن سياســة « شاشانق » للسيطرة على هــذا المنصب (كهانة آمون) الا أنه يتضح فى الوقت نفســه قوة بعض الأمراء ذوى الأصــول المهجنــة الذين أراد الملك أن يضمن ولاءهم اما بتزويجهم من البيت المــالك أو بتوليتهم منصبا مهما فى الدولة مثل منصب الكهانــة ليضمن اســتمرار السلطة فى أسرته بمعنى آخر العطاء مقابل الولاء ٠

وحتى لا يترك « شاشــانق » الســلطة الفعليــة جنوب « منف » فى يدى رجل واحد ، عين ابنه « نمراث » حاكمــا على « اهناسيا »(٢٥) ، وهذا يوضــح استفادته من سياســة الأسرة السابقة فى الحذر حتى من أبنائه ٠

استمر فراعنة الأسرة على نفس سياســة « شاشانق » تجاه « طيبة » فعمل أغلبهم على أن يعين أحد أبنائه كبيرا لكهنة « آمون »،

لكى يكفل له ولأسرته عن طريق السيطرة على التسلطتين السياسية والدينية استمرار الحكم فيهم وان يكون لهم نصيب الأسد من ثروات معابد « آمون » ولتأييد هذا الابن فى مركزه وضع الفرعون تحت يده فرقا من الجيش وحمل لقب قائد الجيش الى جانب لقب كبير كهنة « آمون » بل تعمد بعضهم أن يزيد من تدعيم مركز ولده فى هذا المنصب ، فسمح له بأن يسجل اسمه داخل خرطوش شأنه فى ذلك شأن الملك(٢٦) ٠ ثم زاد « وسركون » الثالث على ذلك فعين ابنته « شبتن وبه » كبيرة لكاهنات طيبة وزوجة الهية ، وسمح لها بسلطات كهنوتية تفوق سلطات كبير الكهنة نفسه(٢٧) ٠

الى جانب نفوذ الأمراء والأميرات كان للملك أتباع يلقبون بلقب « عيون الملك » يتولون تنفيذ سياستهم فى رداء مدنى أو كهنوتى وقد أظهر هؤلاء الملوك المتمصرون اهتماما مفرطا بالدين فكان ذلك وسيلة لفرض حكمهم على مصر كلها ، لذلك خصصوا أغلب عمائرهم الدينية لاله الدولة « آمون » فقد منح « وسركون الأول » ما يقابل ١٨٢٠٠٠ كيلو جراما من الفضة و ٢٠٩٣٠٠ كيلو جرام من الذهب و ٤٥٥ كيلو جراما من حجر نفيس لمعبد « آمون » فى « طيبة » ، كما منح المعبودات الرئيسية فى مصر « رع حور أختى » و « حاتحور » و « موت » و « حريشف » و « تحوت » و « باست » ومعبودات اهناسيا والواقع ان مقدار ما منحه لالهة هليوبولس قد بلغ ما يعادل ٥٤٠٨١٣ كيلو جراما من الذهب والفضة(٢٨) وهذا يوضح مدى اسراف هؤلاء الملوك فى النواحى الدينية ، والتى سوف تؤثر على أحوال مصر الاقتصادية ، وأكثر من ذلك فانهم أعلنوا حرية طيبة فى تصريف أمورها ، وذلك عندما أعلن « وسركون الثانى » فى عيد « سد » انه اعترافا منه بفضل « آمون » عليه فى عيده « قد أعفيت طيبة فى طولها وعرضها بوصفها

متطهرة ومزينة لسيدها ، بحيث لايكون هناك تدخل فى شئونها من قبل مفتش بيت الملك » وربما كان هذا اعتراف بالأمر الواقع من جانب «وسركون الثانى » أو انه رأى من حسن السياسة أن يقوم بهذا الأمر ، غير ان هذا لا يمنع طيبة من التمرد ضد هؤلاء المتسلطين الجدد بين حين وآخر ، فقد تمرد أهلها عدة مرات فى عهد الكاهن الأكبر « وسركون » ابن تيكلوت الثانى ثم فى عهد ابنه شاشانق الثالث ، وقد اشتد الملوك فى اخماد عصيان طيبة حرصا على مصالحهم وهيبة سلطانهم فيها ، حتى انهم القوا بعض زعمائها فى النار أحياء(٢٩) ٠

ورغم هذا كله لم تستطع هذه الاجراءات أن توجد مصر ، الا فترة حكم شاشانق الأول فقط وكان توحيدا مشروطا باعطاء الاقطاعات للأسر القوية ذات الأصول المهجنة ، فما كاد ينتهى حكم شاشانق الأول حتى أعاد الشقاق والتنافس بين الشمال والجنوب ، حيث ان ما كان يراه ملوك الأسرة الثانية والعشرين عاملا من عوامل الوحدة والسيطرة على طيبة ومصر العليا ، وهو تعيين أفراد الأسرة المالكة فى منصب كهنة طيبة كان فى نفس الوقت من عوامل التفتت والانقسام ، حيث أن وصول ملك جديد الى العرش يتبعه خلع الكاهن الأكبر لتعيين ابن الملك الجديد مكانه ، فى الوقت الذى يكون فيه الكاهن السابق أصبح لديه حزب قوى ، وهكذا كانت هذه السياسة عاملا من عوامل قيام المنافسة والحروب الأهلية فى مصر ، ولعل ما حدث فى عهد الكاهن الأكبر « وسركون » ابن « تكلوث » الثانى خير دليل على ذلك(٣٠) ٠

مجمل القول أن السلطة التى كان يمكن أن يباشرها الفرعون فى تلك الفترة لم تتجاوز سلطة رئيس انتخبه أندادم الذين كان لمساعدتهم الفضل الأكبر فى وصوله للعرش ، وكانت هذه المساعدة

تتطلب مقابلا ، فاحتفظ رؤساء الأسر المهجنة ببعض الاستقلال تجاه التاج ، وبذلك كانت مدن مصر الكبرى تحت أمرة رؤساء عسكريين من سلالة المهجنين أو تحت أمرة كهنة عظام ٠

(ب) الأحوال الاقتصادية والاجتماعية :

كان لسياسة الأسرة الثانية والعشرين فى سبيل تحقيق سيادتها على مصر ، أثرها السيىء على أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية ، فالى جانب الهبات الكبيرة التى منحها ملوكها لمعابد مصر والهتها ، أنعموا على نفر من الأمراء القدامى باقطاعات كبيرة لضمان ولائهم ، وكان هؤلاء الأمراء قد أصهروا الى الحكام وتزوجوا من بناتهم ، وكذلك ظهرت طبقة اقطاعية كبيرة توافر لها نفوذ فى حكم الأقاليم(٣١) ٠ كما تكونت فى المجتمع المصرى فى أواخر هذا العصر طبقة من المحاربين أطلق المؤرخون الاغريق على افرادها اسم « ماخيموى » أصبحت العسكرية معهم هدفا يرنو اليه أفراد الطبقة الوسطى ويتوارثونها ابنا عن أب ويحصلون عن طريقها على اقطاعات زراعية صغيرة مناسبة ، فتكونت متماسكة منطوية على نفسها من العسكريين ، وربما اتخذ مثل هذا التقليد الطبقي سبيله الى صفوف بعض الكهنة وأسرهم(٣٢) ٠

ويوضح سوء أحوال مصر الاقتصادية فى عصر هذه الأسرة ، أن ما أقاموه من مبان دينية انما كان فى واقع الأمر عملية تخريب للمنشآت الدينية المصرية ، فقد كان هؤلاء الحكام المتمصرون على غير مستوى المسئولية بالنسبة للحفاظ على آثار الأسلاف ، ويبدو أنهم لم يجدوا غير ذلك وسيلة لاقامة عمائرهم الدينية التى تخلد ذكراهم ، ولكنها فى نفس الوقت أظهرت عجزهم وسوء أحوالهم ، فبعد موت شاشانق الأول انقطعت موارد البلاد الخارجية،

خاصة ذهب النوبة(٣٣) ، فلم يجد هؤلاء الملوك أمامهم الموارد الكافية لاقامة منشآت دينية لهم ولمعبوداتهم فلجأوا الى هدم بعض معابد الفراعين العظام ، خاصة تلك التى أقيمت على مقربة منهم فى الدلتا ، واستعملوا أنقاضها فى بناء عمائرهم ، وعمل تماثيل لهم ، بل أن العجز قد بلغ بهم أحيانا الى عدم القدرة على هدم بعض المعابد الضخمة ، ومن ثم فقد اكتفوا بمحو اسماء أصحابها من الفراعين السابقين ، ووضع أسمائهم عليها ، فعل ذلك « وسركون الثانى » فى بوباسطة عندما محا اسم الفرعون « رمسيس الثانى » من كل أجزاء معبده وأهداه الى الالهة « باست » بعد أن قام بتغيير اسماء المعبودات الأصلية التى كرس المعبد لها فى الأصل ، بل أن قبر « وسركون الثانى » انما سرقت أحجاره من آثار ترجع الى أيام الدول القديمة الوسطى والحديثة ، وان كان لآثار « رمسيس الثانى » نصيب الأسد فيها ، ولقد اتخذ ملوك هذه الفترة من مدينة « تانيس » محجرا يحصلون منه على ما يريدون ، وغالى « شاشانق الثالث » فى ذلك كثيرا ، حيث أقام بوابته الهائلة التى أقامها فى « تانيس » من عمائر يرجع تاريخها الى الفترة ما بين الدولة القديمة والأسرة الحادية والعشرين ، الأمر كذلك بالنسبة لمقابرهم التى دفنوا فيها داخل معابدهم فليس بها حجر واحد لم ينزع من المبانى القديمة فى « تانيس »(٣٤) .

واذا قلنا أن اغتصاب مبانى الآخرين عادة مصرية لم يخترعها ملوك هذه الفترة ، لكان ذلك صحيحا ، ولكن الصحيح أيضا أن الاغتصاب السابق لم يكن بهذا القدر الهائل ، فضلا عن أن أصحابه قد أقاموا آثارا تعادل أضعاف ما اغتصبوه عدة مرات ، بعكس ملوك هذه الفترة الذين اعتمدوا فى المقام الأول على الاغتصاب وأن ما أقاموه لم يكن أكثر من عملية تخريب وتحطيم لآثار الملوك السابقين .

ثانيــا ـ فلســطين

١ ـ العبريـون بعد ســليمان

عوامل انقســام المملكة :

بموت «سليمان » ، مات حلم العبريين في أن يكونوا قوة لها كيان بين جيرانها من دويلات فلسطين وسـورية ، اذ سرعان ما تفشى الشقاق القبلي القديم فيمـا بينهم ومن ثم انقســمت دولتهم الى دولتين ، احداهما في الشـمال وهي اسرائيل والثانيــة في الجنوب وهي يهوذا ٠

وقد اختلفت وجهات النظر حول هـذا الانقسـام ، فالعهد القديم يحمل « سليمان » تبعيـة هذا الانقسام كاملة ، فيذكر أن اقبال « سليمان » على ملذاته وحبه للنســاء الأجنبيات أدى الى ادخال الهــة أجنبية الى جانب « يهوه » اله اسرائيــل ، مما ترتب عليــه تمزيق الوحدة الدينيــة بين القوم ، والتى أدت بدورهــا الى تمزيق الوحدة السياسيــية ، معنى ذلك أن « ســليمان » من وجهة نظر العهد القديم(٣٥) ختم حياته ، وقد حل عليــه غضب الرب ، لأن قلبه مال عن اله اسرائيل ، ولم ينفذ وصاياه رغم أنه يعرف ان رب اسرائيــل اله غيور يورث ذنوب الآباء للأبنــاء ، في الجيل الثالث والرابع من مبغضية(٣٦) ، من هنا شاءت ارادة الرب أن تمزق مملكة « سليمان » ليعطيها لعبده ، ولكن تقديرا لعبده داود ولأورشــليم مدينتــه يؤجــل ذلك الى ما بعد موت

« سليمان » ، بل ويعطى ولده من بعده ، سبطا واحدا من أسباط اسرائيل وهكذا ــ طبقا لرواية العهد القديم ــ ما أن توفى « سليمان » حتى حلت على نسله نقمة الرب ، فمزق مملكته بين « رحبعام » ولده و « يربعام » عبده(٣٧) ٠

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن النصوص التى تجعل انقسام المملكة بسبب غضب الرب على « سليمان » تتعارض تماما مع ما سبق أن روته نصوص أخرى من العهد القديم بشأن « سليمان » ، حيث تروى ان رب اسرائيل نفسه قد منع « داود » من أن يقيم له هيكلا ، لانه سفك دماء كثيرة ، وأن الذى سيقيم له هذا الهيكل هو ابنه « سليمان » لأنه سيكون للرب ابنا ويكون هو أباه ، ويثبت كرسى مملكته الى الأبد(٣٨) ، وهناك فريق من الباحثين يميل الى الأخذ بما ورد فى العهد القديم بتحميل « سليمان » تبعة انقسام مملكته بعد وفاته ، فيذهب بعضهم الى أنه من أسباب الثورة على « سليمان » ان اسرائيل كانت تئن تحت جور العسف ، وكانت تترقب الفرصة للثورة تخلصا من السخرة والضغط كما يشير الى ذلك العهد القديم(٣٩) ، ولكن هذا فى الحقيقة ليس سببا كافيا للشقاق الذى أصاب المملكة ، فيرى البعض الآخر انه كان هناك سبب آخر حيث أن التذمر قد بدأ على أيام « سليمان » نفسه عندما ظهر التناقض واضحا بين ترف العاصمة أورشليم وبين الفقر النسبى الذى كانت تعيش فيه بقية المناطق الأخرى نتيجة ضياع بعض اقاليم المملكة والتى كانت غنية بثرواتها مثل « أدوم » ، ونتيجة سياسة « سليمان » الضريبية(٤٠) ، الى جانب اسرافه فى المبانى والنفقات وسياسة الاحتكار الاقتصادى التى اتبعها(٤١) ، فاستغلت المعارضة الحانقة سياسة « سليمان » الدينية والاقتصادية هذه ، وكتلت معظم الأسباط الاسرائيليين ضد حكمه المطلق ، فظهرت فى أواخر عهده حركة ثورية مناهضة له ولسياسته فى « شيلوه » وقد تزعم هذه الثورة النبى « اخيا » الشيلونى(٤٢) ٠

وهناك من يرى أن من أسباب هذا الانقسام ، أن « سليمان » قد تعجل حينما أراد تحويل البلاد من دولة زراعية الى دولة بها بعض الصناعات ، فتطلبت هذه المشروعات الضخمة فرض ضرائب باهظة على الشعب وعددا كبيرا من العمال ، وما أن تمت هذه المشروعات حتى وجدت فى اورشليم طبقة من العمال المتعطلين كانوا من عوامل الشقاق السياسى والفساد الاجتماعى فى فلسطين(٤٣).

يتضح مما سبق انه بالرغم من أن « سليمان » هو الذى مد شهرة العبرانيين وجعل لهم كيانا بين الأمم المجاورة وأنشأ لهم معبدا ظل قرونا طويلة الهيكل الوحيد لهم ، وعلمهم فضل القانون والنظام وبث مبادىء الوحدة فى نفوسهم واهتم بالصناعة ، وشجع التجارة بانشاء أسطول البحر الأحمر فتحولت طرق التجارة مع بلاد العرب وافريقيا الى هذا الطريق بدلا من طريق مصر(٤٤) ، نقول رغم هذا كله كانت سياسة « سليمان » من بين عوامل انقسام الدولة من بعده كما سبقت الاشارة .

الى جانب سياسة « سليمان » كان التنافس بين قبائل الشمال « اسرائيل » وقبائل الجنوب « يهوذا » قديما لأسباب كثيرة من بينها ، أن اقتصاد احدهما كان رعويا والآخر زراعيا ، فقد تميز القسم الشمالي بخصوبة أرضه التى تجود بمحاصيل مختلفة لذا أصبح شعب الشمال مزارعا فأقام علاقات تجارية مع الممالك المجاورة خاصة وان هذا القسم يقع على مفترق الطرق المؤدية الى آسيا وأرض الرافدين ومصر ، كما أن هذا القسم كان أكثر تأثرا بحضارة الكنعانيين والأقطار الأخرى المتحضرة من جهة الشمال ، أما القسم الجنوبى فكان اقليما جبليا لذا كان شعبه رعويا يعيش عيشة بسيطة ويزاول طقوسا أكثر بساطة بالرغم من أن العاصمة كانت فيه (٤٥) .

هكذا كانت مملكة العبريين تحمل بين طياتها عوامل انقسامها نتيجة لظروفها ، فيرى « فرويد » أن ثمة عناصر متباينة قد

ساهمت فى تكوين الشعب اليهودى ، غير أن الحقائق البارزة تثبت أن الأمة اليهودية تكونت من فريقين مختلفين ، وطبقا لهذه الحقيقة سارت الأمة اليهودية على طريق الانقسام مرة أخرى بعد فترة من الوحدة السياسية(٤٦) . فكان أمرا طبيعيا أن تنقسم هذه المجاميع المتنافرة بعد أن اختفى العنصر الذى ضم بعضهم الى بعض فى فترة ما وهو عنصر الدفاع عن النفس ، اذ كانت تلك المملكة قائمة على أساس غير ثابت فلم تستطع سياسة التركيز والتوطيد التى أتبعها الملوك العظام مثل داود وسليمان من القضاء على عوامل الهدم داخل المملكة وكان أقوى عوامل الهدم هذه هو التنافس بين قبائل الشمال وقبائل الجنوب ، وهو تنافس لم يقض عليه أبدا بل قضى هو نفسه على دولة العبرانيين(٤٧) ، حيث لازمتهم آفتهم القديمة بعد اقامة المملكة فلم يفارقوا نظام القبيلة بعد محاكاتهم لجيرانهم فى نظام الدولة ، وظلوا فى دولتهم قبيلة معزولة عن الأمم ، بل سبطا معزولا عن سبط ، وظلت العصبية القبلية دستورا يصلح لهم ، ولكنه لا يصلح لتنظيم الدولة ، كما ظلوا يحصرون العصبية فى أضيق حدودها بين أسباط القبيلة الواحدة ، ويتشددون فى حصر كل سبط بميراثه الى أعقاب الأعقاب(٤٨) ، وعلى ذلك كانت الأزمة الاجتماعية أكثر عمقا وأشد خطرا ، فقد فرضت الحياة البدوية نظاما ان لم يكن ديمقراطيا بالمعنى الصحيح ، فقوامه المساواة بين الشعب ، وذلك بفضل المشاركة فى الأموال والأملاك ، فأزالت الحياة الحضرية هذا النظام رويدا رويدا ، ثم أفضى الاقتصاد التجارى الذى شجعته الملكية الى التفاوت الاجتماعى ، فهاج فى النفوس الحنين الى الحياة البسيطة ، معنى ذلك أن تقاليد العبرانيين البدوية لم تستطع أن تكيف نفسها فى يسر وفق نظام الملكية ، فعلى الرغم من أن الملكية

كانت أمرا لا مناص منه لكى تشغل دولة العبرانيين مكانا فى الميدان السياسى فى الشرق الأدنى القديم ، كانت روح أهلها الاستقلالية البدوية تعرقل الملكية وتنال منها ، فقد استعان معارضو السلطة الملكية ، بالسلطة الدينية ، فأوجدوا داخل الدولة ثنائية أخرى الى جانب ثنائية الشمال والجنوب ، وقد اصطدم أول ملوك العبرانيين بهذه السلطة وكان هذا سببا فى سقوطه ، فوعى داود وسليمان هذا الدرس ، فبسطا حمايتهما على الدين ، والحقا الكاهن الأكبر ببلاطهما ، وجاهدا ليجعلا الهيئة الدينية ادارة من ادارات الدولة ، فانصبت الكراهية على الدين والدولة معا ، وكان قيام الأنبياء مظهرا تلقائيا لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التى فرضها الحكم الملكى على الدين(٤٩) .

وهكذا تجمعت عوامل الانقسام فى انتظار من يحركها ، فكانت حماقة « رحبعام » هى السبب المباشر لانقسام مملكة العبرانيين ، عندما اجتمعت قبائل مملكة اسرائيل فى « شكيم »(٥٠)، لتناقشه فى أمر تعيينه ملكا وخليفة لأبيه سليمان وتملى عليه شروطها ، وهذا يعنى ان الأسباط الإسرائيلية لم تعترف بالوراثة التقليدية التى حدثت من قبل ، والتى كان لها ظروفها الخاصة ، ولكنهم ارادوا أن يمنحوا التاج بأنفسهم لـ « رحبعام » وان يعقدوا معه ميثاقا ، فطلبوا منه تأكيدا بانهاء الأعباء التى أصبحت لا تطاق منذ ايام سليمان(٥١) ، وكان رد « رحبعام » ان خنصرى اغلظ من متن أبى ، والآن أبى حملكم نيرا ثقيلا ، وانا ازيدكم على نيركم ، ان أبى ادبكم بالسياط وانا اؤدبكم بالعقاب »(٥٢) وكانت هذه هى اللحظة التى أعلنت فيها قبائل الشمال انفصالها عن بيت داود .

ومما لاشك فيه أن مصر كان لها دور لا ينكر فى انقسام مملكة العبرانيين وان كان غير مباشر ، حيث كانت ملجأ لأعداء سليمان ، فما كانت مصر ترغب يوما ما فى أن ترى فى فلسطين دولة قوية ، لأنها كانت تراودها دائما فكرة استعادة مجدها السالف ، فكان من مصلحتها أن ترى مملكة العبرانيين منقسمة وضعيفة فأخذت تغذى بذور الشقاق حتى تم لها ما أرادت .

٢ ـ مصر وفلسطين فى عهد « شاشانق » الأول

تنبأ « أخيا » الشيلونى بان « يربعام » سوف يخلف سليمان على عشرة من أسباط اسرائيل وسمع سليمان بذلك ، فسعى للتخلص من « يربعام » ولكن الأخير تمكن من الهرب الى مصر ، حيث استقبل بترحاب من شاشانق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين الذى أعطاه الحماية والأمان فما أن انتهى حكم سليمان حتى هبت الفتن الهوجاء بين قبائل الشمال والجنوب وانقسمت مملكة العبريين الى مملكتى « يهوذا » و « اسرائيل » وتم اختيار « يربعام » ملكا على اسرائيل وظل « رحبعام » ملكا على « يهوذا » فى ذلك الوقت كان شاشانق الأول قد أتم توحيد القطر المصرى ، شماله وجنوبه ، واخذ يتطلع الى الخارج ، فأعاد العلاقات مع جبيل واستعاد بلاد النوبة(٥٣) ، وجاء دور فلسطين حيث أينعت ثمرة جهده الطويل فى السنوات السابقة وحان الآن قطافها .

حملة شاشانق الأول على فلسطين :

نقرأ فى العهد القديم أنه « فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر الى اورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شىء وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها

سليمان »(٥٤) ، وفى رواية أخرى « وفى السنة الخامسة للملك « رحبعام »صعد شيشق ملك مصر على أورشليم لأنهم خانوا الرب بألف ومائتى مركبة وستين ألف فارس ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر لوتيين وسكيين وكوشيين وأخذ المدن الحصينة التى ليهوذا وأتى الى أورشليم »(٥٥) ، من هذه الرواية يتضح مدى ضخامة الحملة التى قام بها شاشانق على فلسطين التى تقع حوالى ٩٢٦/٢٥ ق٠م على أساس أن بداية حكم سليمان كان فى عام ٩٧١/٧٠ ق٠م وبما أنه حكم أربعين عاما فان حكمه ينتهى حوالى ٩٣١/٣٠ ق٠م وطبقا لنصوص العهد القديم فا نالحملة كانت فى العام الخامس من عهد الملك « رحبعام »(٥٦) كما أن هذا التاريخ (٩٢٦/٢٥ ق٠م) يتفق مع السنوات الأخيرة من حكم « شاشانق » الأول الذى تولى الحكم حوالى عام ٩٤٥ ق٠م ، وآخر ذكر له على الآثار كان فى العام الحادى والعشرين من حكمه أى حوالى عام ٩٢٤ ق٠م(٥٧) ٠

وقد اختلفت وجهات نظر المؤرخين حول دوافع هذه الحملة فيرى كل من « لودس » و « هول » و « بريت » ان « يربعام » هو الذى استنجد بالملك « شاشانق » فاغتنم الأخير الفرصة وقام بالحملة(٥٨) ، معنى ذلك أن الفرعون كان عاقدا العزم على غزو فلسطين ، ووجد فى استنجاد « يربعام » به الفرصة المناسبة ، اذا لم تكن نجده « يربعام » هى هدف الفرعون الأول بل كان هناك أهداف أخرى ٠

وهناك من يرى ان حملة « شاشانق » على فلسطين كانت لتحقيق السيطرة على طرق التجارة المهمة التى تمر عبر فلسطين ، حيث وجد الفرعون فى جيرانه الشماليين (العبريين والفلسطينيين) ، منافسا خطيرا لأعماله التجارية (كما أرى سيأمون من قبل)(٥٩)

بالاضافة الى أنه كان يرغب فى البحث عن مورد للخزينة لأن البلاد كانت فى حالة اقتصادية سيئة ووجد من المتعذر فرض ضرائب جديدة لأن حكمه لم يكن مقبولا تماما فى مصر ، فاتبع سياسة ملوك مصر التقليدية فى القيام بحملات خارجية لزيادة دخلهم ولكن ليس معنى ذلك ان هدف الحملة كان مجرد سلب ونهب لملء خزائن مصر كما ادعى البعض(٦٠) ، الا أن ذلك لا يمنع أن العامل الاقتصادى كان من أهدافها ٠

وربما كانت هذه الحملة تهدف الى استعادة النفوذ المصرى فى فلسطين واعادة بناء الامبراطورية المصرية(٦١) وان كنا نرى أن كل هذه الأهداف مجتمعة كانت وراء الحملة ، وانتظر « شاشانق » الفرصة المناسبة للقيام بهذا العمل والتى واتته بموت « سليمان » وانقسام مملكته كما سبق أن ذكرنا وهنا كان أمرا حتميا أن يظهر « شاشانق » سياسته التوسعية ضد فلسطين وكانت المعركة الأولى فيما يبدو عبارة عن مناوشات عند البحيرات المرة ثم تبعها الزحف ، يقول النص : ((**فوجدتهم يقتلون ٠٠٠ (جنودى ؟) وقواد جيشى ، وقد انزعج جلالته بخصوصهم (وتحرك ؟ كما) رغبوا ٠ ثم قال جلالته لحاشيته : (انظروا ٠٠٠) هذه الأفعال الشريرة التى ارتكبوها عندئذ (أجابوه ٠٠٠) ثم تحرك جلالته ٠٠٠ ترافقه عرباته الحربية دون علمهم (أى الأعداء) انظر ، أحدث جلالته مذبحة عظيمة بينهم ٠٠٠ (ذبحهم) على ضفة البحيرات المرة**)) ٠ كان أبوه « آمون » هو الذى وهبه النصر عليهم(٦٢) ٠

وقد استخدم « شاشانق » أقدم الطرق بين مصر وفلسطين (القنطرة ــ رفح) والذى استخدمه فراعنة مصر الذين وجهوا حملاتهم الى آسيا ويوضح ذلك ذكر مجدول رقم ٥٨ فى قائمة

الكرنــك والتي تقع على الطريــق بين رفح والفرما ، فرحبت به القبائل التى كانت تضمر العداء للعبرانيين وساعدته(٦٣) .

ووردت اخبار هــذه الحملة على شكل قائمة طبوغرافيــة على الجدار الجنوبي الغربي للصرح الثاني بالكرنك ، وهو المعــروف بالبوابة البوباسطية(٦٤) ، وقد قسمت الى قسمين « القسم العلوى ويحتوى على خمسة أسطر تبدأ بأقوام الأقواس التسعة »(٦٥) ، وتشمل الأرقام (١ ــ ٩) .

أما رقم (١٠) فانه يحتوى على عبــارة تدل على ان ما يأتى بعده هى أســماء الأماكن التى غزاهــا « شاشــانق » وتشــمل الأرقام (١١ ــ ١٥) خاصــة الأماكن الواقعــة فى وسط شــمال فلسطين بينما شــمل القسم الأسفل من القائمة خمسة اســطر أكثر طولا ، يتضمن العديد من أســماء الأماكن الخاصــة بجنوب فلسطين أى اقليم « يهوذا » و « النقب »(٦٦) .

وحتى الآن لم يستطع الباحثون التعرف من أســفار العهــد القديم أو المصــادر الأخرى على كثير من الأسماء الجغرافيــة التى جاءت فى القسم الأول من القائمــة ، كما انهم لم ينجحوا فى ايجــاد وسيلة لترتيب الأســماء التى اتبعها كاتب القائمــة وهكذا فان أشياء كثيرة بخصوص هذه القائمة ومحتوياتها لاتزال غامضة .

وقد بذل « مازار »(٦٧) محــاولة جديدة لايضــاح محتويات هذه القائمة على أساس ان المجموعة الأولى من القسم الأول أكثر دقة فقرأ الأسطر الأربعة الأولى بشــكل تتابعى اى بدأ من يســار السطر الأول حتى نهايتــه ثم السطر الثانى من اليمين الى اليسار وكذا الحــال مع السطرين الثالث والرابع ، وبناء عليه حصــل

على قائمة جغرافيــة مقبولة للمدن وأماكن المعسكرات التى عبرها الجيش المصرى فى مملكة اسرائيل(٦٨) ٠

كان خط سـير الحملة على النحو التـالى : كانت غزة هى المدينة الأولى التى وصـل اليها « شاشانق » بجيشـه وهى المكان الوحيد الذى يقع على السـاحل الفلسطينى الذى ذكر فى هـذه القائمة ، « ومن غزة » أرسـل « شاشانق » جزءا من قواته عن طريـق « يرزا » و « شـاروحين » الى النقب (انظر الشـكل رقم ٤)(٦٩) ٠

وعند « شاروحين » انقسمت هذه القوات الى ثلاث أو أربع فـرق (انظر الشـكل رقـم أ) اتجهت احـداها الى حصـن « فوطيش »(٧٠) ومنه زحفت الى الشـمال الشرقى من اقـليم « الخليل » جنوب « يهوذا » وضربت فى طريقها « علجاد »(٧١) و « تفوح »(٧٢) و « بيت عنات »(٧٣) و « اشتا » (شنيا)(٧٤)٠

أما الفرقة الثانيـة فربما تكون قد زحفت شرقا الى « بئر سبع » ومنها الى حصـن « عرديا الكبرى »(٧٥) و « عرد بيت يرحـام »(٧٦) ، وأراضى « الكينيثيين والشوحاتيين » ، فى شرق النقب(٧٧) ، وتقدمت الفرقة الثالثة صـوب dmi ودخلتها(٧٨) ، وربما ايضـا جنوب « يرحام »(٧٩) ، ومنها زحفت فى قلب النقب ولربما يكون قد وصلت عصيون جابر(٨٠) ١٦٠ كم جنوب البحر الميت على خليج العقبـة ، وان كان البعض يستبعد هـذا نظرا لبعد الشقة ووعورة الأرض فضـلا عن أن مساواة sbrt (n) Gbry (٧٣ ــ ٧٤) لعصيون جابر لايوجد ما يبرره(٨١) ٠

يتضح مما سبق أن قوات « شاشانق » دخلت الى قلب النقب من الغرب الى الشرق كما أن المدن التى ذكرتها القائمـة تتشابه

مع قائمة المدن التى ذكرها العهد القديم(٨٢) ، فى النقب وبالنسبة للأسماء الجغرافية المركبة نلاحظ انها تلحق باسم عائلة أو تشتق من اسم قبيلة من القبائل الرحل أو شبه الرحل التى كانت تعيش فى المناطق الصحراوية أو أراضى المراعى فى الجنوب(٨٣) وهناك تسعة اسماء مركبة مع كلمة « باحقر » وهى « حجر » فى العربية والتى تعنى « حصن » وظهرت بهذا المعنى فى الأرامية والعبرية القديمة ، اذا هناك علاقة بين « حجرايم » فى قائمة « شاشانق » و « حزرايم » فى العهد القديم وعلى ذلك فمن المحتمل جدا أن مدن جنوب فلسطين كانت بمثابة حصون ونقاط للمراقبة تحت اسم « حجرايم »(٨٤) .

فى الوقت الذى أرسل فيه « شاشانق » بقواته الى النقب فى جنوب مملكة « يهوذا » سار بالقوات الرئيسية الى الشمال الشرقى على طول الحدود بين الساحل الفلسطينى ومملكة « يهوذا » حتى وصل الى مقيده ؟(٨٥) ومنها الى ربوت (رقم ١٣) وهكذا بدأ هجومه على حصون وسط وشمال « يهوذا » ، ومن ثم فقد سار فى طريق ممهد عبر التلال مارا بمدينة « عجلون » و « بيت حورون » الى « جبعون » ، وبالقرب من أورشليم خير الفرعون ، الملك « رحبعام » بين الاستسلام أو الحرب ، وهنا نصح النبى « شمعيا » « رحبعام » بالاستسلام حيث قال له : « انكم تركتم خدمة الرب ولكن بعد أن تذللوا للرب لم يهلكهم بل أعطاهم قليلا من النجاة ولا ينصب غضبى على أورشليم بيد شيشق »(٨٦) ، وبناء على هذه النصيحة أدى « رحبعام » جزية كبيرة للملك « شاشانق » (من خزائن داود وسليمان وخزائن المعبد وخزائن قصر أورشليم وكذلك كل اتراس (الذهب) ، معنى ذلك أن أورشليم خضعت للملك « شاشانق » ولكنها لم تحتل ، ويوضح ذلك انها لم تظهر فى هذه القائمة ، فالفجوات الوحيدة المحتمل أن

تكون أورشليم احداها تقع فى السطر الرابع الذى يضم الأماكن من رقم (٤٠) الى رقم (٥٢) حيث أن الاسم المفقود فى السطر الثانى هو رقم (٢٠) من المحتمل أن يكون مكانا فى وادى الأردن أو شرق فلسطين والأسماء المفقودة فى السطر الخامس من (٦١ - ٦٣) تقع بين السامرة ويزرعيل فى مملكة اسرائيل فاذا كان السطر الرابع يمثل بعض الأماكن التى أغارت عليها القوات المساعدة (التى لم يكن شاشانق قائدها) يكون من غير المحتمل أن احداها أورشليم(٨٧) ٠

سار « شاشانق » بهذه الغنيمة شمالا الى مملكة اسرائيل عن طريق « جمرم »(٨٨) ، الى « شكيم » و « ترزة »(٨٩) ، ولكن « يربعام » كان قد فر نحو الشرق فعبر نهر الأردن وذهب الى وادى يبوك ويبدو أن الفرعون لم يتعقبه بنفسه وانما أرسل فى أثرة قوة أخرى وسار هو جهة الشمال والشمال الغربى (انظر الشكل رقم ٣) فأسرعت القوة المطاردة للملك « يربعام » وعبرت نهر الأردن عن طريق مخاضة عند « أدما » (تل الدامى) الى وادى الفرعا حتى وصلت الى « سوكوث » (تل دير علا) لكى يقبض على « يربعام » فى « بنويل »(٩٠) ، « ومناحيم » وقد انتهت مهمة هذه الفرقة ومن ثم ربما عادت الى الأردن ، أو اختصرت الطريق من شرق الأردن الى « رحوب » و « هافريم » و « بيت شان » وكل هذه الأماكن تقع فى سهل يزرعيل (مرج ابن عامر)(٩١) ، وعند « بيت شان » التقت هذه القوة بقوات أخرى للملك « شاشانق » بعد أن تغلبت القوة الأخيرة على « تعانك » و « شونيم » بينما باشر « شاشانق » بنفسه العمليات من « مجدو »(٩٢) وربما يكون قد أرسل من « مجدو » قوة الى سهل « عكا » و « الجليل » وقد اقام « شاشانق » فى « مجدو » لوحة

تذكارية بلغ ارتفاعها فى الأصـــل ثلاثة أمتار وفى أحد أركانها العلوية يوجد خرطوش تسليم باسمه(٩٣) ٠

وفى النهاية عاد « شاشانق » جنوبا عبر « الكرمـــل » الى « عـــرونا »(٩٤) ، و « بوريـــم » (خربـــة توريـــم)(٩٥) ، و « جد بادلا »(٩٦) ، و « ياحيم »(٩٧) ، وأماكن أخرى ، بعد أن ترك « ســـوكوث » وهـــذا يدل على أن الجيش المصرى غزا اقليم « البلســـت » عن طريق « ماريس » مدمرا فى طريقـه المواقـــع والحصون على الطرق الرئيسية ، وعلى ذلك يمكن القول أن المصريين غزوا الجزء الشمالى والأوسط من مملكة اسرائيل ٠

وعند غزة انضمت قوات النقب الى « شاشانق » وعاد عن طريق « رفح » و « لبنا » الى مصر عن طريق ساحل البحر المتوسط عبر سيناء ليعلن نبأ انتصاره فى « تانيس »(٩٨) ٠

وكان لهذه الحملة نتائج موفقة لسمعة مصر من ناحية وللخزانة المصريـــة من ناحية اخرى ، فيها استعادت مصر جانبـــا من هيبتها القديمـــة حيث عاد الأمراء الآسيويون الى احترام سادتهم الأقدمين ، ولم يعد فى الاستطاعة أن تتكرر بعد حمـــلة « شاشانق » قصـــة « ونأمون » سالفة الذكر فاستعادت مصر صلتهـــا « بفينيقيا » وأمرائها واستحب بعض هؤلاء الأمراء أن يقيموا التماثيل والنصب باســـماء فراعنـــة مصر فى معابدهم فأهدى « ززياربعل » معاصر « شاشانق الأول » لآلهة « جبيل » بعلة ، دمية لملك مصر كمـــا أن « ارى بعل » خلف « ززياربعل » كرم « وسركون » الأول بنفس الطريقة(٩٩) ٠ كما أن الأمراء الآسيويين فى حربهم ضـــد الآشوريين بعد ذلك بحوالى قرنين من الزمان ووضعوا كل ثقتهم فى ملك مصر ، لمعاونتهم ضد الاشوريين(١٠٠) كما سيأتى ذكره ٠

بالاضافة الى ذلك فقد ردت هذه الحملة على بعض الادعاءات التى ترى أن « شاشانق » خرج لمساعدة « يربعام » وأن الأخير هو الذى دعاه لمساعدته ، فلو كان الأمر كذلك لما غزا « شاشانق » مملكة اسرائيل ولما فر « يربعام » الى شرق الأردن انما كان الأجدى به أن يقف الى جوار حليفه ، معنى ذلك ان « شاشانق » كان يريد تنفيذ المبدأ الأساسى فى سياسة مصر الخارجية . وهو السيطرة على فلسطين أو على الأقل ايجاد حليف قوى فى هذه المنطقة .

وكان من نتائج هذه الحملة أيضا انتعاش أحوال مصر الاقتصادية خاصة اذا علمنا ان أورشليم كانت من بين أغنى البلاد فى ذلك العهد وقد استولى « شاشانق » حسب رواية العهد القديم على كل ما يمكن أن يكون له قيمة ، ولابد أن يكون هذا الحدث صحيحا ، اذ أن مصر عاشت فترة طويلة على الغنيمة التى جلبها « شاشانق » من فلسطين ، هذا الى جانب جزية الأقاليم الواسعة التى اصبحت تمتد من شمال فلسطين الى أعالى النيل ، ومن الصحارى الغربية غربا الى البحر الأحمر شرقا(١٠١) ، ولكن اسراف خلفاء « شاشانق » ادى الى ضياع كل ما جاهد من أجله .

٣ ــ مصر وفلسطين بعد « شاشانق الأول »

سار خلفاء « شاشانق » على نهجه فاستمرت العلاقات الودية والتحالف التجارى مع ميناء « جبيل » فى عهد « وسركون » الأول الذى أهدى تمثاله لحاكمها البيعل ومعبودتها ، أما فى فلسطين فتروى أسفار العهد القديم أن « زارح » الكوشى هاجم « مريشه » بجيش مكون من الف الف رجل وثلاثمائة مركبة ، غير أن « أسا » ملك « يهوذا » استطاع أن يهزم المعتدين فى وادى

« صفاته » عند « مريشة » وأن يدفع بهم الى « جرار » على مقربة من حدود « يهوذا » الجنوبية(١٠٢) ٠

ويؤرخ البعض هذه الموقعة بالعام الرابع عشر من حكم « أسا » أى حوالى ٨٩٧ ق٠م وهذا التاريخ يقابل العام الثامن والعشرين من حكم « وسركون الأول »(١٠٣) ، غير انه ليس هناك مجال لمحاولة اثبات أن « وسركون الأول » هو « زارح » فالاسمان مختلفان تماما ، كما أن « وسركون » كان ملكا من أصل ليبى « مهجن » بينما لم يكن « زارح » ملكا وكان من أصل نوبى ، كما أن « وسركون الأول » فى هذا العام كان رجلا مسنا لا يستطيع أن يقود حملة الى فلسطين بنفسه وتفسير ذلك انه ربما ارسل قائدا نوبيا لقيادة جيوشه فى فلسطين ، بغية أن يسير على منوال والده ويعود بالغنائم مثله ، فضلا عن القضاء على قوة « أسا » غير أن « زارح » فشل فى مهمته(١٠٤) الا أنه من الصعب أن نرى « وسركون » يجعل فى الفترة الأولى من حكم الأسرة أحد النوبيين يقود جيشه ضد فلسطين ، صحيح أن العهد القديم ذكر أن الليبيين كانوا يشكلون جزءا من الحملة مثل النوبيين(١٠٥) ، ولكن من المحتمل أن هذا الخطأ جاء من خلال التشابه مع ما جاء فى نص آخر من العهد القديم(١٠٦) ٠

ويمكن تفسير ذلك بأحد افتراضين ، الأول أن الكوشيين عند العبرانيين فسروا على أنهم الأثيوبيين ولكن ربما كان اسم الكوشيين يشير الى شعب يحمل اسم كوش ويعيش فى شبه الجزيرة العربية ، ويؤيد ذلك أن الغنائم التى حصل عليها « أسا » تضمنت حيوانات واغناما وجمالا والحصول على هذه الغنائم من قبيلة تعيش فى شبه الجزيرة العربية أكثر احتمالا من الحصول عليها من الجيش المصرى ، خاصة اذا علمنا ان الجمال لم

تستخدم فى مصر حتى ذلك الوقت(١٠٧) ، ولكن افتراض كوشيين فى شبه الجزيرة العربية لم يزل فى حاجة الى دليل ، خاصة اذا علمنا أن الغزو النوبى لمصر لم يقع الا بعد ذلك بحوالى مائة وخمسين عامـا .

من ناحية أخرى يمكن القول بأن التغيرات التى حدثت فى مصر خلال الألف الأول ق.م خلقت لدى الكتـاب العبرانيين فكرة غامضة عن أصل ملوك مصر فى ذلك الوقت ، فكتبوا « زارح » الأثيوبى بدلا من «زراح » الليبى(١٠٨) ، ولكن رغم ذلك تظل المشـكلة قائمة حيث أنه لا يوجد ملك ليبى يحمل اسم « زارح » .

أما اذا كانت هذه الحملة صحيحة فمعنى ذلك أنه كان هناك صدام جديد مع مصر ، ولكن لا يوجد أى دليل على هذه الحمـلة من الجـانب المصرى ، هذا الى جانب أن افتراض مسـاواة اسم « زارح » باسـم « وسركون » بعيـد الاحتمـال وليس هنـاك ما يؤيده(١٠٩) كما أن عدد رجال الجيش المصرى الذى جاء ذكره فى نص العهد القديم ، انما يثير شبهة أكبر حول صحـة النص وبالتالى حول صحة الحملة نفسـها ، فليس هناك من يصـدق أن مصر تستطيع أن تجند حملة من مليون جندى ضـد « يهوذا » والتى لم يصـل عدد سكانها فى ذلك الوقت الى هذا العدد ورغم ذلك تستطيع « يهوذا » أن تهزم هذا المليون ، وان كان هذا من مبالغات العهد القديم لبيان أهميـة النصر على الجيش المصرى ، هـذا اذا كانت الحملة صحيحة .

كما ان هـذه الحملة أن كانت صحيحة ، انما توضح ضعف فراعنة مصر وفى نفس الوقت قوة مملكة « يهوذا » كل هذا فى فترة تزيد قليلا على خمسة وعشرين عاما من حملة « شاشانق » وهذا من الأمور غير المستساغة منطقيـا فى تلك الفترة الأخيرة .

أما الافتراض الثانى والذى يميل اليه الباحث هو ان هـذه القصة بأكملها من اختلاق الكتبة العبرانيين لكى يوازنوا بين هزيمة « شاشانق » لهم وبين انتصـار « أسـا » على المصريين وفى نفس الوقت للاعلاء من شأن ربهم « يهوه » وان الرجوع اليه كان السبب الأول فى انتصارهم(١١٠) ٠

أما « وسركون » الثانى فقد حذا حذو «شاشانق » الأول و « وسركون » الأول فى استمرار سياسـة الود والتحـالف مع « جبيل » فأهـدى تمثاله للمدينـة حيث وضـع فى معبـد الاله « بعلة » وهذا التمثال يمثل الفرعون جالسـا على مقعد مكعب ذى ظهر وقد فقد رأس التمثال وجزءه ، وهشم القدمان والساقان وعلى جانبى المقعد نقش خرطوش بداخله اسم الفرعون(١١١) ٠

كما ترك « وسركون » الثانى آثارا كبرة فى « بيوم » الواقعة على الطريق بين مصر وفلسطين والمعروف أن الملوك الذين تركوا أعمالهم فى هذه المدينـة كانت لهم أغراض فى جنوب غرب آسـيا ، كما عثر فى السامرة على آنية من الألبستر عليها اسم « وسركون الثانى »(١١٢) ومن الواضح أن « وسركون الثانى » كان يريد أن تستمر سياسـة مصر الخارجيـة على نفس المستوى الذى تركه « شاشانق الأول » ، ولكن أحوالها الداخلية بالاضافة الى أحوال غرب آسـيا حالت دون ذلك ، ففى مصر سـاد الانقسام والحروب الأهلية والمعروف أن سـوء أحوال مصر الداخليـة ينعكس بالسلب على علاقتها بفلسطين خاصـة أن خريطـة الشرق الأدنى السياسية فى ذلك الوقت أشـارت الى ظهور خطر جديد يهدد منطقة سـوريا كلها ونعنى به قوة الآشوريين حيث بدأ عصر التوسـع الآشـورى العظيم بولايـة « شلمانصر الثالث » عرش آشـور(١١٣) وقـد استفاد « شلمانصر الثالث » (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق٠م) من جهود أبيه

« آشور ناصر بال » الثانى (٨٨٤ — ٨٥٩ ق٠م) فبدأت الجيوش الآشورية تخضع الممالك الصغيرة فى سوريا والشرق واستطاع « شلمانصر الثالث » أن يسود غرب آسيا من الخليج العربى حتى جبال أرمنيا ومن الحدود الميدية حتى سواحل البحر المتوسط ، وكان لجيوشه قصة طويلة مع سوريا شجعه التنافس الذى كان موجودا بين دويلاتها على عزوها فهاجم « دمشق » أكبر الامارات الأرامية(١١٤) ، الا أنها لم تكن صيدا سهلا حيث تناست دويلات سورية وفلسطين (دمشق — حلب — حماه — اسرائيل — يهوذا — وغيرها) خلافاتها القديمة واتحدت جميعا تحت قيادة أمير « دمشق » « بنهدد » للوقوف فى وجه التقدم الآشورى وقد أدركت مصر أن ظهور قوة آشور خطر يهددها ، ومن ثم فقد أرسلت عددا من المقاتلين (ألف جندى) كمدد رمزى لهذا الاتحاد ، وقد أثار هذا العمل من جانب مصر ، انتباه آشور الى الدور الذى يمكن أن تقوم به ، فتحفزت للاصطدام بها ، وظلت مصر تعمل على أن تكون هذه الدويلات بمثابة حاجز يحول دون توغل الاشوريين داخل حدودها ، ومن ثم فقد حرصت على أن تشارك فى مقاومة الاشوريين بقواتها أحيانا ، وبالطرق الدبلوماسية أحيانا أخرى(١١٥) ٠

كان لقاء الاشوريين والتحالف السورى الفلسطينى فى « قرقر » عام ٨٥٣ ق٠م أى العام السادس من حكم « شلمانصر الثالث » الذى أكد فى نصوصه انتصاره على خصومه فى هذه الموقعة ولكن على الجانب الآخر أكد الأراميون فيما سجلوه عن هذه الموقعة أنهم أحرزوا فيها نصرا كبيرا ، وازاء تضارب المصدرين لا نملك الا أن نفترض ان موقعة « قرقر » لم تكن حاسمة لاسيما أن الكتبة الاشوريين قد أعادوا ذكر انتصار ملكهم على الأراميين مما يعنى تكرار حروب الأراميين معه(١١٦) ٠

بعد هذه الموقعة علم « شلمانصر الثالث » بوجود قلاقل فى الشمال والشرق فكر راجعا الى آشور وما ان ترك سوريا حتى انفرط عقد التحالف الذى اقامته دويلات بلاد الشام فعادت المنافسات بين هذه الامارات مرة أخرى ولكن ما أن تمكن « شلمانصر الثالث » من القضاء على خصومه فى الشمال والشرق حتى عاد الى سوريا مرة أخرى فسحق امارة « دمشق » وهزم ملكها « حزرائيل » فى « سافيرو » وكان ذلك حوالى ٨٤١ ق٠م وعلى أثر ذلك قدم « ياهو » ملك اسرائيل وملكا « صور » و « صيدا » الى « شلمانصر » لدفع الجزية وهناك من المؤرخين من يعتقد أن مصر دفعت الجزية هى الأخرى معتمدين على نص جاء على المسلة السوداء « **تسلمت الجزية من أرض موصرى وهى عبارة عن جمال من ذوات السنامين وفرس نهر وخرتيت ووعل وافيال وقردة** »(١١٧) ويبدو أنه لم يكن المقصود « بموصرى » التى جاءت فى النص « مصر وادى النيل » حيث جاء ضمن الجزية المدفوعة جمال من ذوات السنامين ، والمعروف أن الجمال لم تستخدم فى مصر حتى ذلك الوقت (انظر أعلاه ص ١٣٦) فمن المحتمل أن المقصود هنا احدى منطقتين ، الأولى فى جنوب آسيا الصغرى « الأناضول » والثانية فى الشمال الغربى من بلاد العرب ، فاذا استبعدنا المنطقة الأولى حيث جاء ذكر ملك موصرى بعد ملوك اسرائيل وصور وصيد أى انه كان متجه جنوبا ، لم يبق أمامنا الا المنطقة الثانية والتى تضم جبل سعير ومدينة البتراء وارض مدين وأدوم وهو ما أسماه الجغرافيون البابليون مصر أو مصرى أو « موصرى »(١١٨)٠

هوامش الفصل الثالث

(١) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٥٧ .

جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٤٧ .

احمد رمزى : مصر الفرعونية ، ص ٣٢٩ .

Kitchen, Third Intermedaite.

(٢) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٦٤ .

(٣) انظر الفصل الأول ، ص ٣٠ .

(٤) Cerny, C.A.H3., 2B, 1980, PP. 616 — 619.

(٥) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٤٩٧ .

(٦) Gardiner, A.E.O., 1, 120.*.
Cerny, Op. Cit., PP. 618 — 619.

(٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٢ .

(٨) عن التحنو والشمحو انظر :

Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914.

(٩) عن شعوب البحر انظر الفصل الأول ، ص ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(١٠) Kitchen, Op. Cit., P. 141.
Gardiner, A.E.O., 1, 120*.
B.A.R., IV § 785.

(١١) فاندييه : مصر ، ص ٥٧٤ .

(١٢) Cerny, C.A.H3., 2B, 1980. P. 619.
Kitchen, Third Intermediate, PP. 105 — 108.

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

عن لوحة السرابيوم انظر :

Mariette, A., Le Serapeum de Memphis, III, Paris 1857, B.A.R., IV, §§ 785 — 792.

(١٣) يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٢١ .

(١٤) فاندية : مصر ، ص ٥٧٥ .
جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٨ .

(١٥) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٥٨ .

(١٦) نفس المرجع .

(١٧) B.A.R., IV § 738.

(١٨) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨١ .

(١٩) Kitchen, Third Intermediate, P. 288.

(٢٠) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٩ ، ص ١٠٨ .
Kitchen, Op. Cit., P. 289.

(٢١) Ibdi., P. 288.

(٢٢) Kitchen, Op. Cit., P. 289.

(٢٣) انظر الفصل الثانى ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢٤) Kitchen, Op. Cit., P. 289.

(٢٥) Kitchen, Op. Cit., P. 290.

(٢٦) Ibid., PP. 205 — 206, 316, 329, 352.

(٢٧) فاندية : مصر ، ص ٥٨٥ — ٥٨٦ ، يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٦٤ .

(٢٨) Kitchen. Op. Cit., P. 303.

(٢٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٥ .
Kitchen, Op. Cit., P. 321.

(٣٠) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٩ ، ص ٣٣٨ — ٣٤٥ .
فاندية : مصر ، ص ٥٨٠ .
جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٤ .
Kitchen, Op. Cit., PP. 329 — 333.

(٣١) Kees, H., Ancient Egypt, Acultural Topogrophy, Translated by Morrow, F.D., 1061, PP. 283 — 284.

(٣٢) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٥ ، شارف : تاريخ مصر ، ص ١٦٣ .

وعن ماخيموى انظر :

Kitchen. K.A. «On The Princdoms of late Libyan Egypt» Chronique d'Egypte, 52, 1977, PP. 40 — 48.

Trigger, B.C. et al, Ancient Egypt, Asocial History, Cambridge, 1984, PP. 309 — 310.

(٣٣) فانديه : مصر ، ص ٥٧٦ .

(٣٤) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ٢٣٣ — ٢٤٦ ، ٣٢٨ — ٣٢٩ .

Kitchen, Third Intermediate, P. 319.

(٣٥) الملوك الأول ١١ : ١ — ١١ .

(٣٦) الخروج ٢٠ — ٥ .

(٣٧) الملوك الأول ١١ : ١١ — ١٣ .

(٣٨) أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٦ — ١٠ .

(٣٩) الملوك الأول ٥ : ١٣ — ١٧ ، ١٢ — ٤ .

(٤٠) Kenyon, K.M., Archaeology in The Holy Land, P. 258.

Lods, Israel from Its Beginning,, P. 371.

Noth ,Op. Cit., P. 223.

(٤١)

(٤٢) الملوك الأول ١١ : ٣٩ — ٣٠ .

(٤٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ ٢ ، المجلد الأول ترجمة محمد بدران ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٣٤٩ .

(٤٤) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ ٣ ، ص ٣٧٧ — ٣٧٨ .

Kenyon, Op. Cit., P .260.

(٤٥)

(٤٦) سيغموند فرويد : موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشى ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٦١ .

(٤٧) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤١ .

(٤٨) عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٥٩ – ٦٠ .

العدد ٣٦ : ٧ – ١٠ .

(٤٩) موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٥٠) تقع شكيم على مبعدة حوالى تسعة كيلو مترات الى الشمال الغربى.
Bible Dictionary, P. 935.

(٥١) Noth, The History of Israel, PP. 226 — 227.

(٥٢) الملوك الأول ١٢ : ١٤ – ١٥ .

(٥٣) Kitchen, Third Intermediate., PP. 292 — 293.

(٥٤) الملوك الأول ١٤ : ٢٥ – ٢٧ .

(٥٥) أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٢ – ٤ .

على أن الرقم ٦٠٠٠٠ ربما كان خطأ وقع فيه كاتب السفر والمقصود هو ستة آلاف فارس .

Kitchen, Op. Cti., P. 295 — n. 289.

(٥٦) Ibid., PP. 293, 493.

وعن مناقشة تاريخ الحملة انظر :

Bright, Op. Cit., P. 213.

Oesterley, W.O.E., «Egypt and Israel», in Glanville, The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, P. 226.

Andre, P.R., Chronologie égyptienne les Hebreux, 1962, P. 88

Albright, B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 7 — 8.

(٥٧) Kitchen, Op. Cit., P. 293.

(٥٨) Lods, Op Cit., P. 374.

Hall, Op. Cit., PP. 436 — 637.

Bright ,Op. Cit., P. 213.

(٥٩) Aharoni, Y., The Land of the Bible, London, 1970, P. 290.

(٦٠) Mazar, B., «The Campaign of Pharaoh Shishak to Palestine», V.T., 4, 1947, P. 57.

شارف : تاريخ مصر ، ص ١٦٣ — ١٦٤ .

(٦١) فانديه ، مصر ، ص ٥٧٦ . Peet, Op. Cit., P. 158.

(٦٢) Kitchen, Op. Cit., P. 294; B.A.R. IV § 124.

(٦٣) Gardiner, H.A., The Ancient Military Road between Egypt and Palestine», J.E.A., 6, 1920, P .99.
Kitchen, Op. Cit., PP. 293 — 494.

(٦٤) عن قائمة شاشانق انظر :
Simons, J.J., Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia, Brill, 1937.

(٦٥) عن الأقواس التسعة انظر :
Pphill, E., «The Nine Bows», J.E.O.L., 19, 1965, PP. 393 — 420.

(٦٦) Mazar, V.T., 4, P. 59.

(٦٧) Ibid, P. 60.

(٦٨) Ibid.

(٦٩) « يرزا » رقم (١٣٣) جنوب « غزة » (انظر الخريطة) وقد جاءت في حوليات « تحتمس الثالث » السطر العاشر :
Urk, IV, P. 650; Wilson, A.N.E.T., P. 235.

أما رقم (١٢٥) فهى « شاروحين » s-r-h-? فالثلاث خطوط الأفقية قبل المخصص غامضة وربما جاءت هـذه الخطوط بدلا من s-r-h-? فتـكون القراءة الصحيحة فى هذه الحـالة s-r-h-n والتى يمكن أن تكون هى نفس s-r-h-m تل الفرعا جنوب غرب فلسطين .
Simons., Ou. Cit., P. 186.

p3-h-(q)-r-i3 f-t-i-s-i3

Aharoni, The land of the Bible, P. 288, Smions, Op. Cit., P. 183.
Kitchen, Third Intermediate., P. 439.

(٧٠) حسن قوطيش ٦٨ — ٦٩ .

(٧١) حصن علجاد ٩٦ ــ ٩٧ . p-h-q-r-c1-g-d ربما غرب النقب .
Mazar, Op. Cit., P. 65 Kitchen. Op. Cit., P. 440.

(٧٢) تفوح ٨٢ ... وهى بيت تفوح بالقرب من « حبرون » و « الخليل » .
أخبار الايام الأول ٢ : ٤٣ .
Aharoni, Op. Cit., P. 289
b-t-c-(n?)-t
Simons, Op. Cit., P. 186.

(٧٤) اشنا « شينيا » ٨٧ ــ ٨٨ . Hagr-Snv يمكن مقارنتها بالكانين المسميين « اشنة » .
يشوع : ١٥ : ٣٣ ، ٤٣
Kitchen, Op. Cit., P. 440.

(٧٥) حصون عرديا الكبرى ١٠٧ ــ ١٠٨ ــ ١٠٩ : hgrm crdi3 rbt
وربما كانت تل عرد حاليا
Mazar, Op. Cit., PP. 64 — 65, Aharoni ,Op. Cit , P. 289.
Ktichen, Op. Cit., PP. 296, 440.

(٧٦) عرد بيت يرحام ١١٠ ــ ١١٢ crdi3 n bt yrhm على مقربة من تل الملح .
Aharoni, Op Cit., P. 289; Kitchen, Op. Cit., P. 440.

(٧٧) الشوحاتيين شرق النقب وهى تقابل قبيلة الشوحاتيين فى أخبار الاول ٤ : ١١ .
Ngb — 3 sht
Mazar, Op. Cit., P. 64, Aharoni, Op. Cit., P. 289.

(٧٨) Dmi3 وربما كانت هى نفس « عاصم » الواردة فى يشوع ١٥ : ٢٩ و ١٦ ــ ٣ ، وأم العوم حاليا حوالى ١٠ كم جنوب أروير Aroer .
Kitchen, Third Intermediate., P. 439.

(٧٩) يرحام ١٣٩ Yrhm وتقابل يرحميئل فى أخبار الأيام الأول ٢ : ٩ وقورنت أحيانا ب بررحما فى النقب
Kitchen, Third Intermediate., P. 441.

(٨٠) توجد بقايا عصيون جابر فى تل الخليفة غربى ميناء العقبة وقد نشر « جلويك » نتائج الحفائر الهامة التى أجراها فى تل الخليفة التى كشفت

من بقايا مصـــانع النحاس والحديد ترجع الى القرن العاشر وعصر سليمان وقد احسن اختيـــار مكان انشاء هذه المصـــانع فقد أقيمت فى موضع تبلغ فيه الريح الآتية من الشمال خـلال وادى عربه غاية قوتها وذلك لكى تؤجج النار اللازمة للتنقيـــة ، وكان يؤتى بالنحـاس والحديد من مناجم فى أطراف وادى عربـــه وينقيان فى عصيون جابر وتصنع منهـا الأدوات المدنية المختلفة التى وجد الكثير منها فى تل الخليفـة ، وتعد مصـــانع عصيون جابر أعظم ما كشف من أمثالها بين آثار العـــالم القديم حتى الآن ، كما أرجع جلويك تدمير عصيون جابر الى حملة شاشانق الاول على فلسطين .

Glueck, N., The Other Side of the Jordan, New Havn, 1940, P. 105.
Mazar, Op. Cit., P. 65, Aharoni, Land of the Bible, P. 288.

اولبرايت : آثار فلسطين ، ص ١٢٨ — ١٢٩ .

موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ٢٨٠ .

(٨١) Kitchen ,Op. Cit., PP. 296; 439.

(٨٢) انظر ما جاء فى أخبار الأيام الأول الأصحاح الثانى والرابع بخصوص هذه المدن .

(٨٣) Mazar., Op. Cit., P. 65.

(٨٤) Mazar, V.T., 4, P. 65; Aharoni, Land of the Bible P. 289.

(٨٥) أظهرت النسخة الحديثة من القائمة وجود نهاية ذيلين لطـائرين مختلفين وبما يكونان حرفى « م » و « أ » وبهما نستبعد ما ذهب اليه كل من مازار وأهرونى من أن رقم (١٢) هى « جازر » (G) 3 (d) 3 (r) ويمكن ارجاعهـــا الى Makked (ah) M - (K) 3 (d) والتى تقـــع جنوب ربوت رقم (١٣) مباشرة

Kitchen, Op. it., P. 435.

(٨٦) أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٥ — ٧ .

(٨٧) Kitchen ,Op. Cit., P. 298.

(٨٨)رقم (٥٧) فى القائمـــة يمكن أن تقرأ dmrm فالعلامة الثانية هى حرف « م » وليست حرف (أ) ويتضح ذلك من شـــكل

قدم الطـائر حيث أن « م » يكون شـكل القدم « لا » بينمـا حرف (ا) يكون شـكل (p) وعرفت على انها صماوايم فى اقليم بنياميين ولم تكن بعيدة عن « بيت ايل » ولذلك كانت تقع فى طريق المصريين عندما ساروا شـمالا من اقليم أورشليم الى مملكة اسرائيل يشوع ١٨ : ٢٢ .

Simons, Op. Cit., P. 182; Kitchen, Op.Cit., P. 438.

(٨٩) Kitchen, Op. it., P. 438.

(٩٠) Kitchen, Op Cit., P. 438. (P) nw — 3r

(٩١) Ibid.

(٩٢) Ibid.

(٩٣) Olmstead, A.T., History of Palestine and Syria, London, N.Y. 1931 P. 355.

(٩٤) ذكرت عرونا فى حوليـات تحتمس الثـالث سـطر ٣٢ وهى الآن خربة « عـارا »

Trk, IV, PP. 650 — 656, Wilson, A.N.E.T., P. 235.

(٩٥) Aharoni, Op. it., P. 285.

(٩٦) تقع شمال شارون وهى الآن « جت »

Kitchen, Op Cit., P. 436.

(٩٧) من الاسماء التى ذكرها تحتمس الثالث ومن المحتمل أن تكون خربت يامة « تل يامه »

Aharoni, Op. it., P. 141 , Kitchen, Op. Cit., P. 436.

(٩٨) Kitchen ,Op. Cit., P. 299.

(٩٩) فانديـيـه : مصر ، ص ٥٧٧ ـ ٥٧٨ ، شـارف : تاريخ مصر ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٨٦ .

(١٠٠) فانديه : مصر ، ص ٥٧٨ .

(١٠١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ٩ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

برستد : تاريخ مصر ، ص ٣٥٩ .

(١٠٢) اخبار الأيام الثانى ١٤ : ٩ ـ ١٥ .

(١٠٣) Peet, Op. it., PP. 163 — 164 ; Kitchen Op. Cit.. P .309.

(١٠٤) Kitchen ,Op. Cit., P. 309

(١٠٥) أخبار الأيام الثانى ١٦ : ٨ .

(١٠٦) اخبار الأيام الثانى ١٢ : ٣ .

(١٠٧) انظر فيما بعد ، ص ١٣٩ . Peet, Op Cit., P. 165.

(١٠٨) Ibid.

(١٠٩) حيث أن حرف « ز » لا يساوى حرف « س » المصرى كما أن « ح » العبرى لا يساوى حرف « ك » المصرى ، ويعتبر حرف « ر » هو الوحيد المشترك بين الاسمين .

Peet, Op. Cit., P. 166 ; Kitchen, Op. it., P. 309.

(١١٠) Peet, Op. Cit., P. 165.

(١١١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٩ ، ص ٢٣٠ .
Kitchen, Third Intermediate, PP. 323 — 324

(١١٢) Kitchen, Op. Cit., PP. 323 — 324.
Aharoni, Land of the Bible P. 305.

(١١٣) Kitchen, Op. Cit., P. 324.

(١١٤) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥١٧ .
جورج رو : العراق القديم ، ترجمة حسين علوان بغداد ١٩٨٦ ، ص ٣٩٥ .

(١١٥) Kitchen, Op. Cit., P. 325.

(١١٦) Luckenbill, D.D. A.R.A.B., 1, 1926, PP. 202 — 203.
عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥١٧ — ٥١٩ .

(١١٧) Aharoni, Op. Cit., P. 305
Luckenbill, Op. Cit., P. 211.
Wilson, A.N.E.T., P. 281.
Kitchen, Op. it., P. 327.

(١١٨) عبد العزيز صالح : مصر القديمة وآثارها ، ج ١ ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٥ — ٨ .

الفصـــل الرابـــع

مصر وفلسطين فى ظل السيادة الآشورية

من بداية القرن الثامن حتى الربع الأول من القرن الســابع ق٠م

أولا ـ مصـــــر

١ ـ الأحـوال الداخليـة ٠

٢ ـ الغزو الكوشى وقيام الأسرة الخامسة والعشرين ٠

ثانيـا ـ فلســطين

١ ـ الأحوال الداخليـة ٠

(أ) السـيادة الآشـورية على الشـام : تيجلات بيليسر الثـالث ٠

(ب) تيجلات بيليسر الثالث وبلاد الشام ٠

(جـ) بلاد الشام فى عهد سرجون الثانى ـ الموقف المصرى ٠

(د) المـلك (؟) ســوا ٠

(هـ)سناحريب وفلسطين ـ الموقف المصرى ٠

أولا ـ مصـــر

اتسمت العلاقـات بين مصر وآشـور فى النصف الثانى من القرن الثامن ق٠م بالتنافس السـياسى والصراع المسلح ، وكان محور الصراع يدور حول السيطرة على بلاد الشـام ، والحصـول على المواد الأولية من فينيقيـا ، وهنا لابد من القاء الضـوء على الأحوال الداخليـة فى مصر وبلاد الشـام وآشـور خـلال تلك الفترة لمعرفـة أثر هـذه الأحوال على السياسـات الخارجيـة لهذه الدول ٠

١ ـ الأحـوال الداخليـة

تميزت خريطة مصر السياسية فى القرن الثامن ق٠م بالتفتت الواضح والانقسام الشـديد بين الشمال والجنوب وداخل هاتين الوحدتين الجغرافيتين فقد أخذ الغموض والابهـام يحيطان بتاريخ الأسرة الثانيـة والعشرين منـذ أيـام « وسركـون » الثـانى (٨٧٤ ـ ٨٥٠ ق٠م) حتى أصبح من الصعب التعرف على ترتيب الملوك الذين كانوا يحملون اسم « شاشانق » أو « وسركون » أو « تكلوت » فمن ذكروا على الآثار ٠ هذه الصـورة من الانقسام والتفتت لم تحـدث بين يوم وليـلة انما كانت لها من المقدمـات والأسباب ما أدى الى تكوينهـا وظهورها أولا : سياسـة ملوك « تانيس » تجـاه « طيبة » والتى أنتجت الانقسام بين الشمال

والجنوب وذلك بتغير القاعدة التى كانت تسير عليها الأسرة المـالكة وهى انتقال وظيفة الكاهن الأكبر لآمون من الأب ، الى الابن فأصبحت العادة السـائدة أن ينتخب الكهنـة العظـام لآمون من بين أولاد الفرعون الحـاكم ٠

كان « وسركون » الاول (٩٢٤ ــ ٨٨٩ ق٠م) أول من تنبه الى خطورة تولى أبنـاء الأسرة الواحدة فى وظيفـة الكاهن الأكبر لآمون ومن هنا أقدم على تعيين ابنه الأصغر « ويلوت » فى هـذا المنصب ، الا أن « وسركون » الثانى تغاضى عن هـذا المبدأ فى أول الأمر معتقدا أن هذا المنصب (الكاهن الأكبر لآمون) يمكن أن يشغله أحد الأفراد ممن هم على صلة قرابة بالملك ولم يكونوا بالضرورة من أبنائه من هنا أقدم على تعيين « حار ــ سى ــ ايسة » كاهنـا أكبر لآمون فى « طيبـة » وكانت هذه بذرة الأزمات التى ستنجم بعد ذلك حيث أن « حار ــ سى ــ ايسة » لم يكن من سـلالة الأسرة الثانية والعشرين فحسب انما كان يرتبط كذلك بالأسرة الحادية والعشرين عن طريق أبيـه وجده(١) ، (انظر الجـدول شـكل رقم ١) ومن ثم كان هـذا الرجـل شـديد الرغبـة فى أن تكون « طيبة » مركز القوة وذلك للتأثير غير المباشر على ملوك الأسرة الثانية والعشرين فى « تانيس » واحياء قوة منصب كبير كهنـة « آمون » الذى كان على أيام أجداده مما قد يؤهلة بعد ذلك لحمل اللقب الملكى(٢) ٠

وقد خرج « وسركون » الثانى من تجربته مع « حار ــ سى ــ ايسة » بدرس مفيد مؤداه ، ضرورة الربط ليس فقط بين الملكيـة والكهانة ولكن باقى المراكز الدينيـة والعسـكرية التى يمكن أن يكون لها اثر من قريب أو بعيد على وحدة البلاد وسلطة التاج ، أى انه أدرك أن « وسركون » الأول كان على حق عندما أقدم على

احتكار هذه المناصب لأفراد أسرته ولكن هذه الافاقة كانت بعد أن اصبح وجود « حار ــ سى ــ ايسة » فى منصب كبير كهنة « آمون » أمرا مسلما به ، ولايمكن للملك ازاحتــه عن هذا المنصب خاصة وأنه يعرف وقوف الطيبيين وكهنــة « آمون » الى جواره ، وبدلا من التفكير فى ازاحة هــذا الحبر الأعظم ، فكر « وسركون » فى وقف امتداد نفوذه ، فعين ابنه « نملوث » الثالث فى منصب كبير كهنــة « حرى شف » فى « هيراقليوبولس » (اهناسية المدينة) ورئيســا عظيما فى « بر ــ سخم ــ خبر ــ رع » وقائد الجيش(٣) ، فما أن مات « حار ــ سى ــ ايسة » حتى أصبح « نملوث » الثالث كبير لكهنة آمون فى طيبة ٠

ولم يكتف « وسركون » الثانى بذلك بل حاول تدعيم مركز أسرته فى « منف » فعين ابنه « شاشانق » الرابع فى منصب كبير كهنــة « بتــاح »(٤) وبتعيين « نملوث » الثــالث كاهنــا أكبر لآمون ، تكون حزب مناهض لسلطة ملوك « تانيس » فى « طيبــة » حيث ان هذا المنصب كان من حق « حار ــ سى ــ ايسة » الثانى ابن « حا رــ سى ــ ايسة » الأول وبتولى « تيكلوت » الثــانى العرش (٨٥٠ ــ ٨٢٥ ق٠م) تكون حزب آخر مناهض لســلطة مــلوك « تانيس » حيث أن « بتــاح ــ واح ــ عنــخ ــ أف » و « تيكلوت » ولدى « نملوث » الثالث كانوا أحق بمنصب كبير كهنة آمون من الأمير « وسركون » الذى عينــه والده « تيكلوت » الثانى فى هذا المنصب(٥) ٠

معنى ذلك أنه أصبح هنا تياران متعارضــان الأول اتجــاه الفرعون الجالس على العرش بتسليم المراكز والمناصب العليــا فى الدولة لرجال ينحدرون من ســلالته مباشرة ، أما الاتجــاه الثانى فهو موقف الأحزاب التى سيسلب حقهــا فى وراثة هذه المناصــب

خاصة (كبير كهنة آمون) نتيجة لتغير الفرعون الحاكم ، وكان لابد من الصدام بين هذين التيارين فكانت الحرب الأهلية ، فرغم قضاء الأمير « وسركون » على حزب (أولاد نملوت الثالث) وذلك بتعيين « بتاح - واح - عنخ - أف » حاكما على اهناسيا والذى كان منتظرا أن يكون أشد المطالبين بمنصب « كبير كهنة آمون » ، فقد كان وضع « حار - سى - ايسة » الثانى هو المحرك الأول فى الحرب الأهلية التى اجتاحت مصر فى العام الخامس عشر من حكم « تيكلوث » الثانى واستمرت حوالى عشر سنوات ، ويؤيد ذلك ان « حار - سى - ايسة » الثانى أصبح كبير كهنة آمون فى العام السادس من حكم الملك « شاشانق » الثالث (٨٢٥ - ٧٧٣ ق٠م) واستمر حتى العام السادس والعشرين حيث عاد الأمير « وسركون » مرة أخرى الى منصبه القديم ، مما يدل على أن « حار - سى - ايسة » الثانى انتزع هذا المنصب من الأمير « وسركون » خلال الحرب الأهلية الا أن الأخير تمكن من استعادة هذا المركز بعد عشرين عاما واستمر حتى العام التاسع والثلاثين من حكم « شاشانق » الثالث وبذلك أصبحت « طيبة » ومصر العليا موطنا للصراع بين الأحزاب المتنافسة على منصب كبير كهنة « آمون » مما يدل على أنها أصبحت بعيدة عن سيطرة الفرعون القائم فى « تانيس »(٦) ٠

واذا كانت هذه الأحوال تدل على الاشتراك الاسمى مع ملوك الأسرة الثانية والعشرين فى حكم مصر ، الا أنها مهدت لوجود اشتراك فعلى فى الحكم حيث نشأ فرع من الأسرة المالكة فى « طيبة » وأخذ يتحالف مع بقايا الملوك « الكهنة السابقين » ، ولم يلبثوا ان أظهروا ميولا انفصالية عن الشمال وانتهى الأمر باعلان « بدو - باست » نفسه ملكا فى « لينتوبولس » ، (تل المقدام بالقرب من ميت غمر) وبه تبدأ الأسرة الثالثة والعشرون حوالى

عـام ٨١٨ ق٠م(٧) وقد أخذ « بدو ــ باست » يمارس سلطانه كفرعون مستقل ، فبدأ يحسب مدة حكمـه بسنوات عهده هو ، كما عين فى العـام الرابـع عشر أو الخـامس عشر من حكمـه « ايوبوت » الأول كشريك له فى الحكم ، كل ذلك دون أن يشير الى « شاشـانق » الثـالث ملك « تانيس » وهـكذا كانت الأسرتان متعاصرتين(٨) ، وأديرت شـئون مصر من عاصمتين « تانيس » فى الشـمال مقر الأسرة الثانيـة والعشرين و « لينتوبولس » مقر الأسرة الثالثة والعشرين ، وقد أتبع « بدو ــ باست » سياسـة العطاء مقابل الولاء ومن هنا لم يخلف « حم بتاح » والده « بتاح ــ واح ــ عنخ ــ أف » ابن « نملوت » الثالث فى حكم « هناسـيا » وانمـا ظهر اثنـان من أنصـار « بدو ــ باست » فى اهناسـيا و « بى سخم خبر رع » شـمال البهنسا ، أما فى « منف » فقد ظل كبير كهنـة « بتاح » على ولائه لملوك الأسرة الثانيـة والعشرين ثم تمكن « وسركون » الثالث (أسرة ٢٣) ، (٧٧٧ ــ ٧٤٩ ق٠م) من تعيين ولده « تيكلوت » كاهنـا أعظم للاله « حرى شف » وحاكما للجنوب وقائد للجيش ورئيسا فى « بى سخم خبر رع » ثم كاهنا أكبر للاله آمون فى « طيبـة » كمـا عين ولده « نملوت » الرابع فى « الاشمونيين » (هيرموبولس) ، وهكذا ورثت الأسرة الثالثة والعشرين الأسرة الثانيـة والعشرين فى المراكز الرئيسـيه فى مصر الوسطى والعليا واكتسبت الولاء المحلى الشكلى تقريبـا فى جنوب « منف » والدلتا(٩) ٠

ومنذ تقسيم البلاد الى مملكتين هما الأسرة الثانية والعشرون تحكم فى الشمال والأسرة الثالثة والعشرون تحكم فى الجنوب أخذ ملوكهـا يتهاونون شيئا فشيئا فى ترك البـلاد فى أيدى رؤسـاء محليين من الذين لا يعيشون الا على الدس والتآمر وانتهى الأمر بان

استقل معظم هؤلاء الأمراء بالمدن الرئيسية فى مصر الوسطى والعليا (هيراقليوبولس ـ هيرموبولس ـ طيبة) واصبحوا يشيرون الى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية ، وكتب اسمه داخل خرطوش ٠ أما فى الشمال (الدلتا) فكما يتضح من لوحة النصر الكوشية (لوحة باك)(١٠) ، فان مصر بلغت ذروة التفتت السياسى ابان تلك الفترة (حوالى ٧٣٠ ق٠م) ففى « منف » ظل حكامها ورؤساء « الماشواش » وكهنة « بتاح » العظام يتوارثون حكمها ، أما شرق ووسط الدلتا فقد أشارت نفس اللوحة الى وجود ملكين « وسركون الرابع » فى « تانيس » و « ايوبوت الثانى » فى «تل المقدام » وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ، ومن المحتمل أنه ظهرت لأول مرة امارة لرؤساء ال « ما » جنوب شرق الدلتا فى « بر ـ جرر » (دار الضفدعة) والتى من المحتمل أن يكون موقعها عند الأطراف الشمالية لخليج السويس وكان يحكمها أمير يدعى « نخت حر ناشنوت » ٠ كما ظهرت امارة أخرى لد « ما » فى « بر ـ سبد » (صفط الحنة) والتى استقل بحكمها « باشف »(١١) ٠

اما فى شمال ووسط الدلتا فقد ظلت « منديس » (تل الربعة وتل تمى الأمديد)(١٢) امارة « للما » حيث اخذ حكامها يتوارثونها ابنا عن أب منذ أيام « شاشانق » الثالث ، كما ظهرت امارة مستقلة عن الأسرتين فى « ثب ـ نثر » (سمنود حاليا) وامتدت لتشمل « بر ـ حبيت » (بهبيت الحجارة) و « سما ـ بحدت » (تل البلامون مركز شربين) وكان يحكمها الأمير المحلى أكانشا(١٣) ، وأخيرا تكونت فى وسط الدلتا امارة لرؤساء ال « ما » حكمها « شاشانق » فى « بر ـ أوزير » (أبو صيربنا)(١٤) ٠

أما غرب الدلتـا فقد كان « تف نخت » حـاكم « سايس » يحمل لقب الرئيس العظيم للغرب ومدير ادارات مصر السفلى وملك الأقاليم الغربيـة الى جانب الألقـاب الدينيـة ، « ككاهن نيت » و « واجت » و « سيد العامو » وغيرها من الألقـاب التى تعكس حكمـه فى « سـايس » حتى « بوتو » شـمالا وكوم الحصـن فى الجنوب الغربى وهكذا سيطر « تف ــ نخت » على النصف الغربى من الدلتا وأسس الأسرة الرابعة والعشرين(١٥) ٠

وهكذا يتضح تفتت خريطـة مصر السياسـية بين الشـمال والجنوب وداخل هذين الاقليمين الجغرافيين فى القرن الثامن ق٠م خاصة فى النصف الثانى منه مما مهد للغزو الكوشى على يد الملك « بـاى » ٠

٢ ــ الغزو الكوشى وقيـام الأسرة الخامسة والعشرين

فى الوقت الذى كانت فيه مصر تمر بمراحل التفتت والانقسـام سالفة الذكر كانت « النوبة » تشهد نموا سريعـا لبعض العنـاصر « الكوشية » التى تشبعت بأصـول الحضارة المصرية القديمـة ، ويرجع ذلك الى ضعف نفوذ مصر السـياسى فى النوبة ، كمـا أنها كانت بعيدة عن اهتمـام الفراعنـة بعد « شاشـانق » الأول ، ربما لضعفهم أو لانشغالهم بالخلافات السياسية الداخليـة كل هذا مكن بعض العنـاصر المحلية من تكوين دولة كوشـية اتخذت من « نبتة » أو « نباتا » عاصمة لها(١٦) ، وكان ذلك حوالى أواخر القرن العاشر وبداية القرن التاسـع ق٠م وبعد انتهـاء عقدين من القرن الثامن ق٠م بدأ حكام هـذه الدولة يتطلعون الى مد نفوذهم شـمالا (أى صـوب مصر) وقد شجعهم على ذلك أحـوال مصر الداخلية فى ذلك الوقت ، وسنحت لهم الفرصـة حينمـا وجدوا

« طيبة » كدولة دينية يسودها الاضطراب والنزاع المستمر بين كهنتها وبين ملوك « تانيس » فتمكن الملك « كاشتا » من بسط نفوذه على « طيبة » بعد أن كان قد بسط سيادته على النوبة السفلى ، وسرعان ما اتخذ الألقاب الفرعونية ثم أجبر الملك « وسركون » الثالث على التقهقر الى الدلتا ، وارغم ابنته « شبن ـ ان ـ وبت » والتى كانت على رأس كهانة « آمون » فى « طيبة » على تبنى « امنرديس » الأولى ابنة « كاشتا » بهدف السيطرة على ثروة آمون وعلى أملاكه وحملت بذلك لقب « الزوجة الالهية »(١٧) ، حيث وجد ضمن آثار الملك « كاشتا » أحد النصوص من وادى الحمامات بالصحراء الشرقية يذكر العام الثانى عشر لهذا الملك ، ثم يذكر اسم المتعبدة أو الزوجة الالهية « امنرديس »(١٨) .

يتضح مما سبق الأهداف الحقيقية ، وراء الغزو الكوشى وهى السيطرة على مصر ، فالكوشيون نظروا الى مصر فى هذه الفترة باعتبارها امتدادا سياسيا لكوش وليس العكس كما كان سائدا فى العصور السابقة ، الى جانب الأهداف الاقتصادية من السيطرة على ثروة آمون وأملاكه بل وثروة مصر كلها .

بعد موت الملك « كاشتا » تولى ابنه « باى » الملك فى « نباتا » بعد أن أصبح « لكوش » حزب قوى فى « طيبة » فى ذلك الوقت انتهجت أسرة « تف ـ نخت » الرابعة والعشرون سياسة داخلية جديدة لتحقيق وحدة مصر السياسية ، والقضاء على الانقسام الذى أصابها ، وكان من الطبيعى أن تصطدم هذه السياسة بأهداف حكام مصر العديدين وتتعارض مع أهداف مملكة « نباتا » وعلى رأسها الملك « باى » وقد استطاع « تف ـ نخت » أن يستميل معظم حكام الدلتا الى جانبه وان كانت طبيعة

الأحداث قد أملت عليهم ذلك حماية لهم ولاماراتهم ، ورغم ذلك كان هناك من وقف محايدا مثل « با ــ شف » حاكم « بر ــ سيد » ومن وقف معارضــا مثل « اكانشا » حاكم « ثب ــ نتر » وضــم التحالف الجنوبى « نباتا » و « طيبــة » وخلفهم الالة « آمون » الذى كان يمثل روح المقاومة الكوشــية ضــد التحــالف الشمالى وتوضح هذه الأحداث لوحــة الملك « باى » التى تعد من أهم وثائق التاريخ المصرى القديم(١٩) ٠

فتذكر كيف استولى « تف ــ نخت » على الغرب جميعــا حتى « اللشت » جنوبا ، وكيف أبحر الى الجنوب على رأس جيش كبير ، وعند اقترابه فتح رؤســاء المدن والقرى له أبوابهم وجاءوا أذلاء فى أعقابه كالكلاب ، ثم اتجــه شرقا ، وبعد ان اســتولى على المدن الرئيسية على الضفة اليمنى حاصر « هرقليوبولس » التى احاط بها من جانت حتى يمنع أى واحــد من دخولها أو الخروج منها (٢٠) ٠٠ ونظرا لضيق المكان فاننــا لن نسهب فى تبع مراحل الصراع تين الكوشيين والصــاويين والذى انتهى على أية حــال بأن قدم « تف ــ نخت » خضوعه للملك « باى »(٢١) ٠ ــ

وما أن أعلن « باى » نفسه ملكا على مصر حتى قفل راجعــا الى « نباتا » فاستغل « تف نخت » فراغ الميدان الداخلى لمصلحته واسترد ســلطانه على الدلتا والأقاليم القريبــة منها واســتعاد الألقاب الملكيــة ويؤيد ذلك لوحة فريدة فى متحف أثينا تمثله كملك يقدم هبة من الأرض الى « نيت » ربة « ســايس » فى العــام الثامن من حكمه(٢٢) والأمر ما لم يبذل الملك « باى » أى جهد لاعادة اخضــــاع « تف ــ نخت »(٢٣) ، وانمــا ترك ذلك لخليفتــه « شــباكا » ٠

ثانيـــا ـ فلســـطين

١ ـ الأحـــوال الداخليـــة

لم تكن سوريا وفلسطين أسعد حالا من مصر وانمـــا كانتـــا تعانيان النزاعات الداخليـــة لذا وقعت مدنهما ودويلاتهما فريســـة للزحف الآشـــورى ، واذا كانت فلسطين تمثل بالنسبة لمصر خط الدفاع الأول عن حدودها الشمالية الشرقيـــة ، فان آشـــور كانت تضع بلاد الشام نصب عينيها بسبب ثروتها من الأخشاب والمعادن الى جـــانب امتداد ساحلها على البحر المتوســـط الذى من خـــلاله تستطيع آشور أن تطل على عالمـــه الغنى بتجارته ٠

فى الوقت الذى كانت فيه مصر وبلاد الشـــام تعانيـــان من الصراعات المحلية ، كانت قوة آشور تتعاظم باضطراد وترنو ببصرها نحو الغرب ، وهنا وجد الملك الآشورى « شلمانصر الثـــالث » فى تنافس ممالك بلاد الشـــام فرصـــة مناسبة لتحقيق أهدافـــه الا أن الخطر الآشورى أصلح ما بين هذه الممالك فوجد هـــذا الملك نفســـه أمام حلف كبير بزعامة ملكى حماة ودمشق ، عندما التقى الطرفان فى معركة « قرقر » حوالى ٨٥٣ ق٠م(٢٤) ، وكما سبق أن ذكرنا لم تكن نتيجة هـــذه المعركة حاســـمة كما أن مصر شاركت فى هذه المعركة بعدد رمزى من الجنود(٢٥) ولم يكن اشـــتراك مصر فى هذه الأحـــداث التى كانت تقع على الساحـــة الفلسطينية والســـورية الا تذكرة عارضة بوجودها فى الساحة السياسية والعسكرية ٠

على أى حـــال ، فقد بقيت ممالك بلاد الشـــام تتأرجـــح بين الخضوع وتقديم الجزية لآشـــور وبين الثورات عليها حتى اعتلاء « تيجلات بيليسر الثالث » (٧٤٤ ـ ٧٢٧ ق٠م) عرش آشور ٠

(أ) السيادة الآشورية على الشام : تيجلات بيليسر الثالث :

تولى تيجلات بيليسر الحكم على أثر ثورة داخلية فى نهاية حكم « شلمانصر الثالث » تركت أثرها على آشـور حيث حلت عليها فترة ضعف دامت زهاء الثمانين عاما ، أى منذ حكم الملك « شمش ــ اداد الخامس » الى حكم « تيجلات بيليسر الثالث » وقد استغلت الأقاليم التابعة لآشـور هذه الفرصـة ونبذت تبعيتهـا لها ، ولكن الملك الجديد قام باصلاحات واسعة فى الجيش ونظـام ادارة الدولة اسـتطاع بهـا أن يعيد آشـور الى سابق قوتهـا واسترجع سلطتها فى كثير من الأقاليم التى كانت خاضعة لها .

شملت اصلاحات « تيجلات تيليسر » الادارية أمورا أساسية فى نظام الدولة ، كان فى مقدمتها تقوية سـلطة الملك والتقليل من نفوذ النبلاء وأمراء الاقطـاع الذين كانوا من أسباب الحرب الأهلية فى آشـور نتيجـة ظلمهم واستغلالهم للسـكان الأحرار لاسـيما الفلاحين والمزارعين ، كما ضاعف الوحدات الادارية والولايات وقلص من سعتها لتسهل ادارتها ، أما بالنسبة للأقاليم المفتوحة فقد عزل معظم ملوكهـا وحكامهـا ، وحول الكثـير منهـا الى ولايات يدير شئونها حكام أو ولاة يعينهم الملك ، وفى حالة الأقاليم التى لم يتم دمجها بالامبراطوريـة ، عين الملك مع حكامهـا الوطنيين مراقبين آشـوريين ، يضـاف الى ذلك وسـائل منتظمـة للمواصـلات والاتصال ما بين البلاط وبين الولايات المختلفـة مثل السـعاة ، أو الرسل ، أما الأقاليم المفتوحة التى تتكرر ثوراتها فقد انتهج الملك ازاءها سياسـة جديدة فصـار يهجر سكانها وينقلهم بالجملة الى أقاليم أخرى ، خاصـة الأيدى العاملة ، حتى لا تقوم لبـلادهم قائمة ، مع احلال غيرهم من مناطق بعيدة محلهم حتى يضغطوا على السـكان الأصليين أو يظلوا بينهم غرباء مستضعفين ، ثم تهجـير

بعض آخر الى دولة آشـور نفسها حتى يظلوا تحت اشراف حكامها وحتى يمكن استغلالهم فى خدمتها استغلالا مباشرا(٢٦) ، ومثال ذلك انه أمر فى عـام حكمـه الثالث بتهجير ٣٠٠٠٠ سـورى من اقليم « جماة » الى جبال « زاجروس » بينما أتى ب ١٨٠٠٠ أرامى من الضفة الشمالية لنهر دجلة واحلهم فى شمال سـورية(٢٧) ، على أن تلك السياسـة التى أتبعها هذا الملك لم تحقق الأهداف التى قصدت من وراءها حيث أن ثورات الشعوب لم تنقطع كمـا سنرى فى عهد « سرجون » الثانى وولده « سناحريب » ٠

أما الاصلاحات التى أحدثها فى نظـام الجيش فانه عدل عن النظام السابق فى تجنيد الفلاحين والعبيد الذين كان يجهزهم نبلاء المملكة ومالكو الأراضى ابان الحمـلات الحربية السـنوية ، فأدخل بدلا من ذلك نظاما أشبه ما يكون بنظـام التجنيد الاجبارى بحيث أصبح الجيش جيشا نظاميـا ، ودخل أهل الأقاليم التابعـة فى سلم الجيش ، فازداد عدد الجيوش النظامية وأعفى الفلاحون الآشوريون من التجنيد فانصرفوا الى شئونهم الزراعية(٢٨) ٠

(ب) تيجلات بيليسر الثالث وبلاد الشام :

سبق ان ذكرنا أن بلاد الشام تمثل أهمية سياسية واقتصادية وعسكرية لدولة آشـور ، لذا كان من الطبيعى أن يتخذ تيجلات بيليسر الثالث الخطوات الجـادة لضم هذه المنطقة لامبراطوريتـه ، فكان صـدامه الأول مع حلف لملوك سـورية وفلسـطين بقيـادة « عزريا » ملك « يهوذا » حوالى ٧٣٨ ق٠م(٢٩) ، وتمكن الملك الآشورى من القضـاء على هذا الحلف ، ودفع الجزية لآشـور كل من ملك دمشق وملك « جبيل » وملك « صور » و « منحيم » ملك اسرائيل « وزبيبة » ملك « العرب »(٣٠) وواضح هنا ان يهوذا

لم تذكر ضمن الممالك المؤدية للجزية ، فربما يرجع الى أن الملك الآشورى اكتفى بالقضاء على الحلف ، حيث كان يتعجل العودة الى آشور ليصفى حسابه مع بلاد (أورارتو) ٠

أثناء غياب تيجلات بيليسر فى حرب « أورارتو » عاد الصراع مرة أخرى بين ممالك بلاد الشام ، ففى حوالى ٧٣٥ ق٠م تغير النظام السياسى تماما فى مملكتى « يهوذا » و « اسرائيل » حيث أصبح « فقح » ملكا على اسرائيل و « احاز » ملكا على يهوذا ووجد هذا الأخير أن خلاصه الوحيد فى الالتجاء الى آشور ، كما رفض الانضمام للحلف المعادى لها بزعامة « رصين » ملك دمشق و « فقح » ملك اسرائيل ، اللذين اقلقهما وجود ملك على عرش يهوذا موال لآشور ، فأعلنا عليه الحرب وانضم اليهم عدد من المدن الفلسطينية والأدومية ومد الأول سيطرتهم على « شغالا » و « النقب » واحتلوا عددا من المدن الواقعة على الطريق المؤدية الى أورشليم مثل « جيمزو » و « عجلون » فى الشمال و « تمنة » و « بيث شمش » فى وادى سوريك و « سوكوث » وربما « جديروث » فى وادى علا ، أما الأدوميون فقد استردوا « ايلات »(٣١) ٠ واستنجد « احاز » بالملك الآشورى « تيجلات بيليسر » الذى لم يكن فى حاجة الى دعوة ليقوم بحملاته على بلاد الشام ، فقد كان هدفه هذه المرة هو المنطقة كلها(٣٢) ٠

حوالى ٧٣٤ ق٠م توجهت حملة الى الساحل الفلسطينى (اقليم البلست) مباشرة وتقدم الجيش الآشورى على طول الساحل حتى وصل « غزة » واستمر فى زحفه حتى وادى العريش وهو الحد التقليدى بين مصر وفلسطين(٣٣) ، وتوجيه هذه الحملة الى اقليم البلست يبرهن على حسن سياسة الملك الآشورى وبعد نظره حيث أنه كان يعرف العداء الكامن بين الفلسطينيين والممالك

الأخرى المجاورة وبذلك ضمن عدم تدخل أى منها ، وفى نفس الوقت فانه باحتلال الاقليم الساحلى قطع الطريق على أى تدخل من جانب مصر ، ومن جهة ثالثة فقد حصر الممالك الأخرى الداخلية ، ومنع اتصالها بالبحر ٠

وفى العام التالى توجهت حملة ضد اسرائيل وغزت « الجليل » و « جلعاد » والاقليم الساحلى أيضا وحول هذه الحملة أشار العهد القديم الى أن « تيجلات بيليسر » احتل عيون و « ابل بيت معكة » ، و « يانوح » و « قادش » و « حاصور » و « جلعاد » و « الجليل » وكل أرض نفتالى وحمل السكان كأسرى الى آشور(٣٤) ، معنى ذلك أنه « تيجلات بيليسر » سار جنوبا متخللا سهل البقاع ودخل اقليم نفتالى ودمر المدن المحصنة شمال وادى الأردن (عيون ـ ابل ـ بيت معكة ـ حاصور) ، وقد مكنه ذلك من غزو الجليل (قادش ويانوح) ثم جلعاد الاسرائيلية بعد عبور نهر الأردن ٠

وقد جاءت تفصيلات هذه الحملة فى حوليات تيجلات بيليسر الثالث فيتضح من نصوص هذه الحوليات أن حملته وقائمة المدن التى غزاها كانت فى شمال سورية وساحل « فينيقيا » ٠ وذهب الى غزو « جلعاذا » و « ابل معكة » ابل بيت معكة على حدود أرض تيت عمرى (اسرائيل) وبيت « حزائيل » (أرم دمشق) وذكر أيضا احتلال غزة وأخيرا أخبرنا بان رجلا من بيت عمرى ثار ضد ملكهم فقح فعين الملك الآشورى مكانه « هوشع » الذى أصبح يدين بالولاء للآشوريين ويدفع لهم الجزية(٣٥) وقد أيد ذلك الحفائر التى أجريت فى « حاصور » و « مجدو » والتى اثبتت ان حاصور دمرت تماما فى هذه الفترة (وهى تمثل المستوى الخامس) حيث ان المدينة التى أقيمت على أنقاضها (مستوى

رابع) كانت عبـارة عن قرية صغيرة غير مسـورة مما يوحى بأن حملة تيجلات بيليسر وضعت نهاية لتاريخ « حاصـور » كمدينـة قوية ، أما « مجدو » فان تدمير المستوى الرابع بها يرجع لحمـلة تيجلات بيليسر الثالث حيث أقيمت على أنقاضها مبان على النسق الآشـورى(٣٦) وعلى ذلك أصبحت مملكة اسرائيـل منحصرة فى اقليم افرايم الجبلى وهو الاقليم الذى سمح بأن تستمر اسرائيـل كمملكة مستقلة بعد مقتل « فقح » وذلك لخضـوع هوشع التام لآشـور(٣٧) ٠

وقد انتظمت الأقاليم التى اقتطعت من مملكة اسرائيـل فى ثلاث مقاطعـات أدرجت فى القوائم الآشـورية طبقا لاختصاراتهـا بعواصمها وهى « مجدو » وتشمل « الجليل » والسهول الساحلية ، « دور »وسهول شارون على حدود اقليم البلست وجلعاد وقـد أشار العهد القديم الى ذلك « كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتـالى يكرم الأخـير طريـق البحـر عبر الأردن جليـل الأمم »(٣٨) ، ومما لاشـك فيه أن هذه الاشـارة لحملة تيجلات بيليسر والمقاطعـات الآشـورية الثـلاث ، التى أسسها « طريق البحر (دور) عبر الأردن (جلعاد) جليل الأمم « مجدو »(٣٩) ٠

وهكذا وطبقا للسياسـة التى رسمها تيجلات بيليسر الثالث أصبحت دمشق منعزلة عن حلفائها الجنوبيين وبالتـالى صـارت لقمة سائغة ، وفى عـام ٧٣٢ ق٠م نجح تيجلات بيليسر فى اجتياح مملكتها وقتل ملكها « رصين » ونظمت أقاليمهـا الستة عشر فى أربع أو خمس مقاطعـات آشـورية هى : دمشق وكارنيم وحوران وسوبا (سوبيت) وربما « ماتسوات »(٤٠) ، وقد ذكر حزقيال هذه المقاطعـات عند وصف حـدود دولتـه حيث ذكر « حمـادة و « دمشق « و « جلعاد »(٤١) ٠

أما يهوذا فرغم استنجاد ملكها أحاز باشور فانها لم تسترد ما فقدته للأدوميين وللفلسطينيين فاستقلت أدوم تماما عن سيطرة يهوذا ويوضح ذلك أن « كاشومالاكو » ملك « أدوم » لم يذكر الا مرة واحدة بجانب « ياهو أحاز » فى قوائم دفع الجزية لملك آشور « تيجلات بيليسر الثالث »(٤٢) ، كما ظهر ملوك أدوم ضمن الملوك المستقلين فى حوليات « سرجون الثانى » و « اسرحدون » و « اشوربنيبال »(٤٣) كما أن يهوذا لم تسترد مدن شفالا أو أيا من المناطق التى استولى عليها الفلسطينيون(٤٤) ٠

من الواضح اذا أن التفتت والانقسام اللذين أصابا ممالك بلاد الشام وعدم تقديرهم للخطر الحقيقى المتمثل فى الآشوريين الى جانب فقدان المساعدة المصرية الجادة نظرا لظروفها الداخلية ، كانت كلها من العوامل الرئيسية التى ساعدت ملك آشور فى تحقيق ما جاء من أجله وهو ضم بلاد الشام تماما للامبراطورية الآشورية ٠

(ج) بلاد الشام فى عهد « سرجون الثانى » موقف مصر :

ما ان مات « تيجلات بيليسر الثالث » وتولى مكانه « شلمانصر الخامس » حتى تغيرت الأحوال السياسية كما هى العادة بعد موت أى ملك وارتقاء ملك آخر عرش آشور ، فثار هوشع ملك اسرائيل على السيادة الآشورية ورفض دفع الجزية السنوية وتحسبا لانتقام آشور قام هوشع بالاتصال بمصر وطلب عونها ، واذا كانت المصادر المصرية لم تتحدث عن مساعدتها لملك اسرائيل ، فان سابقات الأحداث ونصوص العهد القديم تقدم ما يقربنا من تلك الحقيقة « ٠٠٠ ووجد ملك آشور فى هوشع خيانة لانه ارسل

رسلا الى سـوا ملك مصر ولم يؤد جزية الى ملك آشور حسب كل سنة فقبض عليه ملك آشـور وأوثقه فى السجن »(٤٥) • معنى ذلك أن هوشـع راسل ملك مصر الذي وعده بالمسـاعدة فتمرد على آشـور ، الا أن شلمانصر لم يمهله اذ نزل على اسرائيـل حـوالى عام ٧٢٤ ق٠م وحاصر السامرة لمدة ثلاث سـنوات وان كان لايعرف ما اذا كانت المدينة قد سقطت على يده أم على يد من خلفه سرجون الثـانى(٤٦) ، وعلى أية حال فسرعان ما سقطت أسرة تيجـلات بيليسر وانتقلت مقاليد حكم آشور الى أسرة سرجون الثانى •

استغلت كل من « بابل » و « أورارتو » وممالك آسـيا الصغرى و « فلسـطين » فترة البلبلة التى صحبت تغير الأسرة الآشورية المـالكة للتخلص من سيطرتها ، فترك سرجون كل هذه الدول وبدأ ببلاد الشام التى اندلعت فيها نيران الثورة من غزة حتى حماة وأرواد وعاونتهـا مصر ، حيث وجد أبادى ملك حمـاة فى وصول سرجون للعرش فرصـة مناسـبة للاستقلال فحرض مدن أرواد وسميرا ودمشـق والسامرة وكون حلفا قالت عنه حوليات « سرجون » « ••• فى العام الثانى من حـكمى (فان) يوبادى صاحب حمات أحضر جيشـا وحضر معه عند مدينـة قارقار (من) حنثوا بالايمان التى أقسموها •• مدن ارباد ، سميرا ، ديماشـكا والسامرة الذين ثاروا ضدى ••• »(٤٧) ، ومن المحتمل أن مصر أيدت هـذا الحلف وعاونته ، كما شاركت « صـور » فى الثورة وهناك اشـارة الى ان ملك سـمال تخلى عن ولائه لآشـور وانضم الى التحالف ولكن يبدو أن هذا الحلف لم يكن ذا قيمـة حيث قضى عليـه سرجون ووقـع ابادى فى الأسر فأصـدر « سرجون » أمرا بسلخه وكان هذا بمثابة تحذير للثوار فى كل مكان(٤٨) •

بعد أن قضى سرجون على هـذا الحلف أخذ قرقر ودمرهـا

واستولى على حماه وكان ذلك ايذانا بنهاية الثورة فى الشمال حيث سلمت المدن الأخرى ، وما أن فرغ سرجون منها حتى اتجه الى غزة التى كانت مركز الثورة فى الجنوب ٠

تحالف مصر مع « هانو » حاكم غزة :

كانت غزة تحتل موقعا مهما فى العالم القديم ، فهى أقرب المدن الفلسطينية لحدود مصر وهى على الطريق التجارى ، السورى المصرى ، كما كانت ميناء لطرق القوافل الآتية من شبه الجزيرة العربية الى بلاد الشام ، ولم تقلل اهميتها التجارية من منزلتها الحربية ، كانت مصر تعى ذلك تماما ، ومن هنا كانت مساعدتها لها وتحريضها على اى ثورة تنشب فيها ، ولما تمردت على الآشوريين فى عهد تيجلات بيليسر الثالث وفشلت ، أرغم هانو حاكمها على الفرار الى مصر وبقى بها حتى وفاة تيجلات بيليسر ولما ولى شلمانصر الخامس العرش ، ساعدته مصر فى العودة الى غزة وخلع الوالى الآشورى وطرد الحامية الآشورية ، كان ذلك بمساعدة القائد المصرى « سيبئة » (سيبو)(٤٩) ، ولكن الآشوريين ضربوا هذا الحلف ، والى ذلك يشير نص من حوليات سرجون الثانى « ٠٠ انه (هانو حاكم غزة) وقع اتفاقا معه (الفرعون) وهو (الفرعون) استدعى قائده سيب ـ اى لمساعدته (هانو) وهو (سيب ـ اى) انطلق ضدى فى معركة حاسمة ، فالحقت بهما (هانو وسيب ـ اى) الهزيمة ٠٠٠ وفر سيب ـ أى مثل سيبا (راعى غنم) جرد من قطيعه (اما) هانو فقد اسرته بنفسى واحضرته (معى) مقيدا بالأغلال الى مدينتى آشور ، ودمرت رابيجو (رفح) وانهارت (اسوارها) واحرقتها وسقت أمامى ٩٠٣٣ من السكان كاسرى مع امتعتهم العديدة ٠٠٠ »(٥٠) ٠

كان على عرش سايس خلال تلك الأحداث « باك — ن — رن — ف » (بوخوريس) وكانت مصر فى عهـده لا تزال مستمرة فى تأييد مدن فلسطين للمحافظة على استقلالها ، ولكن بعد انتصار سرجون أيقن الفرعون أن التيارات الخارجية لن تجرى لصالحه فلم يجد بدا من ارسال هدية الى الملك الآشورى ، ربما كان الهدف منها كسب وده ، ونيل تأييده ضد نباتا فضلا عن وقف التقدم الآشورى تجاه مصر(٥١) ، وهناك نص آشورى دار حوله جدل طويل ، حيث ذكر سرجون الثانى فى حولياته « ... (ان) **شكانى شليحينى ملك موصرى الذى ... ايحاء الخوف المغامر من آشور سيدى أحضر ١٢ جوادا كبيرا من موصرى التى لا نظير لها فى القطر (آشور) ... »**(٥٢) .

وقد ربط فريق من العلماء بين هذا النص وبين هدية « باك — ن — رن — ف » وعلى ذلك رأى أن شلكانى هو « تاك — ن — رن — ف » (بوخوريس)(٥٣) ولكن فريقا آخر يرى أن « شلكانى » هو « وسركون الرابع »(٥٤) وفى كلتا الحالتين يرى الفريقان أن المقصود « بموصرى » هنا مصر « وادى النيل »، غير أن فريقا ثالثا من العلماء يرى أن « شلكانى » ليس الا تحريفا لاسم عربى مثل (سلحان) أو « سلحينى » وعلى ذلك فان أرض « موصرى » هنا ليست مصر وادى النيل بدليل أن النصوص الآشورية ذكرت اسم « يرعو ملك موصرى » مع رؤساء البادية مثل « شمس » ملكة العرب و « يثع أمر » السبئى مما يشير الى أن منطقة « موصرى » كانت من مناطق البادية ويغلب على الظن أنها قريبة من البحر الأحمر ومن الحدود المصرية ، وربما أغرت تبعيتها القديمة لمصر الكتبة الآشوريين الى اعتبار جزاها من جزى الفرعون المصرى نفسه ، أما « يرعو » فربما كان تحريفا لاسم شيخها البدوى فى عهد « سرجون »(٥٥) .

سرجون وأشدود ـ موقف مصر :

حوالي عام ٧١٤ ق٠م امتنع « عزوري » ملك اشدود عن دفع الجزية لآشـور وحرض جيرانه على العصيان فعزله سرجون وولى أخاه « اهيميتى » مكانه (٧١٣ ق٠م) ولكن اهل أشـدود عزلوه وعينوا رجلا من غير الأسرة المـالكة هو « ايمانى » الذى اعتبرته النصـوص الآشـورية « أيونيـا » مغتصبا للعـرش(٥٦) ، **« ٠٠٠ (ان) عزورى ملك اشـدود خطط على ألا يدفع الجزيـة وأرسـل رسـائل (مليئـة) بالعدوان ضـد آشـور الى الملوك (الذين يعيشون) الى جواره ٠ وبنـاء على هذه الأفعـال التى اقترفهـا فقد أنهت حكمـه على رعيه بلده وجعلت اهيميتى اخـاه الأصغر ملكا عليهم (و) لكن أولئك الحيثيين (دائمـا) يخططون لأعمال اهلية (للثورة) تكره حكمـه (اهيميتى) ورفعوا من يحكم عليهم الاغريقي الذى لم يكن له حق فى العرش ٠٠٠ »**(٥٧) ثم روت النصوص الآشورية على لسان « سرجون » انه عندما سـمع بخبر « يمانى » لم ينتظر تجييش الجيوش وركب عربة مدنيـة وهرع بها هو وحرسـه الخـاص واتجـه الى اشـدود ففزع الأيونى (يمانى) ولجـأ الى الحدود المصرية وحاصر سرجون المدينـة حتى استسلمت هى وجيرانها فغنم منهم وسبى وعين حاكما آشـوريا على منطقتها ونقل اليها مهجرين من المناطق الشرقيـة واعتبرهم رعايا آشـوريين وذكرت رواية أخرى ان يمـاني عمل استعداداته وأحاط المدينـة بخندق وامنها بالمياه التى كانت تأتى من خارجهـا وراسل ملك مصر وأمراء جنوب فلسطين (يهوذا ـ أدوم ـ مؤاب) وبعض جزر البحـر ، فخـرج سرجون اليهم بجيش كثيف عبر به الدجلة والفرات في موسم الفيضـان(٥٨) ، معني ذلك إن سرجون لم يفلح فى هجومه بحرسـه الخـاص الذي قص قصته فى الرواية

الأولى ، فرجع عن المدينـة وعاد الى آشور واستعان عليهـا ببقية جنده ، واستطاع أن يستولى على أشـدود ، ففر يمـانى الى مصر وكان ذلك فى عهد الملك النوبى شباكا (حوالى ٧١٢ ق٠م) الذى اضطر الى تسليمه للآشـوريين حتى يتفرغ لمشاكله الداخليـة ، أو أنه أراد أن ينهج نهجا وديا فى علاقاته الخارجيـة ، أو أنه أراد ، اقامة علاقـات ودية مع الآشـوريين ، ولذلك نجـد الملكين المصرى والآشورى يتبادلان الهدايا ، وهنـاك أختـام من الصلصـال فى متحف « نينوى » تحمل اسـم « شباكا » و « سرجون » جنبا الى جنب ، فضـلا عن ختم للملك شباكا عثر عليه فى « كيونجـك » يحتمل انه كان ختما لرسـالة منه للملك سرجون وقد أدت هذه الاتصالات بين الملكين وتبـادل الهدايا الى أن يسرف أعوانهمـا فى استخلاص النتائج منها وقد لعب الخيال فيها دورا كبيرا ، فموظفو الفرعون اتخذوا من رد الملك الآشـورى دليلا على خضـوعه لسيدهم وصوروه وهو يخضـع الشعوب الآسيوية ، والأمر كذلك بالنسبة لرجال بلاط نينوى الذين اتخذوا من هدايا شباكا لسيدهم دليلا على خضـوعه له (٥٩) ٠

(د) الملك (؟) سـوا :

ذكرنا من قبل انه بعد موت تيجلات بيليسر (الثالث) ملك آشور ، تغيرت الأحوال السياسية فى بلاد الشام ، فأعلن « هوشع » ملك اسرائيل وصنيعة الآشـوريين ، العصيان وأرسل رسـلا الى «سـوا » ملك مصر ، ولم يؤد الجزية السنوية لملك آشور(٦٠) ، واذا كان أمر استنجاد ملك اسرائيل بمصر يبدو محققا الا أنه دار جدل كثير بين الباحثين حول تحديد الملك المصرى الذى قصـدته رواية العهد القديم ، فمن المعروف تاريخيا أنه لا يوجد فى هـذه الفترة من تاريخ مصر ملك يحمل اسم « سـوا » ٠

وقد حاول بعض الباحثين أن يقرنوا « ســوا » ب « سيبئة » أو « سيب ــ اى » ترتان (قائد) جيش مصر الذى ذكرت حوليات سرجون الثانى عــام ٧٢٠ ق٠م بأنه خرج من رفح مع « هانو » حاكم غزة لوقف التقدم الآشورى(٦١) ، والذى تراءى للبعض أنه الملك النوبى « شباكا »(٦٢) ، على أســاس ترجمة اسم « شباكا » (القسط البرى) حيث أن « كــا » أداة تعريف كما هى فى النوبية الحديثــة وان « ســبا » تعنى (قســط برى) فاللفظ العبرى « سيب ــ اى » حذف منه أداة التعرف « كا »(٦٣) ٠

ولكن من المؤكد أن « ســوا » ليس هو نفس « سيبئة » تورتان (أى قائد جيش) مصر ، فقائد الجيش ليس هو الفرعون كمــا أن النص الآشــورى ذكر « سيبئــة » قائده (أى قائــد الفرعون)(٦٤) ، هذا فضــلا عن ان اسم القائد يقرأ « رعيــا » وليس « سيب ــ أى »(٦٥) وبالتــالى لايــكون « ســـوا » أو « سيب ــ اى » هو « شباكا » حيث أنه بالاضافة الى ما سبق فان « كــا » ليست أداة تعريف فأداة التعريف لا تقع فى نهايــة الكلمة علاوة على أن « شباكا » ذكرته حوليات « آشور بنيبال » فيما بعد « شــباكو »(٦٦) ، وحتى اذا قبلنا مطابقــة « ســوا » مع « شباكا » لغويا تظل هنــاك صعوبات تاريخية كبيرة فالمصــادر الآشورية ذكرت سقوط السامرة حوالى ٧٢٢/٧٢١ ق٠م وان تدخل « سوا » كان قبل عام ٧٢٥ ق٠م ، والمعروف أن « شباكا » لم يعتل العرش الا فى عــام ٧١٥ ق٠م(٦٧) ، قبل عــام ٧٢٥ ق٠م ، وقد حــاول « هول » ، التغلب على ذلك بافتراض أن « باى » النوبى عندما غزا مصر حوالى ٨٢٨ ق٠م ترك أخاه « شــباكا » كقائد فى مصر بينما عاد هو الى « نباتا »(٦٨) ، ولكن هذا مجرد تخمين لم تؤيده الآثار المصرية حتى الآن وعلى ذلك فليس من الممكن

أن يكون « سوا » من الناحية اللغوية والتاريخية هو الملك النوبى « شبـاكا »(٦٩) ٠

وهناك من اقترح قراءة نص العهد « الى وزير ملك مصر » على أساس أن SO3 هى الدلالة الصـوتية للقب المصرى T3 (٧٠) ، ولكن هذا غير صحيح ، كما انه لايمكن أن يكون « سـوا » هو « ايوبوت الثانى »(٧١) ، وهناك اقتراح آخر يرى ان « سـوا » هو « تف نخت » حيث أخذ الكلمـة العبريـة S03 على أنهـا Sewe3 وفسرت على أنهـا الاسم الحورى للملك « تف نخت » (Si3 — ib) (٧٢) ، ولكن يرى « كتشـن » أن المـلوك المصريين كانوا يعرفون فى النصـوص الأجنبية باسمائهم الشخصية وليس بألقابهم الحورية(٧٣) ٠

وعلى ذلك يرى « كتشن » ان كل الأدلة التاريخية واللغوية والسياسية انما تجعل من « أوسركون الرابع » ملك « تانيس » و « بوباسطة » أفضل المرشحين لأن يكون « سـوا » استنادا لعدة شواهد منها :

أولا ــ أن « سـوا » يمكن أن يكون اختصارا من اسم (أو) سو (ركون) ٠

ثانيـا ــ ان هذا التفسير لا يلزمه تعديل فى النص ٠

ثالثا ــ ان « أسوركون الرابع » كان يحكم فى « تانيس » حيث كان الأنبياء العبرانيون يحرمون على الحكام مراسلتهم ، الى جانب ان مملكة « أوسركون » كانت فى شرق الدلتا فكان مجاورا لفلسطين لذا كان قادرا على تقديم المساعدة السريعة ٠

رابعـا ــ أنه كان هنـاك علاقات منذ وقت طويل بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين (خاصة أوسركون الثانى) وبين مملكة اسرائيـل ٠

خامسـا ــ أن الحوليات العبرية لم تسجل مساعدة اتت من جانب « أوسركون الرابع » حيث أنه كان ملكـا ضعيفـا لا يملك المصادر التى تمكنه من ارسـال جيش كبير مثلما فعل « شاشانق الأول » و « أوسركون الأول » قديما ولكنه وعد بتقديم قوة مثلما فعل « أوسركون الثـانى » فى قرقر واخيرا ان « تف نخت » لم يكن معروفا فى البلاط العبرى كما أن عاصمته « سايس » لم تكن معروفة أيضا(٧٤) ٠

ورغم هذا التحليل المفصل الذى قدمه « كتشن » لنص العهد القديم والذى سـاعدنا كثيرا فى استبعاد بعض الآراء المشكوك فى صحتها الا أن القرائن التى اعتمد عليها فى تعريف « سـوا » بالملك « وسركون الرابع » يمكن أن يعترضها بعض الصعوبات منها :

أولا ــ أن نص العهد القـديم ذكر « سـوا »(٧٥) ، وليس « سـو » والاسم الشخصى للملك « أوسركون » هو « وسركون » وهذا الأخير لا يمكن اختصاره الى « سـوا » أو حتى « سـوا » وبالتالى فان الاسـماء التى ذكرها العهد القديم واسـتدل بهـا « كتشـن » على أنها اختصـارات مثل « شيشق » ، « شاشانق الأول » و « ترهاقة » (طهرقا) هى بالأحرى نطق مشوه للاسماء المصرية ٠

ثانيـا ــ أنه يتضح من نص العهد القديم ان أنبياء اسرائيل كانوا يدينون ملوكهم لتعاملهم مع نواب ومستشارى الفرعون فى « تانيس » وليس الفرعون ذاته ، بمعنى ان الفرعون نفسـه لم يكن فى تانيس « الذين يَنْزِلُونَ الى مصر ولم يسـألوا فمى ليلتجئوا

الى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر ، فيصير لكم حصن فرعون خجلا والاحتماء بظل مصر خزيا لأن رؤساءه صاروا فى صوعن وبلغ رسله الى حانيس »(٧٦) ، ويقول النص أيضا « ان رؤساء صوعن اغبياء حكماء مشيرى فرعون مشورتهم بهيمية »(٧٧) ، معنى ذلك ان الفرعون لم يكن فى صوعن « تانيس » وانما ولاته ومستشاروه ٠

ثالثا ـ أنه باستبعاد تأثير حجم مساحة مملكتى الشرق والغرب حيث ان كبر المساحة ليس دليلا على القوة فان مسألة بعد أو قرب أى من المملكتين من فلسطين ليس مبررا كافيا حيث أن مملكة الغرب كانت تشرف بساحلها الشمالى على البحر المتوسط مما هيأ لها فرصة التمتع بحركة تجارية نشطة ، يمكن من خلالها الاتصال بفلسطين بشكل أقل صعوبة عن الطريق الصحراوى الوعر بين مصر وفلسطين(٧٨) ، بالاضافة الى انه يوجد ما يؤكد امتداد سيادة مملكة الغرب وملكها « تف ـ نخت » الى شرق الدلتا(٧٩) ٠

رابعا ـ ان مسألة وجود علاقات ودية بين الأسرة الثانية والعشرين وفلسطين بدليل العثور على خراطيش باسم الملك « وسركون الثانى » فى فلسطين مثلما ذكر « كتشن » نفسه(٨٠) ، فان هذا دليل يقف أمام ما ذهب اليه حيث انه اذا كان المقصود « وسركون الرابع » كان لابد أن يذكر الاسم صريحا لمعرفتهم اياه من خلال سميه السابق « وسركون الثانى » فان لم يكن كذلك فان معنى ذلك ان « هوشع » لم يكن يعلم بتلك العلاقات السابقة وهذا غير معقول منطقيا ٠

خامسا ـ ان كتشن نفسه ذكر ان « وسركون الرابع » كان ملكا ضعيفا لا يملك القوة التى تمكنه من مساعدة ملك

اسرائيل(٨١) ، فعلى اي شيء كان « هوشع » يقصده طلبا للعون والنجدة ؟ فان كان ما ذهب اليه كتشن فى هذه النقطة صحيحا فان معنى هذا ان هوشع لم يكن يعلم عن أحوال مصر المنهارة فى تلك الفترة شيئا وهذا غير معقول منطقيا .

وعلى ذلك يميل الباحث الى الرأى الذى اقترحه من قبل « جويدكة » و « البرايت » وهو ان الملك المقصود والذى لم يذكر اسمه هو «تف نخت» على أساس ان « سوا » ليس اسم شخص ولكنه اسم « ساو » (سايس) عاصمة « تف نخت »(٨٢) ، والذى رفضه « كتشن » من قبل(٨٣) .

أما معادلة « سوا » مع « ساو » (سايس) لغويا فان هذا الاسم المصرى « ساو » كان ينطق فى النصوص الآشورية « سايا » «SaJa» ,Sa — a a (٨٤) ، وهو اقرب لنطق « سوا » العبرية أو أن الشكل الاغريقى لاسم « سايس » TWS « سو » يعد أقرب للشكل الآشورى لنفس الاسم(٨٥) ، مع ملاحظة أن « كتشن » استخدم دائما « سو » وليس « سوا » وعلى ذلك يمكن أن نقرر بشيء من الاطمئنان ان « سوا » هى « ساو » التى نطقها الكتبة العبرانيون بشكل مشوه « سوا » كما ذكروا « شيشق » (شاشانق) ، و « ترهاقه » (طهراقا) وبالتالى يمكن قراءة نص العهد القديم دون تعديل « فارسل رسلا الى « سوا » (ساو) ملك مصر حيث تظهر « ساو » (سايس) من خلال الاضافة على سبيل الملكية مختلفة بذلك عن اللغات الأوربية فى ترجمتها الحديثة(٨٦) ، واما أن يقرأ النص« فارسل رسلا الى سوا (حيث) ملك مصر » وذلك بالقياس لنص آخر يقول « وارسل حزقيا ملك يهوذا الى ملك آشور الى لخيش »(٨٧) فحرف الجر الأخير يعنى مجازا (الذى فى) ودائما

يكون الغرض من هذا الإسلوب التخصيص والتحديد بالانتقال من ذكر المكان بصفة عامة ، ثم اسم الشخص المقصود من الرواية والمتعلق بالمكان ذاته(٨٨) ، خاصة وأن مصر كان يحكمها أكثر من ملك فى ذلك الوقت فأراد الكاتب العبرانى أن يخصص الملك المقصود هنا هو « تف نخت » حيث أنها تؤكد أن هذا الملك قد يقصد ، ولكن تحديد المكان يعرفنا يقينا اسم الشخص المقصود ٠

كما أن الأسس التاريخية والسياسية تدل على أن الملك المقصود هنا هو « تف نخت » حيث انها تؤكد ان هذا الملك قد امتد بسيادته الى شرق الدلتا والتخوم العربية ، ورغم عدم وجود نصوص صريحة تفصح عن ذلك ، الا أن هناك تلميحات من خلال بعض النصوص اليونانية والمصرية ، وبعض الآثار يمكن أن نستخلص منها صحة امتداد سيادة « تف ـ نخت » الى شرق الدلتا ، فقد ورد فى كتاب « ديودور » ٠

« ٠٠٠ عندما كان تنيفاختوس (تف نخت) أبو بوخوريس الحكيم ، ملكا ، بعد ذلك (بعد مينا) بأجيال عديدة وبينما هو فى حملة فى بلاد العرب أعوزته الأقوات والامدادات لأن البلد كان صحراويا وخشنا قاسيا وقيل لنا أنه اضطر الى السير يوما واحدا دون زاد وأن يعيش على قوت غاية فى البساطة فى موطن البدو وانه تمتع بالتجربة للغاية فأنكر الترف ولعن الملك مينا الذى كان أول من علم الناس حياة البذخ واستاء كثيرا من التغيير الذى دخل على عادات الناس فى الطعام والشراب والنوم لدرجة انه نقش لعنته بالهيروغليفية فى معبد زيوس (آمون) بطيبة ٠٠٠ »(٨٩) ٠

واذا كان يويوت قد اعتمد على هذا النص لتأكيد امتداد سيادة « تف نخت » الى شرق الدلتا الا أنه فى نفس الوقت يعترض على نقش هذا النص فى معبد آمون بطيبة(٩٠) ، وهذه حقيقة

لأمراء فيها ، حيث أن « تف نخت » لم يقدر له أن يحتل طيبة ولكن اذا تتبعنا نص « ديودور » بعد ذلك نعرف انه ليس المقصود « بطيبة » هنا « طيبة الجنوبية » حيث كان هناك مدينة أخرى فى الشمال تحمل نفس الاسم (واست ـ صحيت) أى « طيبة الشمالية » (ديوسبوليس) (مدينة الاله) وكان بها معبد للاله آمون(٩١) ، وهى التى يقصدها « ديودور » فى النص السابق ويؤيد ذلك أنه عندما تحدث عن طيبة الجنوبية ذكر تاريخها ومؤسسها وابنيتها وآثارها وهو ما لم يشر اليه فى النص الذى نحن بصدده ، ثم ميزها باسم « ديوسبلوليس ماجنا » أى طيبة العظمى(٩٢) .

ويرجح صحة قيام « تف نخت » بحملة الى فلسطين لمعاونة « هوشع » انه فى عام ٧٢١/٧٢٠ ق٠م عندما اتجه « سرجون الثانى » الى غزة وجد المصريين والبدو فى قتال فيما بين العريش والقنطرة(٩٣) ، فمن المحتمل جدا ان « تف نخت » عندما قام بالزحف شرقا لتقديم معونته الى « هوشع » ضل الطريق فى الصحراء ، فاصطدم ببدوها ، خاصة وان « يويوت » اكد ان الدلالة الجغرافية لبلاد العرب (التيه والنقب) جنوب فلسطين(٩٤) وهكذا يؤكد ضمنا صحة رواية « ديودور » وبالتالى امتداد سيادة « تف نخت » الى شرق الدلتا .

بالاضافة الى ذلك ، فقد جاء فى نص لوحة « ميخائيليدس »(٩٥) ، أن « تف نخت » كرس حقلا من عشرة أرورات لصالح الهة « ب » (بوتو) من أرض « تاشنوت أنب حج » فاسم هذه المدينة لايمكن ان يكون بغرب الدلتا فى شرقها وان كان موقعها المحدد لايزال محل تخمين الا أن أقرب الاحتمالات انها تابعة لاقليم « بر ـ سبد » (صفط الحنة) وذلك من خلال لوحة

عثر عليها « بالعوسجة » بالقرب من الصــوالح على بعد ٢٠ كم شرق الزقــازيق ، وجد بها اسم « تاشنوت أنب حج »(٩٦) ٠

وجد « مونتيه » قطعــة صغيرة من بقايا أنقاض « صــان الحجر » (تانيس) وهى على ما يبدو كسرة من حجر جيرى كبير ، ووجد على هذه الكسرة الحروف الأخيرة من اسم « تاك ــ ن ــ رن ــ ف » خليفــــة « تف نخت » وهى rn.f داخــــل بقايــا « خرطوش » فوجود هــذا الأثر فى « تانيس » يشــير بشــكل قوى الى امتداد ســيادة أسرة « تف نخت » على الدلتــا كلهــا فضلا عن السيادة المؤكدة على « منف »(٩٧) ٠

وبتأكيد سيادة « تف ــ نخت » الى شرق الدلتا تسقط قرينة قوية اعتمد عليهــا « كتشن » كثــيرا فى ترجيــح كفة « وسركون الرابع » وهى القرب من فلسطين ٠ وعلى ذلك فان الخيط المشترك بين رواية العهد القديم ورواية « ديودور » وتلميحــات النصــوص الآشورية تجعل « تف نخت » الملك غير المســمى فى نص العهــد القديم والذى أشــار الى عاصمة ملكه فقط ، على أنه الملك المصرى الذى طلب منه « هوشع » ملك اسرائيل المساعدة ٠

« هـ » سناحريب وفلسطين ، وموقف مصر :

رغم متاعب مصر الداخلية فى تلك الفترة (الانقســام الداخلى وسوء الأحوال الاقتصــادية ، والاجتماعية) لم يكن فى وسعها أن تظل منعزلة طويلا عما يجرى فى الشام الذى قلب فيه الآشــوريون موازين القوى رأســا على عقب ، فعملت على مســاعدة ممالكهــا الثائرة ، لا حبا فيهــا ، ولكن لاتخاذها مواقع أمامية لوقف التوسع الآشــورى فما أن انتهى عهد « سرجون » ، الثانى حتى انفجرت الثورة فى بلاد الشــام ، وامتنعت ممالك « عسقلان » و « عقرون »

و « لاخيش » و « لبنة » و « صور » و « صيدا » عن دفع الجزية لآشور كما تحالف « مردوخ بلادان » ملك « بابل » مع « حزقيال » ملك « يهوذا » الذى كان يأمل فى أن تستعيد مملكته وضعها المؤثر كما كانت أيام « عزريا » ، فحاول أن يمد سيطرته على المقاطعات الآشورية ، فتطلع الى عون مصر وطلب منها التدخل فى شئون فلسطين لتدعيم الثائرين على النير الآشورى(٩٨) ، فانتهزت مصر الفرصة وحاولت استعادة نفوذها فى فلسطين ومن ثم تجددت العداوة الكامنة بين القوتين (مصر وآشور) فى عهد الملك « سناحريب » .

أدرك « حزقيال » ان ما يقوم به ضد آشور هو بمثابة مغامرة لذا فقد شهد بنفسه استعدادات الصراع القادم فكان مشروعه الشهير « نفق سيلوام » فى أورشليم والذى حفر ليحمل المياه من نبع « جيحون » الى أسوار المدينة(٩٩) ، وقد قويت أسوار أورشليم بسرعة باستخدام أحجار من المبانى القريبة منها(١٠٠) ، وقد دلت المخازن التى بناها على قوة حصونه(١٠١) ، كما أنه زاد من نظام التجنيد الاجبارى وجمع الضرائب ، ومد حدود مملكة « يهوذا » الى المدن الفلسطينية كما زاد من ضغطه على المدن التى رفضت الاشتراك فى الثورة ، خاصة « غزة » ومن المحتمل انه مد سيطرته فى غرب « النقب » والوصول الى « جيرار » نبع من عدائه لمدينة « غزة » كما ان حملته على جبل سعير كانت من أجل فرض سيطرة « يهوذا » على « أدوم » فى ذلك الوقت(١٠٢) .

بدأ الجيش الآشورى فى غزو فلسطين فى عام ٧٠١ ق.م بعد أن قضى سناجريب على الثورات فى آشور وقد ذكرت تفصيلات هذه الحملة كل من الحوليات الآشورية والعهد القديم .

أما حوليات « سناحريب » فقد ذكرت أن الجيش الآشــورى سار جنوبا على طول الســاحل الفينيقى ودونت سلسلة من المدن تمتد من « صيدا » حتى « عكا » وهى « بيت زايت » و « رربات » (زرباتو) وماعلاب (ماخليبا) و « أوشــو » و « اكزيب » وعند « عكا » أشــار « سناحريب » الى الجزيــة التى دفعهــا الملوك الأموريون كدليــل على خضــوعهم وهى حــكام « صــيدا » و « أرواد » ، و « جبيل » و « أشدود » و « عمون » و « مؤاب » و « أدوم » وأسر « صدقيا » ملك « عســقلان » المتمرد ونفاه الى آشور ، ثم ذكر « سناحريب » بعد ذلك غزوة « لبيت داجون » و « يافا » و « بن ــ باراك » و « أزرو » وهى مدن تنتمى لملك « عسقلان » « صدقيا » ثم تحدث عن أهل « عقرون » الذين خلعوا ملكهم « بادى » صنيعة الآشــوريين وأرسلوه الى « حزقيــال » ، وبعد الاستيلاء على « عقرون » أمربقتل الموظفين والنبــلاء الذين اشتركوا فى خلع ملكهم وتعليق جثثهم على الأعمــدة حول مدينتهم واكتفى باعتبــار المواطنين العاديين المتهمين تمشايعــة الثوار الكبار أسرى حــرب ، ولم يلتفت للجمــاهير لم يثبت عليهــا ســوء السلوك(١٠٣) ، ومن « يافا » اســتمر الجيش الآشــورى جنوبا فى تحرك مباشر ضــد الجيش المصرى الذى أتى لمســاندة الثائرين وقد حقق الآشــوريون النصر عليهم فى التكة ، ويشير « سناحريب » الى منافسيه بانهم ملوك مصر ، أى حكام المدن وربما كانوا من أمراء الدلتا وكذلك النبالة وفرســان الفرعون النوبى ومن الواضــح هنــا أن اشــارة العهــد القــديم عن تدخــل «طهرقــا » ضــد « سناحريب » خطــأ حيث ان « شبتاكا » كان مايزال ملكا فى عام ٧٠١ ق٠م ولم يخلفــه « طهرقا » الا فى عام ٦٨٩ ق٠م(١٠٤) ، وبعد أن استبعدت القوة المصرية اســتولى « سناحريب » عــلى

« التكة » و « تمنة » و « عقرون » وعاقب المدينـة الأخيرة على تمردها كمـا سبق ان ذكرنا ثم تحول جزء من الحملة الآشـورية الى مملكة « يهوذا »(١٠٥) ٠

« أما بالنسبة « لحزقيـال » فانه لم يخضـع لسـطوتى ، فحاصرت سـتا وأربعين من حصـونه القوية وأعدادا لا حصر لها من المدن الصغيرة وحاصرت وغزوت منشـآت كثيرة مستخدما آلات الحصـار مع مسـاعدة القوة الهجوميـة وذلك باحـداث شروخ فى الأسـوار مستخدما مجـانيق الحرب ونفيت منهم الكثير وأخـذت ١٥٠ ــ ٢٠٠ شخص (أسير) صغير وكبير رجل وامرأة وخيل وبغال وحمير وجمال وحيوانات فى أعدادا لا حصر لها ، وسجنته هو نفسـه فى أورشليم فاصبح كطائر فى القفص »(١٠٦) ٠

معنى ذلك أن « سناحريب » قد اسـتولى على المدن اليهودية التى غزاهـا ، بالاضـافة الى ملوك « أشـدود » و « عقرون » و « عزة » ورغم أن « حزقيال » لم يستسلم الا انه دفع جزيـة كبيرة للملك الآشـورى ، بلغت ٢٠ وزنة من الذهب و ٨٠٠ وزنة من الفضـــة وأشـــياء ثمينـــة أخرى(١٠٧) ، وواضـــح ان « سناحريب » لم يشير الى تدمير « لاخيش » ٠

أما رواية العهد القديم بخصـوص هذه الحملة(١٠٨) ، فانها لم تعطنـا قائمـة مفصلة عن غزو هذه المدن (اليهودية) ولكنهـا ذكرت اشارات عامـة عن المدن التى غزاها « سناحريب » ، فقد صعد على كل المدن الحصينة وأخذها(١٠٩) ٠

ومن المحتمل أن نواح « ميخـا » على تدمير مدن « شفالا » وهى « جت » (تل الشـيفى ؟) و « بيت عفرة » (اتيبـــة)

و « شافير » (حنان) و « تيت هأصيل » و « ماروث » (ولم نتعرف على هذه الأماكن الأربعة الأخيرة) و « لاخيش » و « مورشة » (تل الجديدة) و « اكزيب » (تل البيده ؟) و « مريشة » و « عدلام »(١١٠) ، يرجع لحملة سناحريب وان كان تدمير مريشة يرجع للحملة الثانية ويذكر اشعياء ان فرقة آشورية أخرى سارت ضد أورشليم عن طريق اقليم السامرية واحتلت سلسلة من المدن خلال مرورها فى اقليم « بنيامين » وقد بدأ هجوم هذه الفرقة من الجانب الشرقى مستخدمة الطرق الرئيسية فى المنطقة الجبلية ، وكان الهجوم الأول على « عياث » (خربة خيران) و « مخماش » ثم عبرت القوة بعد ذلك « وادى سوينيت » ووصلت « جبع » ومن هنا استدارت الى « الرامة » ومنها تابعت السير نهاية « جبعة شاول » (تل الفول) ثم ذكر بعد ذلك العديد من المدن شمال وشمال شرق أورشليم مثل « جليم » و « ليشة » و « مدمنة » و « جبيم » ولم يتم التعرف على هذه الأماكن وأمكن التعرف على « عنائوت » (رأس الخروبة) بجوار « عنات » و «نوب » (عشوبة ؟)(١١١) ، (انظر الخريطة رقم ٣) ويمكن ان نقبل العدد الذى ذكره « سناحريب » وهو استيلاؤه على ست وأربعين مدينة والتى تشمل بدون شك معظم مدن « شفالا » و « يهوذا » بالاضافة الى بعض المدن فى المناطق الجبلية فى « تنامين » ولكنه (أى سناحريب) لم يغز « أورشليم » نفسها حيث اقتنع بالجزية التى حصل عليها وعاد الى آشور ، وان كان لعودته المفاجئة أسباب أخرى ، ربما ترجع لاضطراب أحوال آشور الداخلية واثارة المتاعب من جانب دولتى « بابل » و « عيلام » .

وكما هى العادة فقد اختلفت الروايات حول نهاية حملة « سناحريب » مما يجعلنا نعتقد بوجود أكثر من حملة ، فادعت

النصوص الآشورية الانتصار المؤزر على « أورشليم » وحلفائها ، وروت أن « حزقيال » اضطر تحت وطأة الحصار وما أصاب النجدة المصرية وانفضاض اتباعه من حوله الى دفع الجزية مضاعفة الى « نينوى » ومعها وفد من بناته وحظاياه وموسيقية(١١٢) ٠

أما نصوص العهد القديم فتروى أن الجيش الآشورى حل به الموت الالهى حيث حام ملك « يهوه » فوقه ليلا « وفى بكرة الصباح أصبحوا جثثا هامدة فارتد الملك الآشورى مدحورا بخذى الوجه الى أرضه بعد أن أصبح جيشه كالعاصفة فى مهب الريح »(١١٣)٠

أما « هيرودوت » فقد أرجع هزيمة الجيش الآشورى الى قوة الاله المصرى « بتاح » حيث روى ان كاهن « هيفايستوس » (بتاح) ويسمى « سيتوس »(١١٤) ، وقد أحزنه الأمر ، فاعتمد على عون ربه أكثر مما اعتمد على مجهود الجنود ، وعشية المعركة انقضت الفئران ليلا على الأعداء كالسيل الجارف وقرضت جعبهم وأقواسهم وحمائل دروعهم فكانت النتيجة انهم ولوا الأدبار وسقط منهم الكثيرون(١١٥) ، ثم ذهب رأى آخر للتوفيق بين قصتى العهد القديم « وهيردوت » بأن الجرذان فشت وباء الطاعون بين الآشوريين فأهلك خلقا كثيرا واوهن الباقين فانسحبوا(١١٦) ٠

أن اختلاف الروايات حول نهاية حملة « سناحريب » كما سبق أن ذكرنا يجعلنا نعتقد بوجود أكثر من حملة كما يرى جمهرة المؤرخين(١١٧) ، وذلك لما يلى :

أن نصوص العهد القديم فى الملوك الثانى ١٨ : ١٣ واشعياء ٣٦ : ١ تتفق مع ما ذكرته حوليات « سناحريب » عن المدن اليهودية التى احتلها والجزية التى دفعها « حزقيال » نتيجة حصار ، أورشليم ولكن كلا المصدرين لم يذكرا احتلالها ٠

ورغم اتفاق المصدرين حول تلك الأحداث السابقة فانهما اختلفا حول وجود « سناحريب » فى « لاخيش » فتؤكد نصوص العهد القديم على وجوده فى « لاخيش » أثناء حصار « أورشليم » حيث تذكر أن الرسل الذين أرسلهم « سناحريب » جاءوا من « لاخيش » ورد « حزقيال » بارسال رسله من « يهوذا » الى « لاخيش »(١١٨) ٠

وان كانت حوليات « سناحريب » لم تذكر حضوره الى « لاخيش » فمن المحتمل جدا ان الملك الآشورى لم يدمر « لاخيش » فى هذه الحملة حيث أن تدميرها ومحاولة الوصول الى الحدود المصرية كان بعد ذلك بحوالى أحد عشر عاما(١١٩) ، معنى ذلك أن « سناحريب » فى حملته الأولى انشغل بمحاربة القوات المصرية فى « التكة » وكان قد أرسل مندوبيه لتنفيذ وعد « حزقيال » بدفع الجزية ولكن يبدو أن هذا الوعد كان للمماطلة وكسب الوقت حتى يصل الجيش المصرى الذى كان « حزقيال » يعلم بتحركه من مصر وما أن علم بوصوله ودخوله فى حرب مع « سناحريب » حتى سحب وعده فعاد « ربشاقى » دون أن يحقق شيئا فوجد « سناحريب » فى حرب مع لبنة والقوات المصرية(١٢٠)، الا أن هذه القوات قد خيبت ظن « حزقيال » حيث أنها لم تكن على مستوى الجيوش القوية وربما كانت هى القوة التى أشار اليها « هيرودوت » والتى اعتمدت على عون الاله المصرى « بتاح » أكثر من اعتمادها على العتاد والعدد فكان أمرا طبيعيا أن ينتصر « سناحريب » بقواته الكثيفة ومعداته الحديثة ، وهنا أرسل الى « حزقيال » يعنفه « والآن على من اتكلت حتى عصيت على ، فالآن هو ذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة على مصر التى اذا توكأ أحد عليها دخلت فى كفه وثقبتها »(١٢١) ، فآثر « حزقيال » دفع

الجزية مضاعفة للملك « سناحريب » كما سبق أن ذكرنا ونظرا لاضطراب أحوال آشور الداخلية واثارة المتاعب من جانب دولتى « بابل » و « عيلام »(١٢٢) ، عاد « سناحريب » الى آشور ٠

ومما يدل على وجود حملتين أيضا ذكر « طهراقا » ملك كوش على أنه كان قائد القوات المصرية ضد « سناحريب » والمعروف ان « طهراقا » لم يرتق العرش الا فى عام ٦٩٠ ق٠م ، ولو سلمنا بما ذكره « كتشن » بأن شبتاكا قد استقدمه الى مصر عام ٧٠١ ق٠م وكلفه بقيادة الجيش الذى ذهب الى فلسطين(١٢٣) ، ما ذكر نص العهد القديم بانه ملك كوش ، ولكن من المحتمل جدا ان « طهراقا » كان قائد القوات المصرية أثناء حملة « سناحريب » الثانية على فلسطين ، علاوة على ذلك فان نص العهد القديم ذكر انه بعد خروج ملاك الرب على الآشوريين ، ضرب من جيشهم مائة ألف وخمسة وثمانين ألفا ، فانصرف « سناحريب » ورحل الى « نينوى » حيث اغتيل(١٢٤) ٠

واذا علمنا ان « سناحريب » قد اغتيل فى عام ٦٨١ ق٠م(١٢٥) ندرك ان انقاذ أورشليم الأسطورى كان فى الحملة الثانية التى لم يسجلها « سناحريب » فى حولياته اما لهزيمته فيها واما أن الوقت لم يمهله ليفعل ذلك ، حيث انه قتل بعد عودته من فلسطين ، كما انه ليس من المعقول منطقيا أن يقضى « سناحريب » فترة حكمه كاملة فى بلاد الشام محاولا اخضاعها تاركا امور دولته حيث أن بداية تدخله فى فلسطين كان فى عام ٧٠١ ق٠م واغتياله فى عام ٦٨١ ق٠م كما سبق ان ذكرنا ٠

وعلى ذلك يمكن القول أن « سناحريب » قام بحملتين على فلسطين استولى فى الأولى على العديد من مدن فلسطين واستعصت

عليه أورشليم فقنع منهـا بدفع الجزيـة بعد أن انهزمت القوات المصرية فى التكة وعـاد الى آشـور لاخضاع « بابل » و « عيلام » وأثناء ذلك قامت الثورة فى فلسطين حركها « طهراقا » ملك مصر واشعلها « حزقيال » فسـار « سناحريب » الى فلسـطين مرة ثانية ودمر « لاخيش » وغيرها من مدن فلسطين وفكر فى الزحف على مصر وهنا كان الانقاذ الأسـطورى لمدينة « أورشليم » ومصر أيضا فرجع « سناحريب » الى آشور حيث قتل وتولى ابنه « أسرحدون » (٦٨١ ق٠م)(١٢٦) ٠

مما سبق يتضح لنا ان سياسـة مصر ظلت تعمل على اشعال الثورة فى فلسطين ضـد آشـور فثـلاث مرات اجتاحت الجيوش الآشـورية سـورية وفلسـطين حتى الحدود المصرية (تيجـلات بيليسر الثـالث ـ سرجون الثانى ـ سـناحريب) وثلاث مرات ولأسباب مختلفة (كانت مصر عاملا هاما فى المرات الثلاث) يعودون دون أن يعبروا هذه الحدود ، الا أن النهاية لم تكن بعيدة الوقوع وكان ذلك فى عهد أسرحدون ابن « سناحريب » حيث كانت مصر غير قادرة على مواجهـة الآشوريين الذين بلغوا ما بلغوه من توسـع وعنفوان فى الوقت الذى كان فيه البنيان السـياسى والداخلى لمصر غير سليمفوصـول « طهراقا » الى العرش كان بعد تنافس مرير مع خصـومه مما أضعف قوة مصر العسـكرية ايضـا ، بالاضافة الى نجاح الآشـوريين فى اضعاف حلفاء مصر فى بلاد الشـام فكان على مصر أن تواجه سنة الحيـاة فى شيخوختها الثالثة وبلغ الأمر مداه فجهز الملك الآشـورى « اسرحدون » كل امكانياته لغزو مصر باعتبارها آخر مناطق الشرق القديم بعدا عن نفوذه وأملا فى القضاء على ما بقى لها من قدرة على المنافسة الحربية وطمعـا فى ثرائها وليقطع معونتها عن حلفائهـا فى فلسطين وسـورية وتحقق أمل آشور فى احتلال مصر عام ٦٧١ ق٠م(١٢٧) ٠

هوامش الفصل الرابع

(١) Naville, E, Festival Hall of Osorkon II, London, 1892, PP. 18 — 19.

Kitchen, Third Intermediate, PP. 336 , 476.

(٢) Ibid., PP. 314 — 315.

(٣) Ibid., P. 316.

(٤) Ibid., P. 317.

(٥) Kitchen, Op. Cit., PP. 329 — 330.

(٦) Ibid., PP. 329 — 335.

(٧) Kitchen, Third Intermediate., PP. 128 — 130.

وهناك من ذهب الى أن عاصمة هذه الأسرة ربما كانت « هيرموبولس » (الاشمونيين)

Spencer, J.A., J.E.A., 72, 1986, PP. 198 — 201.

الا أن كتشن أكد رأيه السابق فى أن « ليئتوبولس » هى عاصمة الأسرة الثالثة والعشرين .

Kitchen, Op. Cit., PP. 579 — 580.

Gardiner, A.E.O., 2, PP. 147, 171, 186.

(٨) Kitchen, Op. Cit., P. 336.

(٩) Ibid., PP. 337 — 343.

(١٠) B.A.R., IV, §§ 796 — 883.

(١١) Montet, P. Géographie de L'Egypte àncienne, 1, Paris, 1957, PP. 206 — 208.

(١٢) Gardiner, A.E.O., 2, P. 151*

(١٣) Gardiner, A.E.O., 1, PP. 180. 195, 197.

(١٤) Gardiner, Op. Cit., PP. 176 ; 180.
Kitchen, Third Intermediate., PP. 357 — 362.

(١٥) Yoyotte, J., «Notes et documents pour Sercir à L'Histoire de Tanis», Kêmi, 21, 1971, PP. 35 — 52.

(١٦) دار جدل طويل حول أصل هذه الأسرة فيذهب فريق الى انهـا من أصل مصرى ، ويرى فريق آخر أنها من أصـل ليبى ، وفريق ثالث يرى أنهـا من أصل محلى ، عن هذه الآراء انظر : محمد ابراهيم بكر : تاريخ السـودان القديم ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٩٠ — ١٠٠ .

(١٧) نفس المرجع ، ص ١١٣ .

(١٨) نفس المرجع ، ص ١١٢

(١٩) لوح الملك « باى » هو لوح حجرى ضخم (١٫٨ × ١٫٨٤ متر) عثر عليـه عـام ١٨٦٢ فى معبد آمون بجبل برتل ونقل الى متحف القـاهرة تحت رقم ٤٨٨٦٢ ، والصقت به أربع قطع صغيرة وجدت مكسرة مع اللوح الذى أمر الملك باقامته فى رحاب معبد آمون فى عـام حكمه الحادى والعشرين تخليدا لعمله التاريخى وفى قمـة اللوح المتوج بقرص الشمس المجنح صـورة الملك « باى » واقفا أمام الاله آمون الجـالس على عرشـه ومن خلف زوجته تقف المعبودة « نيت » ربه السـماء وعلى اللوح وصف مسهب لسير الوقـائع الحربيـة بالاضافة الى معلومات جغرافيـة عن المناطق المصرية التى قام جيش « باى » بفتحها كما يحتوى اللوح على معلومات قيمة عن معتقدات الأسرة وبعض تقليد ملوكها انظر أخيرا :

Grimal, N. «Lo stêle triomphale de Pi (cnkh) y au Musee de Caire (Je 48862 et 47086 — 47089) , Etudes sure la propaqanderovale Egyptienne» 1, M.I.F.A.O.,, 105, Le Caire 1981.

(٢٠) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٦٧ .

(٢١) نفس المرجع ، ص ٣٧٠ .

وان كنا نرى أن هذا الخضـوع كان زائفا على أساس ان مؤلف النص ذكر ذلك لاظهار انتصـار الملك « باى » ويتضح ذلك من نص اللوحة نفسـه

حيث ذكرت أن الخصمين « باى وتف ـ نخت » لم يتلقيا وجها لوجه طيلة هذا الصراع حيث يقول النص على لسان « تف نخت » :

« ... انني لم أر وجهك من الخجل انني لا أستطيع أن أقف أمام لهيبك ... كلما أدرت وجهك لمدينة فلا تجد الخادم هناك حتى وصلت أنا الى جزر البحر انني حقا رجل تعس ... أرسل الى رسلا بسرعة والذى قد يزيل الخوف من قلبى ... » .

انظر B.A.R., IV, § 880, PP. 441 — 442.

(٢٢) جاردنر : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٠ .

(٢٣) نفس المرجع : ص ٢٩٠ .

(٢٤) Leclant, Op. Cit., P. 14.

(٢٥) انظر الفصل الثالث ، ص ١٣٦ .

(٢٦) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، جـ ١ ؛ الوجيز فى حضارة وادى الرافدين ، ط ٢ بغداد ١٩٨٦ ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، ٥١٠ ـ ٥١١ .

ديلابورت : بلاد ما بين النهرين : الحضارتان البابلية والآشورية ، ترجمة محرم كمال ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٤ .

عامر سلمان : العلاقات السياسية الخارجية ـ حضارة العراق القديم ، جـ ٢ ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٤٢ .

(٢٧) Roux, G., Ancient Iraq, Pelican Books, London, 1964, P. 278, Oppenheim, L., A.N.E.T., P. 283.

(٢٨) طه باقر : المرجع السابق ، ص ٥١١ .

Roux, Op. Cit., PP. 277 — 278

(٢٩) Aharoni, Land of the Bible, P 327.

(٣٠) Luckenbill, A.R.A.B., 1, P. 277; Oppenheim, A.N.E.T. P. 282.

Roux, Op Cit., P. 279.

(٣١) Kraeling, G., Aram and Israel, N.Y., 1918, P. 116.

Keler, IW., The Bible as History, 13th ed., London, 1967, PP. 241 — 242.

Oesterley and Robinson, A History of Israel, PP. 374 — 375.

الملوك الثانى ١٦ : ٥ ـ ٨ ، أخبار الايام الثانى ٢٨ : ١ ـ ١٧ ، اشعيا ٧ : ١ .

(٣٢) Noth, The History of Israel, PP. 259 — 260.

(٣٣) Aharoni, Op. Cit., P. 328.

(٣٤) الملوك الثانى ١٥ : ٢٩ .

(٣٥) Oppenheim, Op. Cit., P. 283.

(٣٦) Kenyon, Archaeology in The Holy Land, PP. 282 — 283.

(٣٧) الملوك الثانى ١٥ : ٣٠ ، ١٧ : ١ ـ ٣ .

(٣٨) اشعيا ٩ : ١ Oesterley and Robinson, Op. Cit., P. 382.

(٣٩) Aharoni, Op. Cit., P. 331.

(٤٠) Noth, Op. Cit., P. 259 — 260; Oppenheim AnN.E.T. P. 283.

(٤١) حزقيال ٤٧ : ١٧ ـ ١٨ .

(٤٢) Oppenheim, Op. Cit., P. 282.

(٤٣) Ibid., P.P. 287 ; 291 ; 294.

(٤٤) Aharoni, Op. Cit., P. 333.

(٤٥) الملوك الثانى ١٧ : ٤ . Roux, Op. Cit., PP. 280 — 281.

(٤٦) Saggs, Op. Cit., PP .110 — 111.

(٤٧) Oppenheim, Op. Cit., P. 285.

(٤٨) Olmstead, A.T., Western Asia in The days of Sargon II, 1909, PP. 45 — 52.

Wright, G.A., «Camaria», B.A., 22, N. 3, 1959, P. 69.

Saggs, Op. Cit., PP. 161 — 162, Kitchen, Op. Cit, PP. 375 — 376.

(٤٩) الملوك الثانى ١٧ : ٤ .

وعن تخمين أصل اسم سبيكه المصرى انظر :
Helen von Zeissl, Aethiopen und Assyren in Aegypten, 1944, PP. 18f.

(٥٠) Oppenheim, A.N.E.T., P. 285.

(٥١) فانديه : مصر ، ص ٥٩٥ .

(٥٢) Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

(٥٣) Yoyotte, Kemi, 21, PP. 43 — 44.

(٥٤) Albright, W.F., «Further Light on Synchronisms between Egypt and Asia in the Period 935 — 685 BC.», B.A.S.O.R., 141, 1956 PP. 24 — 25.
Kitchen, Third Intermediate, PP. 375 — 376.

(٥٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥٢٦ — ٥٢٧ .
Weidner, A.F.O., 14, PP. 40 — 53.

(٥٦) عن ذكر يمانى على انه أيونى انظر :
Luckenbill, Z.A., 28, 1913, P. 92f.

(٥٧) Oppenheim, A.N.E.T., P. 286.

(٥٨) عن الروايتين المتعارضتين انظر :
Oppenheim, Op Cit., PP. 286 — 287.
Luckenbill, A.R.A.B., 2, PP. 2, PP. 30 ; 62 ; 79 ; 193.
Olmstead, Op. Cit., PP. 77 — 79.

(٥٩) Tadmor, BA., 29, 1966, PP. 94 — 95.
Splainger, C.d.E., 53, PP. 33 — 34.

فانديه : مصر ، ص ٥٩٦ .
Kitchen, Third Intermediate, P. 380.

(٦٠) جاردنر : مصر الفراعنه ، ص ٣٧٣ ، الملوك الثانى ١٧ : ١ — ٥ .
Luckenbill, A.R.A.B., 2 § 55.

(٦١) Oppenhiem, A.N.E.T., P. 295.
Petrie, Ahistory of Egypt, 3, PP 282 — 284.

(٦٢) Hall, The Ancient History of The Near East, PP. 471 — 472.

(٦٣) Petrie, Op. Cit., PP. 282 — 284.

(٦٤) Oppenheim, Op. Cit., P. 285; Kitchen, Op. Cit., PP. 272 — 273.

(٦٥) Borger, R. «Das Ende Agyptischen Feldhern Sib'E = 120», J.N.E.S., 19, 1960, PP. 49 — 53.

(٦٦) Peet, Egypt and The Old Testament, P. 172.

Oppenheim, **Op. Cit., P. 295.**

(٦٧) Kitchen, Op. Cit., P. 373.

(٦٨) Hall Op. Cit., PP. 471 — 472.

(٦٩) جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٣٧٣ .

(٧٠) Yeivin, S., V.T., 2, 1952, PP. 164 — 168.

(٧١) Kitchen, Third Intermediate., P. 373.

(٧٢) Ramadan Sayed, V.T., 17, 1967, PP. 116 — 118.

(٧٣) Kitchen, Op. Cit., P. 373.

Ibid., PP. 374 — 375.

Kitchen, «Egypt and Israel during the First Millennium B.C.» V.T., 40, 1988, P. 108.

(٧٥) الملوك الثانى ١٧ : ٤ .

(٧٦) اشعياء ٣ : ٢ — ٤ .

(٧٧) اشعياء ١٩ : ١١ .

(٧٨) عادل مصطفى : دراسة تاريخية وحضارية للأسرة الرابعة والعشرين فى مصر الفرعونية ، ص ٢٦٢ ، ٣٢٣ .

(٧٩) انظر فيما بعد ، ص ١٥٧ .

(٨٠) Kitchen Op. Cit., P .324.

(٨١) Ibid., P. 374.

(٨٢) Albright, W.F., «New light from Egypt on the Chronology and History of Israel and Jud ah,» B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 4 — 11.

Goedicke, H., «The End of (So) King of Egypt» B.A.S.O.R., 171, 1963, PP. 64 — 66.

(٨٣) Kitchen, Op. Cit., P. 373.

(٨٤) تعتبر النصوص الآشـورية هديا للمصادر التاريخية فى استنتاج بعض أسماء الأماكن والشخصيات

Oppenheim, A.N.E.T., 294.

(٨٥) عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٨٦) عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٨٧) الملوك الثانى ١٨ : ١٤ .

(٨٨) عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٨٩) وهيب كامـل : ديودور الصـقلى فى مصر ، القـاهرة ١٩٤٧ ، فقرة ٤٥ .

(٩٠) Yoyotte, Kemi, 21, P. 41.

(٩١) Gardiner, A.E.O., 2, PP. 18, 197.

(٩٢) وهيب كامل : المرجع السابق ، فقرة ٤٥ سطر ٤ ـ .
عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(٩٣) Yoyotte, Op. Cit., P. 42.

(٩٤) Ibid., P. 41 — 42.

(٩٥) نسبة الى مقتنيها ضمن مجموعتـه ولا يعرف المكان الذى جلبت منه ، وهى غير مؤرخة بأى عـام من أعوام « تف ـ نخت » رغم انه حمـل الالقاب الملكيـة عليها .

انظـر : Yoyotte, Op. Cit., PP. 37 — 41.

(٩٦) B.A.R., IV, § 878, n.d.

وكذا : عادل مصطفى : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ .
Yoyotte, Op. Cit., P. 4>.

(٩٧) Yoyotte, Op. Cit., P. 45.

(٩٨) Saggs, H.W.F., The Greatness That Was Babylon, London, 1962, P. 119.

Olmstead ,A.T., Western Asia in the Regin of Sennacherib of Assyria, 1911, P. 96.

Luckenbill, the Annals of Sennacherib, O.I.P., 1924, P. 11.

(٩٩) الملوك الثـــانى ٢٠ : ٢٠ ، أخبـــار الأيام الثـــانى ٣٠ : ٣٠
Aharoni ,Op. Cit., P. 337. ;

(١٠٠) اشعياء ٢٢ : ٨ — ١١ .

(١٠١) أخبار الأيام الثانى ٣٢ : ٢٨ .

(١٠٢) الملوك الثانى ١٨ : ٨ ، أخبار الأيام الأول ٤ : ٤٢ — ٤٣ .
Aharoni, Op. Cit., P. 337.

(١٠٣) Luckenbill, A.R.A.B., 11, P. 233; Oppenheim, Op. Cit., PP. 287 — 288.

(١٠٤) Oppenheim, Op. Cit., P. 287.
Aharoni, Op. Cit., P. 337.

(١٠٥) Peet, Egypt an dthe old Testament, P. 157.
Kitchen, Op. Cit., P. 383.

(١٠٦) Oppenheim, Op. Cit., P. 288.

(١٠٧) Oppenheim, O. Cit., P. 288.

(١٠٨) الملوك الثانى ١٨ : ١٩ ، اشـعياء ٣٦ : ٣٧ ، أخبـار الأيام الثانى ٣٢ : ٩ — ٢١ .

(١٠٩) الملوك الثانى ١٩ : ٨ .

(١١٠) ميخـا ١ : ١ — ١٥ .
Aharoni, Op. Cit., P. 339.

(١١١) اشـعياء ١٠ : ٢٨ — ٣٢ .

(١١٢) Oppenheim, Op. Cit., PP. 281 — 288.

(١١٣) الملوك الثانى ١٩ : ٨ — ٣٥ ، اشعياء ١٧ : ١٣ .

(١١٤) أن « سيتوس » هذا الذى يصفه « هيرودوت » بأنه كان من كهان بتاح والذى يجعله خليفة الملك شباكا ينبغى أن يكون شبتاكا وليس بمستبعد أن يكون لذكرى « ستى الأول » وحروبه فى فلسطين أثر فى هـذا الخلط . هيرودوت يتحدث عن مصر ، ص ٢٧٠ .

(١١٥) هيرودوت يتحدث عن مصر : فصل ١٤١ ، ص ٢٧٠ — ٢٧٢ .

(١١٦) Honor, L.L., Sennacheribs Invasion of Palestine, London, 1926.

(١١٧) Peet, Op. Cit., PP. 157 — 177.

Bright, A History of Israel, PP. 283 — 284.

Leclant, J. and Yoyotte, J. « Notes d'historie et de Civiliisation ethiopiennes», B.I.F.A.O., 51, 1952, PP. 1 — 39.

Albright, B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 8 — 11.

Noth, Op. Cit., PP. 267 — 268.

Aharoni, P.E.Q., 90, 1958, PP. 27 — 31.

Jonson, P., A History of the Jews, P. 73.

(١١٨) الملوك الثانى ١٨ : ١٤ ، ١٧ .

(١١٩) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٥ .

(١٢٠) الملوك الثانى ١٩ : ٨ — ٩ .

(١٢١) الملوك الثانى ١٨ — ٢٠ — ٢١ .

(١٢٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٥٢٩ — ٥٣١ .

(١٢٣) Kitchen, Third Intermediate, P. 383.

(١٢٤) الملوك الثانى ١٩ : ٣٥ — ٣٧ .

(١٢٥) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٥٢٣ .

Bright, Op. Cit., P. 287.

Aharoni, Land o fthe Bible, P. 340.

(١٢٦) عن مناقشة وجود حملة أو أكثر للملك سناحريب انظر :

Childs, B.S., Isaiah and the Assyrian Crisis, London, 1967.

(١٢٧) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٢٩٦ — ٢٩٧ .

Peet, Op. Cit., P. 177.

Spalinger, E.d.E. 53, PP. 41 — 43.

الفصـــل الخـــامس

التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وفلسطين

مقدمـــة :

١ ـ تبادل عبادة الآلهـة بين مصر وفلسطين ٠

٢ ـ الفـكر الدينى ٠

(أ) أنشودة اخناتون والمزمور ١٠٤ ٠

(ب) السـحر ٠

٣ ـ الأدب ٠

(أ) الشـعر ٠

(ب) الحكمـة ٠

٤ ـ العمـارة ٠

(أ) المعـابد ٠

(ب) الأعمـدة ٠

٥ ـ الفن ـ النحت والتصوير والفنون الأخرى ٠

مقدمـــة :

توضح الدراسة الدقيقة لتاريخ منطقة الشرق الأدنى ، أن التفاعل كان مستمرا بين الحضـارات المختلفة التى نشأت وتطورت فيها ، حتى أصبحت تلك المنطقة تشكل نمطا حضـاريا متشابها فى خطوطه وعناصره الرئيسية ، فلا يمكن تناول الحضـارات التى نشأت فى فلسـطين بشـكل مستقل عن التأثيرات الأجنبيـة التى أحدثتها الحضـارات المجـاورة الأخرى ، فقد كانت الحضـارات الكاملة لفلسـطين طوال فتراتها معرضـة لتأثيرات قوية من مصر والعراق وآسيا الصغرى ، حيث سكن فلسطين قبل الاسـتقرار الاسرائيلى ، الكنعانيون الذين اجتازوا مرحلة من النمو والتحضر بلغ أكثر من ألف سـنة حينما نزل العبرانيون بالبـلاد ومن بعدهم البلست ، حيث كان هـذا الاقليم واقعـا تحت تأثير الحضـارة المصرية منذ زمن بعيد ، واستمر هذا التأثير والسـيادة المصريـة على فلسطين بعد دخول العبرانيين والبلست اليها فترة طويلة من الزمن ، ولم تنته المحـاولات المصرية لاستعادة سيادتها على فلسطين حتى قرب أواخر العصـور الفرعونيـة ويتضح ذلك من حمـلات « سيأمون » و « شاشانق الأول » ، أما « نخـاو الثانى » فقد أصبحت فلسطين فى عهده تدار كاقليم مصرى(١) ٠

وسـوف يتنـاول هذا الفصـل التأثيرات المتبادلة بين مصر وفلسطين فى المجالات الآتية :

تبادل عبادة الآلهة بين مصر وفلسطين •

الفكر فى الدين والأدب •

الفن فى النحت والنقش والفنون الصغرى •

العمـــارة فى المعابد •

١ ـ تبادل عبادة الآلهة بين مصر وفلسطين

أقام فراعنة مصر فى عصر الدولة الحديثة ، امبراطوريـة فى آسيا وصلت حدودها فى وقت ما الى ضفاف الفرات ، وكان من نتائج ذلك أن أخذت ثقافة مصر وآدابها وفنونها ودياناتها تنتشر بين تلك الشـعوب أكثر من أى وقت مضى ، كمـا عرفت مصر الشىء الكثير عن ثقافات وفنون وديانات تلك الشعوب ، فرحبت باقامة المعابد لآلهتها فى مصر ليتمكن من عبادتهـا من شـاء من بنيهـا المقيمين فيها ، فقد عثر فى « تل بسطة » على قاعات كبيرة مربعـة الشـكل تقريبا ، أرضيتها مرصـوفة بقوالب من الحجم الكبـير وبانتظام ، تفصلهـا عن بعضها البعض جدران ، وفى داخل بعض هذه القاعات أفران مستديرة تحميها ، وتبعد الدخان جدران ثعبانية الشكل ملتوية غير سميكة من الطين ، وهى فى اتجـاه شرق/غرب وكأنها مصـدات للريح ، وقد اتخذت هذا الشكل لتصمد فى مكانها مدة طويلة ، ومن النظرة المبدئية يمكن أن نقول أن هذه الأفران قد أقيمت فى هـذا المكان أو هذه الطبقـة بعد أن هجرت فى بدايـة الدولة الحديثـة ، وأنه ربما كان يماثل ما عثر عليه من معابد كنعانية فى « تل الضبعة » القريبـة من « تل بسطة » والتى ترجع لعهد الهكسوس ، مع التحفظ لحين الانتهاء من الدراسـة الشاملة بعد اتمام عملية الحفر(٢) ورغم عدم التأكد من أن هذه القاعات

كانت معابد أم لا ، فهناك اشـارة للعثور على معابد كنعانيـة من عصر الهكسـوس فى « تل الضبعة » وهذا فى حد ذاته يدل على سماح مصر للكنعانيين ببناء معابد لهم فى أرضها ٠

علاوة على اقامة معـابد فلسطينية فى مصر فقد أدمجت بعض آلهـة فلسطين بالآلهة المصرية التى تشبهها فى طبيعتها ، وعلى ذلك، ارتبطت « عشتارت » (التى عبدها شعب البلست مع الكنعانيين كما عبدها العبرانيون)(٣) بالهة الحرب المصرية « سخمت » قدمت عشتارت الى مصر خلال الأسرة الثامنة عشرة وأصبحت زوجة للاله « ست » وقد صـورها المصريون على هيئة امرأة برأس لبؤة يعلوه قرص الشمس (وهى فى هذا تشبه الاله سخمت) وتقف فوق عربة حربتـه يجرها اربعة جياد (وهى عـادة مصرية) ومن القابهـا سيدة السماء وسيدةالخيل والعربات(٤) وعلى ذلك كان أمرا طبيعيا ان نجد الموظفين والتجـار والجنود المصريين فى المدن الفلسطينية يتقربون من هذه الآلهـة بنفس الثقة التى يولونها لالهتهم المحلية « سخمت » ، ففى عهد « أمنحتب الثالث » كرسـت سيدة مصرية لوحة للالهة « عشتارت » فى معبد « بيت شان »(٥) ٠

كما ارتبطت الآلهـة « قادش » و « بحتور » ، حيث تميزتا بالسماحة ، « وقادش » مثل « حتحور » دعيت عين الشمس أو ابنة للاله « رع » وحين تقف على الأسـود ، وتمسك فى الوقت نفسه زهورا وأفـاعى فان معنى ذلك انها تعمل للحماية من هذه الحيوانات الشريرة ، كمـا ارتبط الاله « رشف » بالاله المصرى « سوتخ » (ست) و « رشف » اله محـارب مسلح بحربة ودرع ، ويلبس تاجا لمصر العليـا ، الا أن مظهـره الخـارجى يـدل على أصـله الأجنبى ، فبه تعلق شرائط على النقبـة ، وشريط آخر طويل يتدلى من تاجه الذى يميزه من الأمام قرنان(٦) ٠ وقد عبد الاله

« بعل » فى مصر ، وهو كائن مخيف يقرن بالاله « ست » وهو اله العواصف والزوابع ، وهو العنصر المذكر فى مجموعة الهة الدورة النباتية عند الكنعانيين ، وترتبط به فى هذه المجموعة الهتان من الهة الخصب هما « عنات » و « عشتارت » وتكتمل مجموعة الهة الخصب بالاله الشاب « أدونيس » وهذا الاسم مشتق من كلمة سامية معناها سيد(٧) .

وكما كان فى كنعان أكثر من « بعل » فكذلك عبد فى مصر أكثر من « بعل » من هنا نجد « بعل قادش » و « بعل زيفون » وقد عبدت قبائل « البلست » هذا الأخير مع « داجون » الكنعانى(٨) .

وارتبط الاله « حورون » بالاله المصرى « حور أم أختى » حيث يذكر نقش اغريقى أن « حورون » هو اله بلدة « يمينا » فى فلسطين ، وتقع الآن غرب بيت المقدس وقرب منطقة تسمى « بيت حورون » (الخليل) ويعزز هذا الرأى أنه يوجد فى بلاد العرب وفلسطين عدة أماكن ركبت أسماؤها مع « حورون » مثل « وادى حوران » فى صحراء الشام ، و « وادى حوران » فى « نجد » وقد عثر على قطع خزفية زرقاء بمتحف « بروكلين » تشير الى أن من ألقاب الملك « أمنحتب الثانى » انه « محبوب حورون » ونفس اللقب وجد على باب الملك « توت عنخ آمون » ، ومن بين اللوحات الكثيرة التى وجدت فى حفائر أبو الهول وجد لوحة عليها اسم « حورون » ، ومن نصوص تلك اللوحات ما يثبت بالدليل القاطع أن « حورون » اله يساوى « حور أم أختى » ، وفى « تانيس » كان « رمسيس الثانى » يسمى « محبوب حورون » وقد مثل فى تانيس فى صورة صقر(٩) معنى ذلك أن « حورون » اله فلسطينى عبده المصريون على انه « حور أم أختى » .

ومن الآلهة الفلسطينية التى عبدت فى مصر ، الاله « سوبد »، وقد استقر هذا الاله فى شرق الدلتا كمعبود للاقليم العشرين (المقاطعة العربية) أما مركز عبادته الرئيسى فكان فى مدينة « بر – سوبد » وهى « صفط الحنة » الحالية شرق مدينة الزقازيق ، ثم انتشرت عبادته فى سيناء والصحراء الشرقية وعلى ساحل البحر الأحمر حتى القصير جنوبا ، وقد اعتبره المصريون من آلهة الحرب وحامى حدود مصر الشرقية ، ومن ثم فقد أطلق عليه لقب « محطم الغزاة وسيد البلاد الأجنبية » ، وقد ارتبط « سوبد » بالاله « حور » وعرف باسم « حور – سوبد » وقد صور فى هيئة صقر جاثم تعلو راسه ريشتان عاليتان ، وكان فى هذه الصورة يمثل الشمس فى شروقها ، وكان يظهر بهذه الصورة كرمز للاقليم ، كما كان يصور فى هيئة رجل له شعر ولحية آسيوية وليست لحية الآلهة المصرية النابتة عند الذقن وحدها ، ويعلو رأسه تاج به نفس الريشتين ، ويبدو مظهره الأجنبى أيضا من مئزره الذى يشده حزام ، غير أن هذا الشكل الآسيوى قد اختفى منذ عصر الأسرة العشرين(١٠) ٠ وقد عثر فى « تل بسطة » على جعران يحمل اسم « سوبد »(١١) ٠

واذا كانت مصر قد عبدت بعض آلهة فلسطين ، فان بعض الآلهة المصرية عبدت فى فلسطين جنبا الى جنب مع آلهتها المحلية ، ففى « بيت شان » شيد معبد للاله المحلى « مكر » وزوجته وكان يعبد كذلك « رشف » و « عنات » الى جانب « آمون رع » و « حور أم أختى » ، والى الشرق من بحيرة طبرية صخرة منعزلة جاء عنها أن أيوب اعتمد عليها ، وقد مثل عليها « رمسيس الثانى » وهو يمجد الها متبربرا يبدو انه كان يسمى « ٠٠٠ للشمال ، كما شيد « رمسيس الثالث » معبدا لآمون فى كنعان

« كان بيتا مليئـــا بالخفايا والأسرار ، وكان يشبه الأفق السماوى الذى فى الســماء » وكان اسمه « بيت رمسيس فى كنعــان » ، وقد صــنع الملك كذلك تمثــالا كبيرا لآمون يستقر فيه يســمى « آمون رمسيس تأتى اليه شعوب ســورية بتقدماتها وذلك لانه الهى »(١٢) ٠

٢ ــ الفــكر الدينــى

كان الاعتقاد السائد فى بلاد الشرق الأدنى القديم ، أن الفرد جزء من المجتمع وأن المجتمع مغروس فى الطبيعــة ، والطبيعــة هى تجلى الألوهيــة ، بمعنى أن الدين فى بلاد الشرق الأدنى ، حلولى ، أى أن الآلهــة حالة فى الطبيعــة ولا يفهمها الانسان الا على هــذا النحو ، فربطوا بين تصــوراتهم العقائدية الذهنيــة وبين علامات كثيرة من عالم الواقع المحســوس ، فرمزوا الى كل قوة عليــا وعلة خفية تخيلوها ، برمز حسى يعبر عن سر من أسرارها ويحمل صفة من صفاتها ، والتمســوا أغلب رموزهم مما عمر بيئتهم من حيوانات وطيور وأشجار وزواحف(١٣) ٠

أخذت بلاد الشرق الأدنى القديم بتعدد المعبودات ، وآمنوا بالبعث والخــلود ، (اختلفت مصر فى هــذه العقيدة حيث آمنت ببعث الأفراد والآلهــة) وآمنوا بالعــالم الآخر وان عبروا عن هذه المعتقدات بأشكال مختلفــة كل حسب بيئته ، وان كانت الديانة المصرية قد تميزت عن غيرها من ديانات الشرق الأدنى القديم بوفرة نصوصها ، ووضــوح قضاياها وثباتهــا على مبادئهــا ، ثم رقى تطوراتها التى انتقلت فيها من عقائد التعدد الى صــور مختلفــة من أفكار التوحيد ، وهكذا ظلت فكرة الوحدانيــة تراود أذهــان

المفكرين المصريين من حين لآخر ، فبدأت معهم على صورة الايمان بوحدة الخالق ثم انتقلوا بها الى الاعتقاد بوحدة الربوبية ، ثم انتهوا أخيرا الى الايمان بوحدة المعبود(١٤) ٠

وانطلاقا من هذا ، فقد ظل أهل الفكر فى مصر منذ الدولة القديمة رغم تطلعهم الى معبود مطلق يرجونه للدنيا والآخرة الا أنه لم يشعر أحدهم بما يدفعه الى التوحيد الصريح والدعوة الى تغيير عقائد قومه ونبذ تعدد الأرباب ، واستمر المصريون فى اتجاههم نحو وحدة الربوبية أيام الدولة الوسطى واستطاعوا أن يطرقوا معانى جديدة للتعبير عن سعة ملكوت ربهم ومطلق عدالته فأشاروا برعايته لأمور الخلق أجمعين(١٥) ٠

فى عصر الدولة الحديثة ، ترتب على اتساع أملاك مصر فى غربى آسيا ، ظهور فكرة العالمية حيث أخذ الفكر الدينى المصرى يتجاوب مع هذا الاتساع ، فانتقل من النظرة الاقليمية الضيقة داخل مصر الى النظرة العالمية التى تنظر للاله على أنه رب للعالم المعروف وليس لمصر وحدها وقد سارت هذه الفكرة الى مدى أبعد فى عصر « أمنحوتب الثالث » حيث يظهر فى أنشودته لاله الشمس فكرة عالمية الاله ووصفه بصفات الخالق الأول(١٦) ثم كان الانقلاب الفجائى الذى دفع بحركة التوحيد قدما نحو الأمام وأعلنت الوحدانية سافرة دون تستر أو مواربة على يد الفرعون « أمنحتب الرابع » (اخناتون) الذى اتجه نحو التجريد وهذا أعلى مراحل الفكر الدينى التوحيدى ، فكان ذلك ارهاصا بما جاءت به الديانات السماوية فيما بعد ، وبذلك توفرت لحركة « اخناتون » التوحيدية الأركان الرئيسية فى عقيدة التوحيد وهى :

الوحدانية وابطال عبادة جميع الأرباب فليس هناك غير رب واحد هو « آتون » ٠

التجريد وذلك بنبذ فكرة تجسيد الاله فى شكل حيوان أو انسان ٠

الانكشاف والظهور امام البشر وذلك باسقاط الحجب والأستار بين الاله الواحد وبين عبادة فهو ظاهرواضح أمامهم ٠

العالمية فهو ليس اله مصر فقط بل اله العالم المعروف فى ذلك الوقت ويمكن لأى انسان أن يتعبد اليه ويناجيه حيثما يسقط للاله شعاع على الأرض(١٧) ٠

وقد عبرت الأناشيد التى وجهها « اخناتون » لالهه عن هذه الصفات جميعا(١٨) ٠

كانت هذه فى الواقع المعطيات الأساسية للفكر الدينى فى بلاد الشرق الأدنى القديم ، وان اختلفت كل منها عن الأخرى فى تطبيقه ، ولا يستثنى من هذا المعتقد الا العبريون ٠

تنفرد الديانة العبرانية منذ نشأتها بميزة خاصة ، فليس من النادر فى العالم ، أن يعترف شعب بأولوية اله من الآلهة ولكن ليس من شعب يأبى أن يعبد الهة أخرى فى الوقت نفسه ، وعلى ذلك فان العبرانيين بالرغم من مخالطتهم للشعوب الأجنبية ، يسيرون قدما فى تحديد عقيدتهمالدينية الخاصة ، فعبدوا الها واحدا ، لم يكن الاله الوحيد فى العالم بل واحدا من أولئك الآلهة القبلية الذين كانوا يعبدون فى عهد البداوة ، وهذا الاله نفسه يتحول ويتطور حتى آمن العبريون بوجود اله واحد(١٩) فأصبح المعتقد الغالب على الفكر العبرى هى فوقية الله المطلقة ليس « يهوه » فى الطبيعة ولا الأرض ولا الشمس ولا السماء بالهية ،

وليست حتى أشـد ظواهر الطبيعة بطشـا الا انعكاسات لعظمـة الله ، فاله العبرانيين كينونة بحت لا تحدد ولا توصف ، وهو مقدس أى أنه نوع فذ بذاته ، وهذا يعنى أن كل القيم فى النهايـة هى من صفات الله وحده ، وهـذا هو السبب فى تضـاؤل قيم الظواهر المحسوسـة جميعا(٢٠) وتمثل صـورة الاله هذه درجة عليـا من التجريد ، من هنا يتضح تأثير ديانة اخناتون على الديانة العبرية ، فاخناتون أول من أعلن « دعـوة التوحيـد » وذلك حين نادى بأن « آتون » اله واحد لا شريك له ، ويرى بعض الباحثين أن دعـوة « اخناتون » الى التوحيد لم تقتصر آثارها على الديانة المصرية ، وانما تعدتها الى ديانات أخرى ، ومن ثم فليس من الصعب القول بأن صـلوات الحيثيين الموجهـة الى الشمس انمـا هى صـدى لأناشيد الملك المصرى ، حيث أن الأدب الكنعـانى قد عرف هـذه الأناشيد ، فانتقلت الى الحيثيين عن طريقهم(٢١) وان كان هـذا يدل على تأثر الكنعـانيين بالفـكر المصرى ، بل ونقـله الى الأمم المجاورة ، فمن باب أولى أن ينتقل هذا الفكر الى العبريين الذين ورثوا الأدب والثقافة الكنعانية .

يرى « فرويد » أن الآتونيـة كانت ذات أثر غير محدود على ديانة العبرانيين ، واعتمد فى ذلك على عدة أمور منها ان « موسى » كان مصريا تربى فى بلاط فرعـون ، وربمـا كان من البيت الملكى نفسه ، كما ان اسـمه مصرى الأصـل ربما كان « رع ــ موسى » (رمسيس) أو « تحوت ــ موسى » (تحتمس) وأنه كان من كبار أعوان « اخناتون » ومن المتحمسين للديانة الآتونيـة ، وربما كان حاكما على اقليم « جوشن » فى شرق الدلتا حيث عاش بنو اسرائيل ، وعندما توفى « اخناتون » وانقلب المصريون ضـد ديانته ، بشر « موسى » بنى اسرائيـل بهذه الديانة وقـادهم الى خـارج مصر خوفا من اضطهاد المصريين ، وغير اسمه بأن أسقط منه اسـم الاله

المصرى الذى يرمز للوثنيــة « رع أو تحوت » فصـــار اســـمه « موسى » فقط ، ولتعزيز وجهــة النظر هذه أخذ « فرويد » يقارن بين العقيدة الآتونيــة وبين الديانة العبرية المبكرة ، وأبرز أوجــه التشابه بين الديانتين ، فكل منهمــا وحدانيــة مطلقــة ، وهمــا تنكران تجسد الاله ، ولا تذكران شيئا عن الحيــاة بعد الموت ، بالاضافــة الى ذلك فقد ظهر فى الأناشـــيد اليهودية اســـم شبيه باسم « آتون » هو « ادوناى » وكان اليهود يطلقونه على « يهوه » كما ذكر « فرويد » أن فرض « موسى » لعادة الختــان على بنى اسرائيل تؤكد مصريتــه ، حيث أن هذه العادة مصريــة ولم تكن معروفة عند الشعوب القديمة الأخرى(٢٢) ٠

واذا كان الباحث يشك فى ربط وحدانيــة « موسى » بعبادة « آتون » ذلك الربط الذى يصـــل عند بعض الباحثين الى أن الأولى منقولة عن الثانيــة ، فمما لاشـــك فيه ، وجود صلة بين الديانتين حتى وان كانت هذه الصلة غير مباشرة ، فمن المحتمل جدا أن دعوة « اخناتون » الى التوحيد كانت ارهاصــا وتمهيدا لدعوة « موسى » بين قوم ألفوا التعدد ، فلو جاء « موسى » بدعوته مباشرة دون سابقة تمهد لها ما قبلها أحد ٠

ويخبرنا القرآن الكريم(٢٣) أن أول من دعــاه « موسى » لعبادة الاله الواحد ، هو الفرعون نفســـه ، وليس من المستبعد أن يكون من المصريين من آمن بهذه الرســـالة ، وهؤلاء لابد أن يكونوا قد سمعوا بدعوة « اخناتون » ان لم يكونوا قد عاصروها ٠

ويرى « برستد » ان دعوة « اخناتون » ربما كانت من العوامل التى أدت تدريجيــا الى اعتراف العبرانيين بالوحدانيــة حيث أن « اخناتون » اكتسب نظرته الواســعة التى تنعكس فى أنشــودته

من كونه ملكا على أمة ذات سـيادة عالميـة فأراد ان يقدم للبشرية دينا يعتنقه كل الناس فى كل البـلاد(٢٤) والواقع أن أنشودة لها نظرة شاملة كهذه تتردد فى أنفاسـها الوحدانيـة الالهية المطلقة ، وتنتشر فى آسيا الغربيـة قبل ظهور الأدب العبرانى الذى جاء به الأنبياء العبرانيون بعد ذلك بعدة قرون ، لا يستغرب أن يكون لها بعض التأثير فى تكوين النظرة العالميـة التى فرضت فيما بعد على الأنبياء العبرانيين بسبب حرج الموقف الذى وجد فيه شعبهم حيث قد صاروا ألعوبة فى يد الممـالك العظيمـة وقتئذ ، الى أن غيروا نظرتهم للاله « يهوه » الذى كان يوما ما معبودهم المحلى ، فصـار فى نظرهم الها مسيطرا على كل الأمم ، يدير حركات جميع ملوك الأرض ، ويستطيع السيطرة على كل مقاصـدهم العدائية ، وتحويلها لخير بنى اسرائيـل ، ثم لخير جميـع العـالم فى النهاية(٢٥) ٠ بالاضافة الى ذلك فقد حدث تغير فى طبيعـة « يهوه » ذاته ، فبعد أن كان يجد لذة وحشية فى تقتيل الكنعـانيين ، يتحول تدريجيـا فى نظر العبرانيين ، الى أن صـار اله عدالة ، وبالتـالى يجب أن يتصف عباده بالعدالة فى أخلاقهم ، ومع أن هذا التحول الذى نبت فى الأذهان ، كان نتيجـة لتجارب العبرانيين الاجتماعية فان التفكير الدينى عند هؤلاء القوم الذين استقروا فى فلسـطين ، اعتمد جوهره فى هذه الحـالة ، على الاستقاء من تراث المـاضى كما وجدوه عند الجماعات الكنعانيـة التى اندمجوا فيهـا تدريجيـا ، وكان هذا التراث مفعما بالأفكار المصرية القديمـة ، التى تتنـاول صفات اله الشمس وتعده حاكما عادلا بين الناس(٢٦) لذلك نجد نبيـا من العبرانيين يقول لقومه « ولكم أيهـا المتقون اسـمى ، تشرق شمس البر والشفاء فى اجنحتها فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة »(٢٧)٠

والمعروف أن الآلهــة « ماعت » كانت ربة العــدالة عنــد المصريين الذين كانوا يعتقدون انها ابنــة اله الشمس ، وبما أن شمس العدالة العبرانيــة هنا وصفت بأن لها أجنحة ، فلا يمكن أن يكون المراد بذلك شيئا ســوى الاشارة الى الشمس ذات الأجنحة ، لانه لم يكن يوجد بين جميع التصــورات العبرانية القديمة للالــه « يهوه » أى صــورة تصوره بأجنحة(٢٨) ٠ وقد وجد فى انقاض معبد الرب مسلة من البازلت مصــور عليهــا قرص الشمس وعثر بجوارها على قطعــة أخرى من البازلت أيضــا عليها ختم يدل على وجود اله الشمس(٢٩) ٠

كما دلت الحفــائر الحديثة فى « السامرة » على أن هــذه التصورات المصرية لالة الشمس العادل كانت شــائعة الانتشــار فى الحياة الفلسطينية(٣٠) وعلى ذلك فان تصــور اله الشــمس المصرى على انه ملك عادل يعد من العوامل التى ساهمت فى تحويل « يهوه » اله اسرائيل الى اله عادل بين الناس ٠

(أ) أنشودة اخناتون والمزمور ١٠٤ :

يرى بعض الباحثين أن هناك تشابها بين أنشودة « اخناتون » والمزمور العبرى رقم ١٠٤ ، حيث وجدوا أن الطريقــة التى وجهت بها الكلمات للاله آتون ، مشابهة للطريقة التى وجهت بها الكلمــات لاله اسرائيل ، بمعنى أن كاتب المزمور ، اختار أفكاره من أنشودة ، « اخناتون » ولجــأ بها الى الاله « يهوه »(٣١) ٠

كان « برســتد » أول من أشــار الى المطابقة بين نشــيد « اخناتون » والمزمور ١٠٤ ، ثم قام بعقد مقارنة بين النصين المصرى والعبرى ، استخلص منها وجود تشابة بينهما ، ولايمكن أن يكون

نتيجة توارد الخواطر بحـال من الأحوال ، وانما المرجح أن العبرانيين كانوا على علم بأنشودة « اخناتون » التى وضعها لاله الشـمس والمحتمل جدا ، أن يكون الأصـل المصرى لأنشودة « اخناتون » قد انتشر فى فلسطين قبل ظهور المزامير بزمن طويل(٣٢) حيث أنه من المعروف بداهـة أن أعـداء الفرعون الحانقين عليـه ما كانوا يتركون أنشودته تنتشر فى مصر ثلاثة قرون أو أكثر قليلا (اى الى ما بعد عـام ١٠٠٠ ق٠م وهو الوقت الذى بدأ فيه العبرانيون يبدون اهتمامهم بأنشودة آتون هـذه) ومن ثم فيجب التسليم بأن تلك الأنشودة قد انتقلت الى فلسطين فى عهد « اخناتون » نفسه(٣٣) وانها افلتت من الدمار المحقق على يد أعدائه فى مصر ، وكان أمرا طبيعيا أن يحدث فى أنشودة « اخناتون » تغير عظيم بعد أن ترجمت الى بعض اللهجـات الساميـة ، كاللغات الفينيقيـة أو الآراميـة أو العبرية على الأرجح(٣٤) ٠ وبفحص الفقرات المشابهة لأنشودة « اخناتون » فى المزمور ١٠٤ ، يتضح لنا مدى الشبة بين الصورتين ، ليس فقط من حيث مضمون أنشودة « اخناتون » ولكن أيضـا فى تتابع الأفكار وترتيبها الظاهرى ، الذى بقى فى الرواية الآسيوية العبرية ، كما كان فى أنشودة « اخناتون » ٠

أنشـودة اخنـاتون	المزمـــور ١٠٤
١ ــ حين تغـرب فى الأفـق الغربى تمس الأرض فى ظلام كالموت ، فينـامون فى غـرف النـوم ، والـرؤوس مغطـاه ، ولا ترى أعين أصحابها ٠	(١٩ ــ ٢٠) الشمس تعرف مغربها تجعل ظلمة فيه يدب كل حيوان الوعر ٠

انشـــود اخنـــاتون	المزمـــور ١٠٤
٢ ـ الأســـود تخـرج مـن أوجارهـا ، والثعـابين تنساب لتلدغ ٠	(٢١) الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس من الله طعامها ٠
٣ ـ الأرض زاهيـة حينمـا تشرق فى الأفـق وتضىء فى النهار مثل آتون . أنت تقصى الظلمـة الى بعيـد ، وعندما ترسـل أشـعتك ، فان الأرضين (مصر) تصبحـان فى عيد ، يستيقظ النـاس ويقفون على أقـدامهم ، عنـد ايقـاظك اياهم ، ينظفـون أجسـامهم ويلبسـون ثيـابهم ويرفعـون أكفهم تعبـدا لطلعتـك البهيـة ، ثم ينتشـرون فى الأرض يباشر كل منهم عمله ٠	(٢٢ ـ ٢٣) تشرق الشمس فتجتمع وفى مآويهـا تربض ، الانسان يخرج الى عمله والى شغله الى المساء ٠
٤ ـ السـفن تجرى شـمالا وجنوبا ، وتعج الطـرق بالنـاس ، الاسـماك فى	(٢٥ ـ ٢٦) هذا البحر الكبير الواسـع الأطراف هناك ذبابات بلا عدد ، صغـار حيـوان مع

النهــر تقفز أمامــك ،
وأشعتك تنفذ الى أعماق
الأخضر العظيم ٠

٥ ــ ما أكثر أعمالك ، انهــا
على الناس خافية أنت
الاله الواحد الذى ليس
معه ســواه ، وليس له
من نظير ، خلقت الدنيــا
حسب رغبتــك ، وكنت
وحيــدا ، خلقــت البشر
والأنعــام وكل ما يسعى
على الأرض بقدم ويحلق
فى الفضاء بجناح ، خلقت
بلاد خــور (ســوريا)
وكوش ومصر ، ووجهت
فيها كل فرد الى موطنه،
ودبرت للجميع شئونهم،
فأصبح لكل فرد رزقــه
وتعين لكل فرد أجــله ،
وظلت الألسنة بينهم فى
النطق متباينة ، والهيئات
والوان متمايزة(٣٥) ٠

كبار ، هناك تجرى السفن ،
لوياثان هــذا خلقتــه ليلعب
فيــه ٠

(٢٤) ما أعظم أعمالك يارب ،
كلهــا بحكمــة صنعت ، مــلأت
الأرض من غناك ٠

تدعى أن تلك التشابهات ، لايمكن أن تكون من قبيل المصادفة بل انها دليل على وجود جزء كبير من الأنشـودة الدينية المصريـة القديمة منشـورا بشكل معدل فى المزامير العبرانيـة ، وهكذا يظهر بوضوح أن أنشودة « اخناتون » لربه « آتون » كانت المنهل الذى استقى منه مؤلف المزمور العبرانى ، ومصـدر ادراكه لرحمـة الله فى عون مخلوقاته حتى أصغرها ، بمعنى آخر أن موقف العبرانيين من جهة الطبيعـة بصفتها عـالم الكون ، وتصـورهم لعنايـة الخـالق الرؤوف بخلقه انما يرجع أصله الى أنشودة اخناتون وما يشابهها من الأناشيد الدينية فى مصر القديمة ٠

ورغم أن كثـيرا من الباحثين يعضـدون هذا الاتجـاه (تأثير نشيد اخناتون فى أفكار العبريين الدينيـة) ومنهم « ديجال »(٣٦) و « هـول » (٣٧) و « فرانسـوا دومـاس »(٣٨) و « جـان يويوت »(٣٩) ٠ و « الكسـندر شارف »(٤٠) الا أنه يوجد رأى مخـالف يشكك فى ذلك على أسـاس أن آراء « اخنـاتون » لم تكن جديدة على الديانة المصرية ، بل أن تعبيراته من وحدانيـة الهيـة كانت معروفـة قبله واسـتمرت قرونـا طويلة بعده(٤١) ويذهب « جون ويلسون » وهو واحد من أصحـاب هـذا الاتجـاه الى أنه لو افترضنا انه كان يوجد فى مصر جنود أرقـاء من العبرانيين ايام العمارنة ، فلم يكن من بين هؤلاء من تسـمح له حالته بأن يتعـلم من مصر أناقتها فى التفكير ، أو ما وصلت اليه فى الدين والفلسفة ، اذ أن هذه الفرصـة لايمكن أن تتوفر لجميع الأرقـاء الذين يعملون فى أحد المشروعات الحكوميـة لكى يتناقشـوا مع الكهنة أو الكتبة ، فأرواحهم البسيطة المعتـادة على الحيـاة فى الصحراء كانت تنظر بوجل الى بعض مسـاوىء المدنية ، وتشتاق الى الهرب من تلك العبودية القاسـية ، ومن كانوا فى مثل هذه الحـالة لا نتوقع منهم أن يعجبوا بمدينة أرض العبودية(٤٢) ٠

والحقيقة يمكن القول بأن وجهة النظر هذه لاتقوم على أسانيد تاريخية ثابتة ، وبالتالى لايمكن أن تثبت أمام النقد ، فعلاوة على أنها تحمل بين ثناياها ما يجيب عنها الا انه يمكن القول بأن ديانة « اخناتون » كانت بسيطة فى كل شيء ، فى العقيدة والشعائر وليس فيها شيء من تعقيدات كهانة « آمون » وغيرهم من رجال الكهنوت المصري ، فكان من السهل على العبرانيين أن يعرفوا هذه الديانة البسيطة ، خاصة أن « ويلسون » نفسه يقول انهم كانوا يعملون فى المشروعات الحكومية ، وبما أن رأس الحكومة (وهو الفرعون) هو الداعية فكان من الميسور لهم معرفة هذا الدين حيث انه يدعو للوحدانية والمساواة ، وكون العبرانيين مستضعفين فى مصر كما يرى « ويلسون » فان ذلك يكون دافعا لاعتناق هذا الدين وليس سببا للبعد عنه ، وتاريخ النبوات شاهد على أن المستضعفين فى كل أمة انما هم فى أغلب الأحيان أول من يؤمن بأصحاب الديانات، ثم أن العبرانيين بعد اقامتهم فى مصر فترة طويلة من الزمن (حوالى أربعة قرون أو أكثر) لم يعودوا بدوا ، بل أصبحوا أشبه بالمصريين ، يعيشون حياتهم ويعبدون بعض الهتهم ، علاوة على كل ما تقدم ، فتشير الأحداث التاريخية الى أن العبرانيين قد تعلموا كثيرا من افكار المصريين الدينية ، وقصة الخروج من مصر وما حدث بعدها فى سيناء ، يفهم منه بوضوح ، أن القوم ودوا لو أنهم يعودون الى مصر ، ويعيدون مراسيمها الدينية ، ويشير القرآن الكريم(٤٣) والعهد القديم(٤٤) الى قصة العجل الذهبى الذى عبده بنو اسرائيل فى سيناء ، فعبادة العجل عميقة الجذور فى مصر ، اذ ترجع الى ما قبل عصر موسى بكثير ثم استمرت حتى ظهور المسيحية ، وليس من شك فى ان بنى اسرائيل باتخاذهم العجل ، انما كان لما اعتادوه

فى مصر من الهــة(٤٥) • وهكذا يبدو واضــحا مدى تأثير الديانة المصرية فى بنى اسرائيل ، تلك الديانة التى تمكنت من نفوســهم ابان اقامتهم الطويلة فى مصر •

(ب) الســـحر :

كان الدين هو القوة المسيطرة على مشــاعر شعوب العــالم القديم ، حيث كان الفرد فى بادىء الأمر يتضرع لربه ليدرأ عنه الشر أو يجزيه الخير ، ولكنــه فى الوقت نفســه يريد أن يحتــال على قضاء حوائجه المستعصية بطرق أكثر قوة وأشــد فاعلية ، وبذلك اختلط عليه الأمر منذ البداية ، حيث أدرك الانســان أنه محوط بقوى خفيــة خارجة عن نطــاق فهمه ، ولم يكن فى استطاعتــه أن يقاومها بما لديه من وســائل ، فحاول أن يستميلها بالتضرع تارة وبالفن تارة أخرى ، فكان الدين والسحر هما وليدا هذا المجهود الانسانى المزدوج ، ولمــا كانا وليدى ضرورة واحدة بعينهــا أصبح من الطبيعى أن يتقــاتلا فى نقاط عدة فهما يستعملان فى غرض واحد ، حيث أن الانســان فى حالة بؤســه يلجــأ غالبــا الى ربه رغبــة أو رهبة ، فاذا عجز عن نيل مراده لجــأ الى السحر الذى يسيطر حتى على الآلهة(٤٦) وعلى ذلك فالدين والسحر قد ظهرا فى وقت واحد ومن العبث القول أيهما وليد الآخر •

وقد جاءت اشــارات عرضية عند العبريين عن قوة الســحرة المصريين ، فقــد افتخر القــديس « ســتيفن » بأن المشرع الأول « موسى » كان قديرا فى كل كلماتــه وبراهينه ، وهنــاك العديد من الأدلة التى تثبت انه كان على علم ومارس السحر المصرى ، فجملة « انه كان عظيمــا فى سحره » ربما تعنى انه كان مثل الآلهة « ايزه » (ايزيس) التى كان من ألقابها « العظيمــة فى أعمــال السحر » وقد اكتسبت هــذا اللقب من التجائها الى السحر للعثور على جثة

زوجها الشهيد ، واعـادة الحياة اليه ، فضـلا عن الدفاع عن ابنها والاصرار على توليته عرش مصر كوريث لأبيه « أوزير »(٤٧) كما أن ما قـام به « موسى » من أعمـال مثل جعل العصـا « حية » وارجاعهـا الى حالتها الأولى من الأعمـال التى عرفت فى الشرق الأدنى القديم من أقدم العصـور ، ولكن ما قام به يدل على انه كان أبرع من المصريين أنفسـهم فى السحر المصرى ، ولكن الاختـلاف الجوهرى بينهم هو أن سحر « موسى » كان من عمل اله العبريين ، بينما اعتمد المصريون على الهة مصر فى سحرهم(٤٨) ٠

ويخبرنا العهد القديم أن « موسى » مد يده الى ميـاه البحر فجعل الرب هذه المياه تتراجع بواسـطة رياح قوية استمرت طوال الليل حتى أصبح البحر يابسـا ، وانفلق البحر ، وأصبحت الميـاه بمثابة أسـوار على اليمين واليسـار فعبر بنو اسرائيـل ، وشرع المصريون فى اقتفـاء أثرهم وما أن وصلوا الى منتصف البحر حتى أمر الرب « موسى » أن يمد يده الى المـاء ، فرجع البحر بقوة وعادت المياه الى حالتها الأولى وابتلعت الجيش المصرى كاملا(٤٩) ٠

الا أن أمر تجميد المياه كان قد عرفه المصريون قبل « موسى » بزمن طويل ويتضح ذلك من قصة محفوظة فى بردية « وستكار »(٥٠) وقد كتبت هـذه البردية فى بداية عهد الأسرة الثامنـة عشرة وان نسبت أحداثها الى عهد الملك « خوفو » وفيها برهـان على قوة سحر الكاهن « جاجا ـ ام ـ عنخ » الذى جعل نصف ماء البحيرة يعلو فوق النصف الآخر حتى يستخرج الحليـة التى سقطت من قائده المجدفات فى قارب الملك « سنفرو »(٥١) ٠

بالاضافة الى ذلك ، فقد كان كهنة العبريين يحملون عصيـا سحرية ، لاشـك انها كانت فى صـورة ثعبـان تسـكن فيها قوة

« يهوه » ، كما كانوا ينصبون ثعبانا من النحـاس البراق ليشفوا به الناس ، وكان هذا الثعبـان بطبيعة الحـال أحد تلك الثعابين العديدة المقدسـة فى مصر ، وقد بقيت صـورة ذلك الاله المصرى القديم عند العبريين ، الى ما بعد استيطانهم فلسطين بزمن طويل ، واستمروا فى اطـلاق البخور له مدة خمسة قرون بعد عهد « موسى » ، ولم يبعد من البيت المقدس الا فى حكم « حزقيال » فى أواخر القرن الثامن ق٠م(٥٢) ٠

٣ الأدب

كما أوضحنا فى الصفحـات السابقة تأثير مصر الديني على فلسطين ، فسـوف نوضح هنا تأثيرها الأدبي على تلك المنطقـة ، والمعروف أن حضـارة فلسطين كانت تقريبـا فى كل العصور خليطا مكونا من عناصر مصرية وعراقيـة وعنـاصر من مصـادر ثانويـة أخرى ، وهذا صحيح أيضا عن الأدب ، ويظهر بوضـوح فى مجـالى الشعر وأدب الحكمة ٠

(أ) الشـعر :

سبقت الاشـارة الى أن تأثير مصر الأدبى على فلسطين كان كبيرا ، ففى مجـال الشعر نقل سـكان فلسـطين (الكنعـانيون والعبرانيون والفلسطينيون) فى شـعرهم كل خصـائص الشـعر المصرى ، حيث كانت القصـائد مقسمة الى فقرات وأبيات ، والتى لم تكن بالضرورة ذات أطوال متساوية فى عدد السـطور ، ولكنهـا تبين بوضوح انها مقسمة الى اقسام ، كما أن استخدام التمـاثل كان مظهرا آخر من مظـاهر التأثير المصرى ، فتأخذ الفكرة الواحدة تعبيرا مزدوجا ، بمعنى أن السطر الشعرى يتكون من جملتين قصيرتين

توجـد فى كل منهمـا نفس الفـكر ولكن بصيغـة مختلفـة عن الأخرى(٥٣) بمعنى آخر أن هذا الشعر لا يتألف من أبيـات بالمعنى الصحيح ، بل يشتمل على ايقاع خاص ناشىء عما يسـمى موازنـة الأجـزاء(٥٤) ٠

ويتمثل التشابه بين الشعر المصرى والفلسطينى أيضـا فى أن السـطور الشـعرية انما تحتوى على عدد محدد ومنتظم من الوزن الموسيقى ، وأيضـا تكرار التلاعب بالألفاظ ، وورود ألفاظ كثيرة متشابهة التطور قريبـة من بعضها البعض (الجناس والطبـاق) وقد كان الشعراء المصريون مغرمين بتجنيس حروف بداية الكلمات المتتابعة(٥٥) كما كانوا مغرمين بالتقديم والتأخير فى البيت الشـعرى وكانت الاستعارة كثيرة الاستعمال أيضا ٠

انطلاقا من هذا كله ، فعندما نجد أن كل هذه الصـور قد وجدت فى الشعر الفلسطينى (الكنعانى العبرى) فمن الصعب أن نقاوم الاستنتاج الذى يرى أن فلسطين قد اعتمدت على النمـاذج المصرية بدرجة ما فى التركيب البنائى لأدبهم الشعرى(٥٦) ٠

ولتوضيح ما سبق ، نقارن ما جاء على لوح من ملحمة « بعل »، (والتى تصف المعـركة بين اله العاصـفة ووحش البحر يام وهى ملحمة كنعانية) وما جاء فى المزمور ٩٢ : ٩ :

هوذا ، أعداؤك يا بعـل ٠

هوذا ، أعداؤك يبيدون ٠

هوذا ، انت تقضى على أعدائك ٠

وفى المزمور ٩٢ : ٩ تتكرر هذه الفقرة مع تغيير بسيط كالآتى :

هوذا ، أعداؤك يارب ٠

هوذا : أعداؤك يبدون ٠

كل فاعلى الاثم يتبددون(٥٧) ٠

وهناك قصيدة مصرية تقول :

وقد تحدث أصـــدقاء الملك ٠

واستجابوا فى الحال لربهم(٥٨) ٠

وان كان هنـــاك اختـــلاف فى أساليب الصياغة الشـــعرية ، الا أن التكرار الايقاعى شـــائع لدى الجميع ، فكل سطر فيه ثلاث درجات موسيقية منظومة ، كما أن هنـــاك تكرارا للفكرة ، بمعنى أن الفكرة فى الســـطر الأول لها ما يطابقها فى السطر الثانى(٥١) ٠

أما عن التقديم والتأخير فلنأخذ مثالا من المزامير « من الجبال تأتى المساعدة » فكلمـــة المساعدة تأتى فى الســـطر التالى الذى يقول « ان المساعدة تأتى من الرب » وانه هو الذى يعتنى(٦٠) ٠

أما الاستعارة ، فخير مثال عليهـــا ما يقال عن الاله « خنوم » انه هو الذى شـــيد دولاب الفخار ، وأنه مقدم الجســـد ، ولنقـــارن ذلك بما جاء فى العهد القديم حيث قال عن « يهوه » : « اننا نحن الخزف ، وانه هو الخزاف ، واننا جميعـــا من صنع يديه هو الآن يارب انت أبونا ٠ نحن الطين وانت جابلنا وكلنا عمل يديك »(٦١)٠

(ب) الحكمـــة :

هناك مجال آخر يوضـــح أثر الفكر المصرى على فلســـطين ، وهو أدب الحكمـــة ، فالحكم عبارة عن أقوال مختصرة توضح قوانين

السلوك ونتائجه ، ولها تأثير مباشر على النفس الانسانيـة ، ولكل شعب مجموعة من الحـكم والأمثـال تظهر خصائصـه وعواطفـه وهزلياته ، وتعبر عن نصـائح وارشادات يتوارثها جيل عن جيل . فتوضح العادات والتقاليد التى كانت متبعـة فى المجتمع القديم(٦٢) والتشابه فى أعمـال الحكماء كان فى كل زمان ومكان ــ وهذا يشير ببساطة الى انتشار العدالة ــ وتدل هذه التشابهات المختلفـة على أن أدب الأمثال والحكمـة فى الشرق القـديم قد تخطى حـدوده الوطنية ، وأصبح شائعا بين الأمم كما فى بلاد النهرين ومصر ، وقد رحبت به الشعوب التى استقرت فى فلسطين وسـورية ، ويتضـح من سفر الملوك الأول فى العهد القديم ، أن أمثال « سليمان » تمت فى جو عالمى « وفاقت حكمـة سليمان حكمة جميع بنى المشرق ، وكل حكمة مصر ، وكان أحكم من جميع الناس ، من ايتان الازراحى وهيمان وكلكول ودردع بنى ما حول ، وكان صيته فى جميع الأمم حواليه »(٦٣) . فأسـماء هؤلاء الأشخاص التى لا تنتمى لأصـل عبرانى تدل على أن كل أولئك الحكمـاء كانوا أجانب ، ومن أدب الحكمـة فى مصر وصـل الينا نمـاذج وأمثلة شائقة مثل تعـاليم « تتاح ــ حتب » و « أمنمؤبى» (التى تعتبر نسخة من الشـكل الأقدم للتعاليم الموجهة الى « مرى ــ كارع ») وتعاليم « انى » وهذه الحكم ذات أهمية كبيرة من وجهة النظر الحالية(٦٤) .

واذا لم يكن من السهل أن يستدل الباحث على انتقال الأفكار من جهة الى أخرى فان البحوث الحديثـة مكنتنا من اثبـات الحقيقة الجوهرية فى هـذا الشأن ، وهى أن الشـعوب التى اسـتقرت فى فلسطين أطلعت على الأدب الخلقى والدينى عند الأمم الأخرى ونقلت

ما عثرت عليـه من أفكارهم ، بل انها كانت تنقل ـ هذه الأفكار والآراء بنفس التعابير التى صيغت بها تلك الأصـول الأجنبيـة ، وأبرز الأمثلة على ذلك ما جاء فى تعاليم الحكيم المصرى « أمنمؤبى » وسفر الأمثال العبرانى ، فكتـاب الأمثال هذا عبارة عن مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة منها ثلاثة نسبت الى « سليمان » واثنتـان تنسبان الى مؤلفين آخرين مجهولى الاسم احدهما امرأة ، والى جانب هذه المجموعات الخمس ، توجد مجموعة سادسة حيث ورد فى صلب الاصحاح الرابع والعشرين ما يكشف عن عنوان جديد بهذا النص « هذه أيضـا كلمات الحكماء »(٦٥) كما نجد فى الاصحاح الثـانى والعشرين ما هو بالتأكيد بداية جزء لم يكن هنـاك عنوان له يسمى كلمات الحكماء(٦٦) تماما مثل ما وجد فى الاصحاح الرابع والعشرين، فمن هم هؤلاء الحكماء ؟(٦٧) وقد ظل هذا السـؤال دون اجابة ، الى أن طبعت ورقة بردية ظلت مدة طويلة فى المتحف البريطـانى ، فكشفت عن أن مؤلف هـذا الجزء هو « أمنمؤبى » الحكيم المصرى ، ويقطع بذلك جميع العلمـاء الذين يعتد برأيهم وأبحـاثهم فى الكتاب المقدس ، حيث اتضح أن النسخة العبرية هى تقريبـا ترجمـة حرفية عن الأصل المصرى(٦٨) وان كان هنـاك رأى آخر يرى أن برديـة « أمنمؤبى » هى التى نقلت عن سـفر الأمثـال(٦٩) ولكن هـذا الاعتراض لا يغير من حقيقة الأمر شيئا ، اذ أن غالبيـة الآراء تجمع على أن جزء من سفر الأمثال (من الاصحاح ٢٢ : ١٧ حتى الاصحاح ٢٤ : ٢٢) منقول نقلا يكاد يكون حرفيـا من بردية « أمنمؤبى » كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذا الحكيم قد اقتبسها العبرانيون فى مواضع كثيرة من العهد القديم فى غير سفر الأمثال(١٠) مثال ذلك ما جاء فى سفر « أرميـا » :

أمنمؤبى ٦ : ١ ــ ١٢	أرميا ١٧ : ٥ ــ ٨
والرجل الأحمق الذى يخدم فى المعبد ، مثله كمثل شجرة نامية فى غابة ، ففى لحظة يفقد فروعه ويجد نهايته فى (مرفأ الخشب) وينقل بعيدا عن مكانه ، والنار مأواه .	ملعون ذلك الرجل الذى يتكل على الانسان ويجعل البشر زراعه ، وعن الرب يحيد قبله ، ويكون مثل العرعر فى البادية ، ولا يرى اذا جاء الخير ، بل يسكن الحرة فى البرية ، أرضا سبخة وغير مسكونة .
والرجل الحازم حقا ينتقى لنفسه مكانا . فانه مثل شجرة نامية فى حديقة يزدهر ويتضاعف ثمره ويجلس ، حضرة سيده . وثمرته حلوة وظله وارف ، ويجد آخرته فى الحديقة(٧١) .	مبارك ذلك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكله ، فانه يكون كشجرة مغروسة على مياهو على نهر تمد أصولها ، ولا نرى اذا جاء الحدة ويكون ورقها أخضر ، فى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الأثمار .

وحينما نتأمل الصورة التى رسمها « أمنمؤبى » للشجرتين يتبادر الى الذهن ما جاء فى المزمور الأول « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس ، لكن فى ناموس الرب مسرته ، وفى ناموسه يلهج نهارا وليلا ، فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانه ، وورقها لا يذبل ، وكل ما يصنعه ينجح ، ليس كذلك الأشرار ، لكنهم كالعاصفة التى تذريها الريح ، لذلك لا تقوم الأشرار فى الحساب ولا الخطاة فى جماعة الابرار »(٧٢) .

وقد لاحظ « برستد » أن الحساب المذكور هنا لم يرد ذكره فى سفر المزامير كله الا هذه المرة ، وهذه الملاحظة لها أهميتها ، حيث أن فكرة الحساب فى عالم الآخرة من ثمرات الدين المصرى القديم(٧٣) كما أن توكيد ذكر مجارى المياه فى الصورة العبرانية أمر مهم حيث انه لا يوجد بين بلدان الشرق القديم التى عمرت بسكان مستقرين بلد خلا من مصدر مياه ثابت غير فلسطين ، ومن ناحية أخرى نجد أن العلامة الهيروغليفية الدالة على كلمة « حديقة » كانت ترسم بصورة « تركة حديقة » ، ولذلك كان مجرد ذكر كلمة « حديقة » دلالة على الماء ومن ثم لم تذكر كلمة ماء بعينها فى الوصف الذى وضعه « أمنمؤبى »(٧٤) ٠

نعود الآن الى سفر الأمثال وتعاليم « أمنمؤبى » ، فنشير الى أن الأخير قد ظهرت فى كتاب الأمثال فى اصحاح بعد آخر ، ففى الاصحاح ٢٢ : ١٧ وحتى الاصحاح ٢٤ : ٢٢ نجد التشابهات كثيرة وعديدة ، وهناك أيضا تشابه فى التصورات والأفكار ، ويظهر ذلك من خلال السياق فى تعاليم « أمنمؤبى » والتى اختصرت فى كتاب الأمثال ، فيبدو من اشارات السفر أن العبارات المنقولة تظهر غالبا فى سياق الكلام ، ورغم تغير اللفظ ، فقد ظل المعنى الأصلى مطابقا للأمثال العبرية ، ولذلك علينا الا نعتنى باللفظ فقط ولكن بالمعنى أيضا ، علاوة على ذلك فان الثلاثين فصلا « لأمنمؤبى » لايوجد لها تشابه فعلى فقط ، ولكن « سمبسون » وجد ثلاثين مثلا حرفيا منها فى كتاب الأمثال العبرى(٧٥) ٠

معنى ذلك أن تعاليم « أمنمؤبى » كانت الأصل الذى نقل منه اصحاح ونصف على الأقل فى سفر الأمثال ، ولتوضيح ذلك ، سيتبع الباحث طريقة ترستد فى وضع الجمل المتقاربة فى اللفظ والمعنى ، جنبا الى جنب حتى تتضح درجة الاقتباس والنقل ، فمن

النصائح التى اشـار اليها « أمنمؤبى » حسن الاستماع ، والفهم الصحيح للأقوال المفيدة وكيفيـة الرد عليهـا ، والمقصـود من تلك النصائح قد عرفته الأمثال العبرية ، وهو ما أشـار اليه « أمنمؤبى » من ان المهـارة العمليـة ، أصل جوهرى فى المعاملات الرسمية ، كما نرى فى نص كل منهما :

امنمؤبى ٣ : ٩ـ ١٢ ، ٥ ـ ٦	امثال ٢٢ : ١٧ ـ ١٨ ، ٢١
٩ ـ أمل أذنيـك لتسـمع اقـوالى .	١٧ ـ أمل أذنك واسمع كلام الحكمـاء ، ووجه قلبك الى معرفتى .
١٠ ـ واعـكف قلبـك عـلى فهمهـا .	
١١ ـ لأنـه شيء مفيـد أن وضعتها فى قلبك .	١٨ ـ لأنه حسن ان حفظتهـا فى جوفـك ان تتثبت جميعا على شفتيك .
١٢ ـ ولكـن الويـل لمن يتعداها . (١ : ٥ ـ ٦)	
٥ ـ المعرفـة كيف تظهـر كـلامهم .	٢١ ـ لا علمـك قسط كـلام الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك .
٦ ـ وأن ترد على تقرير الى من أرسله(٧٦) .	

والحقيقة أن الغرض الخلقى من النصـائح الواردة فى كل من سفر الأمثال وتعاليم « أمنمؤبى » واضح فى كافة ثناياهما ، منهـا عدم التعدى على حقوق الغير أو سلب أملاكه ، وايضـا تحـذير من الثراء المـادى خاصـة اذا كان هذا الثراء على علاقـة الانسـان

بربه ، كما تضمنت التحذير من الحماقة ومخالطة الحمقى من الناس ، كما دعت كل منهمـا الى عدم التبرم بالحيـاة والخوف من المستقبل لاننا لا نعلم عنه شيء ، وحضت على حسن التفكير وعدم التسرع ، وأنهت عن النفاق وحبذت اتبـاع اللياقة فى السلوك أمام المقامات العالية(٧٧) . ومن الأمثلة على ذلك :

عـدم التعدى على حقوق الغير

امنمؤبى ٧ : ١٢ ـ ١٥	الأمثـال ٢٣ : ١٠
١٢ ـ لا تنقل علامات الحدود فى الأرض المزروعة .	لا تنقل التخم القـديم ، ولا تدخل حقل الأيتام .
١٣ ـ أو تغـير المواضـع الرسـمية .	
١٤ ـ لا تطمـع فى ذراع من من الأرض .	
١٥ ـ ولا تدخـل فى حـدود أرمـلة .	

التحـذير من الثراء

امنمـؤبى	الأمثـال
(٩ : ٥ ـ ٨)	
٥ ـ الفقر فى يد الله .	١٦ ـ القليل مع مخافة الرب، خير من كنز عظيـم مع هـم .
٦ ـ خـير مـن الغنـى فى الهرى .	

أمنمـــوبى	الأمثـــال
٧ ـ وأرغفـة بقلب فرح .	١٧ ـ أكلـة من بقـول حيث تكون المحبـة ، خير من نور معلوم ومعه بغضة. (٢٣ : ٤ ـ ٥)
٨ ـ خير من ثروة فى تعاسة. (٩ : ١٤ ـ ٢٠)	
١٤ ـ لا تتعب فى البحث عـن الثـروة .	
١٥ ـ حينما تكون قد حصلت على حاجتك .	
١٦ ـ واذا كـان الغنى عـن طريق السرقة .	
١٧ ـ فانه لا يبقى معك سواد الليـل .	
١٨ ـ ففى فجر نفس اليـوم لا تجده فى البيت .	٤ ـ لا تتعب لكى تصير غنيا، كف عن فطنتك .
١٩ ـ فتبقى أماكنـه ولكنـه لا يبقى .	
٢٠ ـ فربما ابتلعته الأرض . (١٠ : ٤ ـ ٥)	٥ ـ هل تطير عينيك نحوه وليس هو ، لانه انما يصنع لنفسه أجنحـة كالنسر يطـير نحـو السماء . (١٧ : ١)
٤ ـ أو يعملون له أجنحـة كالأوز .	
٥ ـ ويطير نحو السماء . (١٦ : ١١ ـ ١٢)	
١١ ـ الثنـاء على الانسـان كشخص محبوب عنـد الناس .	١ ـ لقمـة يابسـة ومعهـا سـلامة خـير من بيت ملآن ذبائح مع خصام.
١٢ ـ خير من الغنى فى الهرى (المخزن) .	

التحـــذير من الحماقـــة

(١١ : ١٣ ـ ١٤)

١٣ ـ لا تعاشر رجلا غضوبا (حاد الطبع)

١٤ ـ ولا تلحن فى محادثته ٠

(١٢ : ٨ ـ ٩)

٨ ـ لا تلتصق بهذا القرين٠

٩ ـ لئلا تألف طريقه ٠

(٢٢ : ٢٤)

٢٤ ـ لا تستصحب غضوبا ، ومع رجـل سـاخط لا تجىء ٠

(٢٢ ـ ٢٥)

٢٥ ـ لئلا تألف طريقه وتأخذ شركا الى نفسك ٠

عدم التبرم بالحياة والخوف من المستقبل

(٢٢ : ٥ ـ ٦)

٥ ـ لا تعـرف شـكل الله حقـا ٠

٦ ـ لذا لا تتخيل الغد ٠

(٢٧ : ١)

١ ـ لا تفتخر بالغد لأنـك لا تعلم ماذا يلده يوم٠

حسن التفكير وعـدم التسرع والنفـاق

(٢٢ : ١٣ ـ ١٤)

(١٣ : ١١ ـ ١٣)

١٣ ـ لا تفش أســـرارك للآخرين ٠

١٤ ـ ولا تعاشر من يكشف ما بداخـله ٠

١٣ ـ ١١ ـ لا تكره نفسك على تحيـة رجل حـاد الطبـاع ٠

١٢ ـ أو تحزن قلبـك ٠

١٣ ـ لا تقل له السلام عليك زورا ٠

(٢٠ : ١٩) (٢٧ : ١٤)

١٩ ـ الساعي بالوشاية يفشى السر فلا تخالط المفتح شفتيـه ٠

١٤ ـ من يبارك قريبه (رجل سيىء) تصوت عالى فى الصباح باكرا يحسب له لعناه ٠

(٢٣ : ١٣ ـ ١٨)

١٣ ـ لا تأكل الطعام فى حضرة رجل عظيم ٠

١٤ ـ ولا تبدأ فى الأكل ٠

١٥ ـ ادعى الشبع مع مضغ بلعابك ٠

١٦ ـ متسليا بلعابك ٠

١٧ ـ انظر الى الوعاء الذى امامك ٠

١٨ ـ واتركه للحاجة(٧٨) ٠

(٢٣ : ١ ـ ٣)

١ ـ اذا جلست تأكل مع متسلط ، فتأمل ما هو أمامك تأملاً ٠

٢ ـ وضع سكينا لحنجرتك ان كنت شرها ٠

٣ ـ لا تشته اطايبه لانها خبز أكاذيب ٠

وقد استقى « أمنمؤبى » هذه النصيحة من حكم « بتاح حتب » الذى قال فى هذا الصدد « اذا كنت مدعوا الى مائدة من هو أعظم منك ، فخذ ما عسى أن يعطيه لك عندما يوضع امامك لا تنظر الا الى ما هو أمامك ، ولا تسدد نظرات كثيره اليه ، لأن اجباره على الالتفات اليك أمر تكرهه النفس » ٠

غض من طرفك حتى يحييك ، ولا تتكلم حتى يخاطبك ٠ اضحك عندما يضحك فان ذلك يدخل السرور على قلبه وسيقبل منك كل ما تفعله ، ان الانسان لا يعلم ما فى القلب(٧٩) ٠

واقتباس « أمنمؤبى » من حكم « بتاح ـ حتب » يوضح أن الأول كان يستوحى الأدب المصرى القديم السابق لعهده فى وضع تعاليمه هذه ، وهذه الحقيقة تعتبر ردا واضحا على ما يحاوله

بعض علمـاء الكتـاب المقدس من ارجـاع عصر « أمنمؤبى » الى زمن متـأخر ، وبالتـالى يعتبرون حكمـه مستعـارة من الأمثـال العبريـة .

كما ورد فى سفر الأمثال اشـارة تدل بلا شك على الاقتباس من كتاب « أمنمؤبى » ولو أن هـذه الاشـارة ليست على شـكل عنوان ، ولكن فى مقدمة كلمـات الحكماء ورد السـؤال الغريب الآتى : « ألم أكتب لك أمورا شريفـة من جهة مؤامرة ومعرفة ؟ (٨٠) والحقيقة أن عبـارة (أمورا شريفـة) مشكوك فيها ، لذلك وضـع المصنفون العبريون هجـاء آخر لتلك الكلمـة (شريفة) على هامش النسخة العبرية ، فصـارت تعنى « ثلاثين » ، وبالتـالى يصـير السؤال فى سفر الأمثـال هـكذا » الم اكتب لك أمورا ثلاثين من جهـة مؤامرة ومعرفة ؟ ووضـع هذا السؤال فى سفر الأمثـال لا معنى له ، ولكن عندما نلاحظ أن « أمنمؤبى » قسـم كلامه الى ثلاثين فقرة يتضح كل شىء ، وربما كانت تعـاليم « أمنمؤبى » تسمى فى فلسطين « ثلاثين فصـلا فى الحكمة » ثم اختصر الاسـم الى « الثلاثين » وعلى ذلك نصل للموازنة التالية :

أمنمؤبى ٢٧ : ٧ ــ ٨	الأمثـال ٢٢ : ٢٠
تبصر لنفسك فى هـذه الأمور الثـلاثين حتى تـكون مسرة (لك) وتعليما .	ألم أكتب لك ثلاثين فصلا من جهة مؤامرة ومعرفة .

وذكر كلمـة ثلاثين دليل واضـح على أن ترجمـة كتـاب « أمنمؤبى » كاملة ، كانت تحت يد مؤلفى العهد القديم ، ولكى يحافظ الناقل العبرى على معنى وجود كلمـة « ثلاثين » مع عدم نقله للثلاثين فصـلا التى يحويها الأصـل المصرى برمته ، استعمل

بالضبط ثلاثين مثلا فى نسخته العبرية (الأمثال ٢٢ : ١٧ ـ ٢٤ : ٢٢)(٨١) ·

مما سبق يتضح بجلاء مدى تأثر كاتب الأمثال العبرانى بل ونقله من حكم « أمنمؤبى » مما يوضح أثر مصر الفكرى على فلسطين فى تلك الفترة ·

٤ ـ العمـــارة

كان لقرب مصر من فلســطين أثر كبير فى وقوع الحضــارة الفلسطينية تحت التأثير الدائم والمباشر للحضــارة المصرية ، هذا من ناحيــة ، ومن ناحيــة أخرى أثرت الحضــارة المصريــة على فلسطين بطريق غير مباشر عن طريق الكنعانيين/الفينيقيين الذين تأثروا تأثرا كبيرا بالحضــارة المصريــة ، ونقلوها للشــعوب التى استقرت فى فلســطين فيما بعد ، لذلك قلدت منتجات فلســطين المعمارية والفنية المنتجات المعمارية والفنية المصرية ·

(أ) المعـــابد :

لتوضيح أثر العمارة المصرية على فلسطين فى بناء المعـابد ، يجب اولا أن نوضح تصميم المعبد المصرى ، ونطبق ذلك على ما وجد فى فلسطين من معـابد ليتضح مدى الاختـلاف والتشابه بينهـا ولناخذ معـابد الآلهة فى الدولة الحديثــة ، حيث انها تمثل أزهى مراحل العمران المصرى ، وفى نفس الوقت تتمثل فيها الخصـائص والعناصر المعمارية فى معابد الآلهة المصرية السابقة عليهـا بالاضافة الى أن ملوكهـا لم يقتصروا فى بنـاء المعابد على مصر وحدها بل تعدوها الى كل أقاليم امبراطوريتها فى ســورية وفلسطين وبلاد النوبـة ·

يتكون المعبد المصرى فى عصر الدولة الحديثة من الأجزاء الرئيسية الآتية :

١ ـ صرح المعبد ، ويتكون من تاب ضخم مستطيل الشكل ، على جانبيه برجان شاهقان تميل جوانبهما نحو الداخل كلما ارتفعا الى أعلى ، وأمام هذا الصرح يوجد فى المعبد الكبير (مثل معبد آمون) مسلتان وتماثيل للفرعون الذى شيده ، وقد يمتد أمامه أيضا طريق للكباش أو لتماثيل أبى الهول • ويبدأ من الصرح الطريق الأوسط المستقيم الذى يخترق المعبد حتى قدس الأقداس •

٢ ـ فناء كبير مكشوف مستطيل الشكل ، على جانبيه أروقة ذات أساطين ، وهو مخصص لزوار المعبد من عامة الناس ، وكان هذا الفناء يسمى فى المعابد « ساحة الأعياد » حيث يحتفل فيه بأعياد دينية مختلفة وببعض مناسك اليوبيل الملكى مثل طقس الجرى •

٣ ـ يأتى بعد ذلك بهو أو أبهاء الأساطين ، ويستخدم هذا البهو فى عرض تمثال الاله أمام عباده ، حيث يتلقى منهم القرابين ، وفى بعض المعابد يوجد بهوان من هذا النوع ، يتتابعان وراء بعضهما ، فيخصص الأول لعرض تمثال الاله ويسميه المصريون (بهو تجلى الاله) بينما يخصص الآخر لتقديم القرابين ويسمى (بهو القربان) ولا يسمح بدخول هذه الأبهاء الا الكهنة وبعض الخاصة من المتعبدين •

٤ ـ أما القسم الأخير من المعبد ، فيوجد فى منتصفه وعلى امتداد محور المعبد ، غرفة ذات جدران سميكة هى الغرفة الخاصة

بالاله أو هيكل المعبد أو قدس الأقداس وفى هذه الغرفة يوضع رمز الاله أو تمثاله ، اما داخل مقصورة من الجرانيت واما داخل ناووس موضوع فى قارب يستقر فوق قاعدة جرانيتيه ، ويحيط بقدس الأقداس ممر تتفرع منه عدة غرف تستخدم كمخازن للقرابين وأدوات العبادة وأماكن لأداة الطقوس السرية للاله ، ولا يسمح بدخول هذا الجزء (قدس الأقداس وما حوله) الا للملك والكهنة المختصين بالعمل فيه(٨٢) ٠

هذا فى الواقع التخطيط الأساسى للمعبد المصرى دون الدخول فى تفاصيل زخارفه وطرق العبادة فيه ، أما فى فلسطين فقد وجد معبدان مصريان ــ كنعانيان فى « بيت شان » يرجعان للفترة ما بين القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق٠م ، يتكون الواحد منهما من مدخل وصالة أمامها عمودان ومقصورة مرتفعة(٨٣) وفى « حاصور » عثر على بناء شبيه بذلك من عصر البرونز المتأخر ، يتكون هذا البناء من بوابة أمامية تحيط بها قاعدتان لعمودين من البازلت ، تفضى هذه البوابة الى الردهة الرئيسية ، ومن ورائها يدخل الزائر الى قدس الأقداس ، بالقرب من منتصف قدس الأقداس يوجد مذبح للبخور من البازلت يظهر على وجهه الأمامى قرص فى وسطه نجم له أربع شعب وهو يرمز لاله الشمس المصرى الأصيل ، أما عن الأوانى الكبيرة المصنوعة من الفخار فهى قوارير وجرار كانت غالبا مملوءة بالزيت أو النبيذ الذى كان يقرب فى العيد(٨٤) ، يتضح من ذلك تأثير العمار المصرية فى بناء معابد فلسطين والأكثر من ذلك فان المعلومات التى يوفرها العهد القديم عن معبد سليمان(٨٥) تتيح لنا بسهولة التأكد من واقع التأثير المصرى ، على الرغم من أن الكاتب العبرانى يشيد بالمساعدة الفينيقية(٨٦) ٠

ويتكون معبد سليمان كما تخيله بعض الباحثين(٨٧) من الأجزاء الرئيسية الآتية :

١ ـ باب المعبد :

ويحف به من الجانبين عمودان من النحاس (وهو يقابل الصرح فى المعبد المصرى) تليه قاعة أمامية ليس بها أساس دينى معين ٠

٢ ـ البهو المقدس :

وهو المكان الخاص لزوار المعبد من عامة الناس ، للعبادة وإقامة الشعائر ، وقد صفت على جانبيه مناضد لوضع المسارج والشموع (وهذا يقابل الفناء فى المعبد المصرى) ٠

٣ ـ قدس الأقداس :

وهو حجرة مكعبة الشكل مظلمة ، فيها ستار يقسمها قسمين ، فى القسم الداخلى منها تابوت العهد ، أما القسم المفتوح منه فيحتوى فى الوسط على المذبح الذهبى للقرابين(٨٨) (وهذا يقابل قدس الأقداس فى المعبد المصرى) ٠

وبذلك يتضح أن تخطيط المعبد المصرى كان الأساس فى تخطيط معبد سليمان ، علاوة على ذلك فان بعض الممارسات الدينية كانت متشابهة فى كل من المعبد المصرى ومعابد فلسطين ، فيرجع بعض الباحثين أن فكرة « التابوت » مستعارة من المصريين ، حيث أن الفرعون وهو المساوى للآلهة ، كان يحق له وحده أن يفتح الناووس وأن يرى الشعار المرهوب الحافل بالأسرار (تمثال الاله أو رمزه) وفى اليهودية كان الحبر الأعظم وحده يدخل مرة

واحدة فى العـام الى قدس الأقداس حيث تابوت العهد(٨٩) وهناك من يفترض أن التابوت كان صخريا يشبه تابوت أوزير(٩٠) وفى هذه الحـالة يصبح التابوت غريبـا تماما عن دين « يهوه » لأن رب اسرائيل لم ينظر اليه أحد أبدا على انه مماثل للاله المصرى « أوزير » أو حتى « أدونيس » الذى يموت ويحيـا سنويا(٩١) وطبقا لرواية العهد القديم فان التابوت هو عرش « يهوه » الذى يجلس عليـه(٩٢) أو على الأقل نقش عليه اسم « يهوه » قـائد الجيوش أو رب الجنود(٩٣) ومن ثم فهو عرشـه الذى يجلس عليه كاله اعظـم ، وعلى ذلك كان التابوت عند بنى اسرائيـل امتدادا لفكرة المركبة الشمسية التى ينتقل عليهـا اله الشمس فى المحيطات السماويـة عند المصريين(٩٤) وعلى ذلك فالتابوت هو صـندوق مقـدس مثله فى ذلك مثـل غيره من النواويس التى كانت لالهـة المصريين والتى كانت تحمل بصفة خاصـة فى المواكب الدينية(٩٥) كما أن عـادة حرق البخور التى أتبعت فى معبد سـليمان ووجد لها مذبح ، هى من سمات الديانة المصرية القديمـة(٩٦) كما انه لم يعثر على معبد معاصر لمعبد سليمان فى فلسطين ، يضـم ذلك الجهاز الجنـازى الفاخر الذى جاء وصفـه فى العهد القديم من أعمدة وأوان من البرونز والكروبين (وهى تلك التماثيل المجنحـة التى لها جسم أسـد ورأس انسـان) وكذلك الذهب الذى استخدم على نطـاق واسع فى أثاث ذلك المعبد ، (ولكن هذا قليل جدا اذا قيس بما وجد فى المعـابد المصرية) فمعبد « حاصـور » الذى سبق وصفـه ، زودنا بأثاث طقسى من الأوانى والجرار والمذابح وموائد القرابين ، وكان على بوابة المعبد أسـد من البازلت ، ولكنه وجد فى بئر فى أرضية الطبقـة الأولى من المعبد ، ولم يعرف سبب وجوده فى هـذا البئر ، وطرازه يشبه طراز الأسـود التى وجدت

فى مصر الفرعونية ، وجدير بالذكر أنه عثر على تمثال للملك « خفرع » من الأسرة الرابعة فى بئر فى معبد الوادى الخاص بهرمه فى الجيزة ، ولم يجد علماء المصريات أيضا تفسيرا لمكان وجوده فى هذا البئر ، الا أن يكون من جاء تعده خشوا عليه من الضياع أو التشويه فأخفوه فى هذا المكان البعيد عن الأنظار(٩٧) .

(ب) الأعمدة :

توجع أصول الأعمدة فى العمارة المصرية الى أزمنة قديمة ، عندما كان السكان الأولون يدعمون سقوف أكواخهم بحزم من أعواد النبات أو بفروع الشجر أو جذوعه ، ويغلب على الظن أن منها ما كان يحلى فى أعلاه بزهور أو اوراق الشجر خاصة فى الأعياد والحفلات الدينية ، ثم لم يلبث أن غدا ذلك تقليدا مرعيا(٩٨) ويعتبر هذا هو أصل العمود الحجرى ذى التاج الزهرى والذى انتقل الى الحضارة الفلسطينية بعد ذلك(٩٩) ويؤيد ذلك العثور على جزءين من تاج عمود (سابق للأيونى) فى أورشليم ، وقد عثر عليهما فى القمة الشرقية للحافة الشرقية ، ومعهما حجارة منحوتة مبعثرة ، كانت على الأرجح تشكل حائطا يشبه ذلك الذى كان مقاما فى السامرة ، وقد كشف فى السامرة عن تيجان شبيهة بذلك(١٠٠) كما وجد مثلها أيضا فى « مجدو » وهذه التيجان تنتمى لأعمدة مرتبطة ببعضها البعض كانت أصلا تبطن جدران غرفة فسيحة أو ممر متسع ، وقد عثر على تيجان مماثلة فى عدد من المواقع الأخرى بفلسطين ، يرجع تاريخها جميعا الى ما بين القرنين العاشر والسابع ق٠م ، واقدم ما عثر عليه من هذه التيجان حتى الآن ، نموذج تاج ملون وجد فى « مجدو » لايمكن أن يكون تاريخه متأخرا عن القرن العاشر ق٠م(١٠١) .

٥ ـ الفـــن

يمتاز الفن فى سورية وفلسطين بجمعه بين عناصر أجنبية ، وهذا أمر طبيعى من الوجهـة التاريخيـة ، حيث أنه لم تقم فى هـذه المنطقـة قوة سياسية موحـدة ولكن رغم أن التحريم الدينى لتصـوير الرب ، كان عائقا دون تطور فن النحت والتصـوير فى اسرائيل فان مخالفـة العبريين لذلك ، أمدتنا ببعض فنون النحت والتصـوير والفنون الأخرى ٠

تنقص النحت فى فلسطين التمـاثيل الكبيرة ، ولكن التماثيل الصغيرة كثيرة ، والنمط الغالب عليها هو جسم الأنثى العـارى ، وقد بولغ عمدا فى تجسيم مظـاهر الأنوثـة ، وجعلت اليدان على الثديين فى الغالب وهذه التماثيل الصغيرة تمثل الهة الخصوبة(١٠٢) وقد قلد العبرانيون بعد استقرارهم فى فلسـطين ـ سكان البـلاد فى عمل تماثيـل لالهتهم ، والتى اعتبرت مظهرا من مظـاهر القوة الالهية ، وعرفت عندهم باسم « مسكاه » أى الصـور المصبوبة من المعادن(١٠٣) أو « فسيل » بمعنى صناعة التماثيل أو نحتهـا من الخشب(١٠٤) كما عثر الأثريون على نوع من هذه التماثيل مصنوع من الطين أو الحجر ، ويستخدم العهد القديم أحيانا احد اللفظين « مسكاه » أو « فسيل » للتعبير عن صـورة الله(١٠٥) هـذا فضلا عن أن بعض العبرانيين قد صنع بعضـا من هذه التماثيل من الذهب أو الفضـة(١٠٦) ولا يخلو معبد عند العبرانيين من وجود هذه التماثيل لهذه المقدسـات التى تمثل المعبود ، وأحب هـذه التماثيل اليه هو تمثال « العجل الذهبى » ، كما لم يخل معبد ملكى فى اسرائيل من تمثال « الثور »(١٠٧) وان كان العهد القديم يعتبر تقديس هذه التماثيل سمة وثنية(١٠٨) وقد كشفت الحفائر فى فلسطين عن تمثالين للالهتين « عشتار » و « ايزيس » ترجـع

الى أيام الملك « سليمان » والتى يبدو ان نساءه كن يفضلن هذه الآلهة الغريبة (١٠٩) ٠

وطبقا لرواية العهد القديم ، فقد كان فى منزل « داود » تمثال « ترافيم » ربما كان خاصـا بالاله « يهوه » رب اسرائيل ، وقد وضعته زوجتـه « ميـكال » على فراشـه ليقتله جنود « داود » بطريق العوض(١١٠) ٠

وقد أقام بنو اسرائيل تماثيل للمعبودات الأجنبيـة فى المعابد الرئيسية للاله القومى ، وكانت القرابين تقدم الى حيـة النحـاس فى معبد أورشليم حتى أيام « حزقيال » أى فى نهاية القرن الثامن ق٠م وقد كانت هذه الحيـة فيما يرى البعض تمثل الاله « يهوه » وترمز اليه ، وان رفض البعض الآخر وجهـة النظر هذه(١١١) واعتبروها معبودا ثانويا تعزى اليه قوة الشفاء والى هذا يشـير العهد القديم(١١٢) وكان « يهوه» هو نفسه فى الصـورة الفضية التى أقامها « ميخـا » ، الافرامى فى بيته على هيئـة تمثالين ، الواحد مسبوك ، والآخر منحوت ، وكان « ميخـا » بيت للالهـة ، فعمل « أفودا وترافيم »(١١٣) والأمر كذلك تالنسبة لارتبـاط « العجـل الذهبى » بالاله « يهوه » عندما أقـام « يربعـام » الثانى ، عجلين الأول فى مكان عال فى « دان » ، وقد أصبح بعد ذلك معبدا ملكيا ، والآخر فى مكان عال أيضا فى « بيت ايل »(١١٤) ٠

وكان حفر الصـور البارزة مزدهرا نسبيا فى فلسـطين ، كما كان فى سائر انحـاء الشرق الأدنى القديم ، فثمة انصـاب محفور عليهـا مثل النصب الذى اكتشف فى « حاصـور » وهو مهم من الناحيـة الدينية اذ عليه رسـم يمثل ذراعين مرفوعين ، دعـاء وبتهالا وفوقهما رمز للشمس يحف به هـلال ولكن الجزء الأكبر

من الرســوم البارزة فى فلسطين عبــارة عن زخارف على أشــياء صغيرة ، وقد وجد فى أوجاريت طبق رائع رســم عليــه بالذهب البارز منظر جيد كما عثر على فنجــان ذهبى رسمت عليه صــورة بارزة لثيران وأســود وحيوانات غريبة ، وأيضــا وجد رسم عاجى بارز يصــور الهة الحيوانات المتوحشــة وهذه أمثلة حية لمستوى الفن الكنعانى الذى يجب أن نتوقع وجوده فى فلسطين وكل هذه الآثــار تظهر بشــكل واضــح تأثير الفن المصرى وغيره على الفن الفلسطينى(١١٥) وقد كشــف الحفــارون فى خرائب قصر ملوك بنى اسرائيل فى « السامرة » بعض ألواح من العــاج منقوشــة نقشا بارزا كانت تستعمل فى التطعيم الزخرفى الذى كان يحلى به أثاث الملوك العبرانيين ، ومن بين تلك القطع ، قطعــة نقشت عليهــا صورة الهــة العــدالة « ماعت » يحملها الى اعلى ملاك شــمس هليوبوليس فى وضع نفهم منه انه كان على ما يظهر يقدم تلك الصورة لاله الشمس ، وتصميم الرســم مصرى فى كل نواحيــه ، الا أن صناعته تدل بوضــوح على أن نقشه من صنع أياد فلسطينية ، مما يدل على أن الصناع العبرانيين كانوا على علم ومعرفــة بمثل تلك الرســوم المصريــة القديمة(١١٦) وهذه الأشــياء العاجيــة تتفق مع الصورة المعروفة من الآثار التى وجدت فى « مجدو » والتى ينتمى معظمها الى النصف الأول من القرن الثانى عشر ق٠م ٠

من الواضح ان تأثير الفن المصرى كان غالبــا ، حيث أنه من السهل أن نبين أن فن « مجدو » قد نشأ تحت تأثير الأعمــال الفنية الكنعانيــة المنقولة عن أصــول مصرية من عصر الرعامسة ، وعاجيات « السامرة » ســالفة الذكر تنتمى الى مجموعتين ، يمكن تاريخهما من القرنين الثــامن والتاســع على التوالى ، وتتكون المجموعة الأولى من عاجيــات نحتت نحتا بارزا رقيقــا مع الافراط فى استعمال رقائق الذهب للتغشية ، واللازورد فى الترصيع ، وزجاج

ملون ، والوحدات الزخرافيــة مصرية بحتة فى الالهــام وتشــمل أشكالا خرافية مثل حورس الطفل على زهرة اللوتس ، و « ايزيس ونفتيس » تقدســان عمود « جد » و » حورس « ممسكا برمز الحق ، كما سبق ان ذكرنا والمجموعة الثانيــة تتكون من تماثيل على صورة أبو الهول والسيد فى النافذة وبلاطات صغيرة نقشــت بصورة الأسد أو الثور(١١٧) ويحتمل ان هذه الصــور كان يزينُ بها حوائط قصر عمرى وأخاب وهو قريب بما جاء وصفــه فى الكتاب المقدس من وصف لقدس الأقداس لمعبد « سليمان » خصــوصا الكروبين التى صنعت من خشب الزيتون ، وارتفــاع كل منهــا خمسة أمتــار ويبلغ طول كل جنــاح ٥ر٢ متر وكانت مطعمــة بالذهب(١١٨) ٠

وقد وجدت آثارت قليلة للتصــوير بالألوان فى غرف القبور الفينيقية تحت الأرض ، وكانت جدرانهــا محلاه بألوان زاهيــة ، يغلب عليها اللونان الأحمر والأخضر ، مع زخــارف من أكاليــل الزهور والطير ومن البشر والحيوانات أحيانا ، وقد أدى انتشار أعمال الأختام الى تقدم كبير فى فن صناعتها ، وهــذا ينطبق على الحلى وغيرها من أدوات الزينــة التى وجد آثار منها تنطوى على قيمة فنيــة رفيعة ، وعلى الأوسمة والخواتم والأســاور الذهبية ، نجد صــور النخيل والأسود والوعول والطيور ، وكانت القلائد وعقود اللؤلؤ والأقراط وانماطا أخرى للزينة(١١٩) ٠

من كل ما تقدم يبدو واضحــا أثر الحضــارة المصرية على الحضارة الفلسطينية فى كل المجــالات المختلفة ، فى الدين والأدب ، والفن المعمارى وغيره من الفنون الأخرى ٠

هوامش الفصـل الخامس

(١) Roth, C., Ashort History of the Jewish People, London, 1969, P .21.

Noth, M., The History of Israel, London, 1965, PP. 280 — 288.

Wright, B.A., 20, 1957, PP. 140 —149.

Bright, J., A History of Israel, Philadelphia, 1959, P. 213.

برستد : فجر الضمير ، ترجمة سليم حسن ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٣٧١ — ٣٧٢ .

(٢) محمد ابراهيم بكر : « مدينة فرعونية تقدم أدلة أثرية جديدة تؤكد الصلات السامية مع مصر » المجلة التاريخية المصرية ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، ص ١٥ .

(٣) Dothan, Op. Cit., P. 21.

Kenyon, Op. Cit., P. 225.

الملوك الأول ١١ : ٥ .

(٤) تشرنى : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدرى ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٤٤ .

(٥) تشرنى : نفس المرجع ، ص ١٨٤ — ١٨٥ .

(٦) ارمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٦٨ .

(٧) موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٢٧ — ١٢٨ .

(٨) Kenyon, Op. Cit., P. 225.

(٩) تشيرنى : المرجع السابق ، ص ١٤١ — ١٤٢ ، ص ١٨٨ .

(١٠) الموسوعة المصرية : المجلد الأول ، جـ ١ ، تحت مادة سوبد .

(١١) محمد ابراهيم بكر : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(١٢) ارمان : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

عن الآلهة المصرية انظر :

Bonnet, H., Realleikon der ägyptischen Religionsgeschicte Berlin, 1052.

(١٣) فرانكفورت : ما قبل الفلسفة ، ص ٢٦٣ — ٢٦٧ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٢٩ .

(١٤) عبد العزيز صالح : مصر والعرا ، ص ٣٣٣ .

ارمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٧٠ .

Daumas, F., Lacvilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, PP. 213 — 214.

(١٥) عبد العزيز صالح : « الوحدانيــة فى مصر القديمة » ــ المجلة ٣١ ، يوليو ١٩٥٩ ، ص ١٣ .

برستد : فجر الضمير ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

(١٦) ارمان : ديانة مصر القديمة ، ص ١٤٠ — ١٤١ .

برستد : انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخرى ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٣٧ .

(١٧) Breasted, J.H., Development of Religion and Though in Ancient Egypt, London, 1959, P. 332.

Daumas, Op. Cit., PP. 321 — 322.

(١٨) انظر جاردنر : مصر الفراعنة ، ص ٢٥٢ — ٢٥٤ .

ارمان : المرجع السابق ، ص ١٢٧ — ١٣٠ .

(١٩) فرانكفورت : ما قبل الفلسفة ، ص ٢٦٧ — ٢٧٤ .

ول ديورانت : قصة الحضارة ، المجلد الأول ، جـ ٢ ، ترجمة محمد بدران ، القاهرة ، ١٩٦١ .

حسن ظاظا : الفكر الدينى الاسرائيلى ، القاهرة ، ١٩٧١ .

(٢٠) فرانكفورت : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .

(٢١) Daumas, Op. Cit., P. 327.

(٢٢) سيغموند فرويد : موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشى ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٧ — ٥٨ .

(٢٣) انظر سورة الشعراء وتفسيرها .

(٢٤) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٥ .

(٢٥) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٥ ، محمد بيومى مهران النبوة والأنبياء عند بنى اسرائيل ، الاسكندرية ١٩٧٨ ، ص ٨٧ — ٨٨ .

(٢٦) برستد : نفس المرجع ، ص ٣٨٥ .

(٢٧) ملاخى : ٤ : ٢ .

(٢٨) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٨٥ .

(٢٩) Yadin, Y., «The Fourth Season of Excavationsat Hazor,» B.A., 22, N. 1, 1959, P. 59.

(٣٠) انظر فيما بعد الفن ، ص ٢٠٤ .

(٣١) Oesterley, W.O.E., «Egypt and Israel» in The Legacy of Egypt, Oxford, 1947, P. 244.

(٣٢) تنسب المزامير الى « داود » الذى حكم حوالى ١٠١١/١٠ — ٩٧١/٧٠ ق.م ، الا أن بعضهـا قد كتب فى عهد السبى البـابلى (٥٨٧ — ٥٣٩ ق.م) والبعض الأخر بعد السبى وربما فى الفترة من ٤٠٠ — ١٠٠ ق.م ضمت بعضها الى بعض .

Uuger, F., Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, PP. 898 — 899.

(٣٣) هنـاك ما يشير الى أن « اخناتون » قد أقـام ثلاثة مراكز لنشر دعوته فى أنحـاء الامبراطورية المصرية ، كان أحدها فى غربى آسـيا (وربما فى أورشليم أو بيت شمس) .

Hall, The Ancient History of the Near East, P. 300.

فربما انتقلت أنشـودة « اخنـاتون » الى العبرانيين عن طريق هـذا المعبد الاتونى .

(٣٤) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٣ .

Gunn, B., J.E.A., 4, 1817, P. 169.

(٣٥) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .
ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٣٦٦ .
المزامير كتاب الحياة ، ترجمة تفسيرية ، دار الثقافة القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص ٥٩ .
Gressman, H., and Others, The Psalmists, Oxofrd, 1925.

(٣٦) Weigall, A., Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968.

(٣٧) Hall, Op. Cit., P. 20.

(٣٨) Maumas, Op. Cit., P. 322.

(٣٩) يويوت : مصر الفرعونية ، ص ١٢٩ .

(٤٠) شارف : تاريخ مصر ، ص ١٤٠ .

(٤١) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٤٢) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٣٥٦ .

(٤٣) سورة البقرة آية ٩٢ ، سورة الاعراف آية ١٤٨ ، سورة طه آية ٨٨ .

(٤٤) الخروج ٣٢ : ١ – ٦ ، الملوك الاول ١٢ : ٢٨ ٣٠ .

(٤٥) Oesterly, Op. Cit., PP. 239 — 240.

(٤٦) تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى ، ج ١ ، ص ٢٦٠ .

(٤٧) Budge, E.A.W., Egyptian Magic, London, 1986, P. 4.

(٤٨) الخروج ٧ : ١٠ – ١٣ .

(٤٩) الخروج ١٤ : ٢١ – ٢٨ .

(٥٠) نشرها ارمان فى كتابه
Die Marchen des Papyrus Westcar, Berlin, 1890.
ولها ترجمات كثيرة منشورة فى جميع الكتب الخاصة بالأدب الحديث القديم .

(٥١) من هذه القصة انظر : Budge, Op. Cit., PP. 5 — 10.
Erman, A., The Literature of the Ancient Eghptiens, London, 1027, P. 67 ff.

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠ ، تاريخ الحضارة المصرية ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ .

(٥٢) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٨٠ .

من السحر المصرى انظر :

Berghouts, «Magic», LA, III, PP. 1137 — 1151.

Erman, Op. Cit., P. 9 f.

(٥٣)

(٥٤) غوستاف لوبون : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، نابلس ، بدون تاريخ ، ص ٩١ .

(٥٥) Oesterley, Op. Cit., P. 241.

(٥٦) Oesterley, Op. Cit., P. 242.

(٥٧) النسخة العربية تقول « يتبدد كل فاعلى الاثم » .

البرايت : آثار فلسطين ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٥٨) Oesterley, Op. Cit., P. 242.

(٥٩) Oesterley, Op. Cit., P. 242.

البرايت : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٦٠) المزمور ١٢١ : ١ – ٢ .

(٦١) اشعياء ٦٤ : ٨ .

(٦٢) الفت محمد جلال : الأدب العربى – القديم والوسيط ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٧٣ .

(٦٣) الملوك الأول ٤ : ٣٠ – ٣١ .

(٦٤) أحمد فخرى : « الأدب المصرى القديم » فى تاريخ الحضارة المصرية ، جـ ١ ، العصر الفرعونى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٤٣٠ – ٤٤٥ .

Wilson, A.N.E.T., PP. 214 — 421; Oesterley, Op. Cit., PP. 245 — 246.

(٦٥) الأمثال ٢٤ : ٢٣ .

(٦٦) الأمثال ٢٢ : ١٧ .

(٦٧) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٦٨) هذه البردية محفوظة الآن فى المتحف البريطانى (رقم B.M. 10474) وقد اشتريت من أحد التجار فى الأقصر ، ولهذا

كثيرا ما نقرأ أنه عثر عليها فى جبانة « طيبة » ، ولكن لو وضعنا فى أذهاننا أن صاحبها « أمنمؤبى » كان من أهل « اخميم » وأن قبره كان فى جبلها الغربى لرجحنا العثور عليها هناك ، وشراء تجار الأقصر لها من تجار اخميم كما يحدث دائما ، رغم أن « بدج » هو أول من نشرها عام ١٩٢٢ م الا أن « ارمان » كان أول من أشار فى عام ١٩٢٤ م الى أن تعاليم « أمنمؤبى » هى الأساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان كما جاء سفر الأمثال ، وذلك فى مقاله .

«Eine agyptische quelle der Spruche Solomans» in Sit Zungher, d. Preuss A Ked. d. Wissenschatien, 1924, PP. 86 — 93.

احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٣٧١ و ٤٤٥ .

وقام « جريفث » و « سمبسون » بترجمة الوثيقة وعقد مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الأمثال ، أثبتا أن سفر الأمثال قد اعتمدت على تعاليم « أمنمؤبى » الى حد كبير .

Griffith, F.L., «The Teaching of Amenophis the son of K'anaght, Papyrus B.M. 10474, J.E.A., 12, 192, PP. 191 — 231.

Simpson, D.C., «The Hebrew Book of proverbs and the Teaching of Amenophis», J.E.A., 12, 192, PP. 232 — 239.

(٦٩) Kevin, R.O., The Wisdom on Amen — em — opt and its Possible Dependence upon the Hebrew Book of Proverbs, Philadelphia, 1931.

(٧٠) احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٤٥ .

(٧١) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩١ .

(٧٢) المزمور الأول : ١ — ٥ مع ملاحظة أن الكتاب المقدس ذكر كلمة الدين بدلا من كلمة الحساب .

(٧٣) جاب الله على جاب الله : العمل والميزان فى الفكر القديم ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ص ٣٤١ — ٣٤٦ .

(٧٤) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٢ .

البرايت : آثار فلسطين ، ص ٢٤٨ .

Gardiner, Egyptian Grammar, P. 32.

(٧٥) Simpson, D.C., Op. Cit., PP. 232 — 269.

(٧٧) Ibid., P. 23.
Oesterley, Op. Cit., PP. 246 — 247.

(٧٧) برستد : فجر الضمير ، ص ٩٩ — ٤٠٣ .

(٧٨) فى كل المقابلات السابقة اعتمد الباحث على :
Griffith, Op. Cit., PP. 204 — 224.
Simpson, Op. Cit., PP. 237 — 239.
Wilson, A.N.E.T., PP. 412 — 424.

ارمان : الديانة المصرية القديمة ، ص ١٨٢ — ١٨٥ .

برستد : فجر الضمير ، ص ٣٩٩ — ٤٠٥ .

احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ ، ٤٤٦ .

عبد العزيز صالح : مصر والعراق ، ص ٣٦٢ .

(٧٩) أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

(٨٠) الأمثال ٢٢ : ٢٠ .

(٨١) برستد : فجر الضمير ، ص ٤٠٧ .

(٨٢) محمد أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ١٩٢ — ١٩٦ .

(٨٣) Rowe, A., The Topography and History of Beth Shan, Philadelphia, 1930, PP. 19 ; 24.
Eissfeldt, C.A.H.,3 2B, 1980, P. 599.

(٨٤) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٧٠ .

(٨٥) الملوك الأول ٦ : ٣ — ٦ ، ١٤ — ١٥ .

(٨٦) أندريه ايمار وجانين أبوايه : الشرق واليونان القديمة ، ترجمة فريد داغر وفؤاد ابو ريحان ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٢٦٧ .

(٨٧) حسن ظاظا : القدس ، ص ٣٧ — ٤٢ .
Kenyon, Op. Cit., PP. 245 — 247.
Yadin, The Art of Warfare in Biblical Lands, London, 1963, PP. 287 — 288.

(٨٨) حسن ظاظا : القدس ، ص ٤١ — ٤٢ .

(٨٩) لوبون : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٩٠) Lods, A., La Religion d'Israel, Paris, 1908, PP. 110 — 111.

(٩١) Lods, Israel From its Beginning, P. 428.

(٩٢) صمويل الأول ٤ : ٤ .

(٩٣) صمويل الثانى ٦ : ٢ .

(٩٤) فؤاد حسنين : اسرائيل عبر التاريخ ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٦ .

(٩٥) Mowinckel, S., Le Decalogue, Paris, 1027, PP. 67 — 68. Lods, Israel from its Beginning., P. 427.

(٩٦) Ibid., P. 434.

(٩٧) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٧٠ — ٧١ .

(٩٨) محمد أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٩٩) ويلسون : الحضارة المصرية ، ص ٤٩٠ .

(١٠٠) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ٧٠ .

(١٠١) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٢٧ .

(١٠٢) موسكاتى : تاريخ الحضارات السامية القديمة ، ص ١٣٥ .

(١٠٣) تثنية ٩ : ١٢ ، ٢٧ : ٥ ، قضاه ١٧ : ٣ — ٤ .

(١٠٤) قضاة ١٧ : ٣ ، اشعياء ٤٤ : ١٥ ، ٤٥ : ٢٠ .

(١٠٥) الخروج ٢٠ : ٤ ، ٢٤ : ١٧ ، واشعياء ٤٠ : ١٩ .

(١٠٦) الخروج ٢٠ : ٢٣ ، ٣٢ : ٣١ .

(١٠٧) فؤاد حسنين : المرجع السابق ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ .

(١٠٨) الملوك الأول ١٢ : ٢٨ — ٢٩ .

(١٠٩) Bertholet, A., Histoire de La Civilisation d'Israel, Paris, 1929, P. 383.

(١١٠) صموئيل الأول ١٩ : ١٣ – ١٧
Lods, A., Israel from., **P. 429.**

(١١١) Loisy, A., La Religion d'Israel, Paris, 1908, PP. **81 — 82.**
Lods, Op. Cit., P. 429.
الملوك الثانى ١٨ : ٤ .

(١١٢) العــدد ٢١ : ٨ – ٩ .

(١١٣) قضــاة ١٧ : ٥ .

(١١٤) الملوك الأول ١٢ : ٢٨ – ٢٩ .

(١١٥) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٠٦ .
موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(١١٦) برستد : فجر الضمير ، ص ٣٨٦ .

(١١٧) البرايت : آثار فلسطين ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(١١٨) عبد الحميد زايد : القدس الخالدة ، ص ٧١ ، البرايت : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(١١٩) موسكاتى : المرجع السابق ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

الخاتمـــة

استفادت مصر من غزو الهكسوس درســا مهما ، حيث أدركت أن فلسطين تمثل خط الدفاع الأول عن حدودها الشرقيــة ، من هنا أصبح مبدأ مصر فى سياستها تجــاه فلســطين هو السيطرة المباشرة عندما تكون قادرة على ذلك أو غير المباشرة اذا انتابتهــا هزة داخلية ، كما انها عملت على الا تنفرد قوة داخليــة أو خارجية بالسيادة على فلسطين ، بمعنى ان هــذه العلاقة توقفت على أحوال مصر الداخليــة فى المقــام الأول ، فمادامت قوية ظلت فلســطين تدين لها بالولاء والطاعة ، والعكس صحيح •

قرب نهاية الدولة الحديثة سارت الأوضــاع الداخلية فى مصر من سيء الى أســوأ ، وكان ذلك نتيجــــة لعدة عوامل ، منهــا الداخلى مثل الأزمة الاقتصادية وما ترتب عليها من سوء الأحوال الاجتماعية والسياســية والأمنية ومنها الخــارجى ممثلا فى حروب مصر فى الشرق والغرب ضد الليبيين وشعوب البحر والتى نتج عنها استيطان بعض هذه العنــاصر فى غربى آسيا ، بل واستقرار بعضهم الآخر فى مناطق من مصر نفسها •

انعكست هذه الأوضاع الداخلية على موقف مصر فى آســيا فانحسر نفوذها عن هذه المنطقة ، وفى رحلة « ونأمون » خير مثال

على ذلك ، كما تعرضت مصر لغزو شعوب البحر ، ورغم نجاح كل من مرنبتاح ورمسيس الثالث فى وقف تقدمهم صوب مصر حربيا فانهم استقروا سلميا على حدودها الشرقية وفى فلسطين وفى بعض موانىء الشاطىء الفينيقى .

أما فلسطين فقد كانت مقسمة الى العديد من الممالك الصغيرة التى أتاح لها انحسار السيادة المصرية الفرصة للاستقلال ، بل قيام المنافسة والصراع فيما بينها لمحاولة كل منها بسط سيادتها على الأخرى ، وكان يستوطنها فى تلك الفترة الكنعانيون والمؤابيون والأدوميون والبلست والعبريون .

استمر تدهور أحوال مصر الداخلية ، ومع بداية الأسرة الواحدة والعشرين انقسمت البلاد واقعيا الى مملكتين ، الأولى فى الشمال ويحكمها بيت « نسبا نب جد » وعاصمتها تانيس ، والثانية فى الجنوب ويحكمها بيت « حريحور » وعاصمتها « طيبة » وأتبع البيان سياسة الوفاق فيما بينهما ، وفى سبيل تحقيق ذلك زوج بعض ملوك « تانيس » بناتهم كهنة « طيبة » لضمان مشاركتهم فى كهانة « آمون » وان كان لهذه السياسة وجه آخر ، حيث نقلت بنات تانيس لكهنة طيبة وأبنائهم حقوقا شرعية استغلها بعضهم فى اتخاذ الألقاب الملكية ، وكان لذلك أثره السلبى على حالة مصر السياسية فى تلك الفترة .

شغلت مصر بأحوالها الداخلية تاركة فلسطين وشأنها مما هيأ الفرصة لقيام ممالك قوية مثل مملكة العبريين ، وكان وراء قيام هذه المملكة العديد من العوامل ، منها تعرض العبريين للخطر المستمر من الكنعانيين والبلست ، ومنها أيضا معرفة العبريين بوجود محاولات سابقة لقيام النظام الملكى ، كما كان العبريون

يرغبون فى أن يكون لهم ملوك مثل جيرانهم الكنعانيين والأدوميين والمؤابيين ، استمد العبريون أسس ملكيتهم هذه من بلاد الرافدين وان كانوا قد أدخلوا عليها من التعديلات ما جعلهـا تلائم ظروفهم ومعتقداتهم ، ويتضح ذلك من معارضـة الأنبياء للحـكم الملكى المستبد ، وتأكيدهم دائما على ان يهوه هو ملكهم الوحيد ، وادراكهم الكامل بأن الملكيـة بدعة كنعانيـة ، وبعد قيام الملكية أصبح الملك لا يتمتع بأى مميزات أكثر من ذى قبل ، بل انه شخص خاضـع ليهوه ومهمته هى المحافظـة على عدالته وتنفيذ حكمه على الأرض وكان الملك هو الرابطة بين يهوه وشعبه ٠

كان لقيام الملكية الاسرائيلية أثر كبير على أحوال فلسطين ، حيث حاول العبريون زيادة مسـاحة مملكتهم على حساب جيرانهم ، من هنا كان صراعهم مع الفلسطينيين ، ذلك الصراع الذى استمر طوال عصر الملكيـة ، ورغم ذلك لم يتمكن العبريون من بسـط سيادتهم على الاقليم السـاحلى ، ثم كان صراعهم مع الأدوميين حيث تمكن داود من غزو مملكتهم واحتلالها ٠

رغم ضعف مصر الداخلى عملت على تحقيق سياستها تجـاه فلسطين ، فكلما شعرت بالقوة وجهت الحمـلات لغزوها ، فكانت حملة « سيامون » من الأسرة الحادية والعشرين ، ثم حملة شاشانق الأول من الأسرة الثانيـة والعشرين ، فاذا أصبحت غير قادرة على توجيه هذه الحمـلات استماتت فى الحيلولة دون انفراد قوة داخلية بالسيادة على فلسـطين ، من هنا كان وقوفهـا بجانب الفلسطينيين ضد مملكة داود ومن بعده سـليمان ، وأيضـا مساعدتهم للأدوميين ضد نفس المملكة ، ثم عملت مصر جاهدة على تفتيت قوة العبريين حتى تحقق لها ما أرادت بعد موت سليمان ، فانقسمت مملكتهم الى اسرائيل فى الشـمال ويهوذا فى الجنوب ، والأكثر من ذلك أن مصر

كانت تتحول من العداء السافر الى عقد التحالف مع العدو اذا كان فى ذلك ما يحقق مصلحتها ، من هنا كان تحالف سيأمون مع سليمان ، ذلك التحالف الذى تعزز بزواج الملك العبرى من ابنه فرعون ٠

كان نتيجة السياسة التى أتبعها ملوك الأسرتين العشرين والحادية والعشرين فى ادارة شئون الحكم والسماح للعناصر الأجنبية بالاستقرار فى مصر ان قامت الأسرة الثانية والعشرون من العناصر الليبية التى وجدت طريقها الى مصر واستقرت فى بعض اقاليمها لاسيما فى منطقة بوبسطة بشرق الدلتا ٠

لم تشهد مصر فى عصر هذه الأسرة محاولات جادة لمعالجة أزمة وحدتها السياسية التى ظهرت بصورة شكلية فى عهد شاشانق الأول مؤسس الأسرة ، والذى كان لسياسته هو وأسرته الأثر على حالة مصر السياسية ، حيث وقعت فريسة للانقسامات الداخلية بين الشمال والوسط والجنوب ، وداخل هذه الوحدات السياسية الثلاث ٠ فبعد أن كان انقسام البلاد فعليا اتخذ الشكل الرسمى باعلان « بدو ــ باست » ، نفسه ملكا فى « لنتو بولس » (تل المقدام) وبه تبدأ الأسرة الثالثة والعشرون حوالى ٨١٨ ق٠م وأصبحت الأسرتان متعاصرتين ، ومنذ ذلك الوقت تركت البلاد فى أيدى رؤساء محليين حتى انتهى الأمر بأن أعلن معظمهم استقلالهم بالمدن الرئيسية فى مصر الوسطى والعليا (هيراقليوبولس ــ هيرموبولس ــ طيبة) ، وأصبحوا يشيرون الى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون ، وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية وكتب اسمه داخل خرطوش ، أما الشمال فلم يكن أسعد حظا من الجنوب حيث ظل رؤساء الماشواش وكهنة بتاح يحكمون فى منف ، أما شرق الدلتا فكان وسركون الرابع فى تانيس وأيبوت الثانى فى تل

المقدام « ونخت حرناسنوت » فى « بر ــ جرر » و « باثنف » فى « بر ــ سيد » (صفط الحنة) وفى شـمال ووسط الدلتا ظلت منديس (تل الرعة وتل تمى الأمديد) امـارة « للمـا » وكان « اكانشا » يحكم فى « ثب ــ نتر » (سمنود) الدلتا تمكن تف نخت حاكم سايس من تأسيس الأسرة الرابعة والعشرين ٠

أثرت هذه الأحوال الداخلية على موقف مصر بين جيرانهـا فى الجنوب والشرق ، ففى الجنوب كانت النوبة تشهد نموا سريعـا لبعض العناصر الكوشـية التى تشبعت بأصـول الحضارة المصرية القديمة واتخذت نباتا عاصمة لها ، ثم أخذ حكامهـا يتطلعون الى مد نفوذهم صـوب مصر وسـاعدهم على ذلك أحوالها الداخليـة فى ذلك الوقت ، فتمكن الملك كاشـتا من بسط نفوذه على طيبـة بعد أن استولى على النوبة السـفلى ثم تمكن « باى » من غزو مصر واعـلان نفسه ملكا عليهـا ، واستمر الحـال هكذا الى أن تمكن شباكا من القضاء على آخر ملوك الأسرة الرابعـة والعشرين المناوءة له وأعلن قيـام الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر ٠

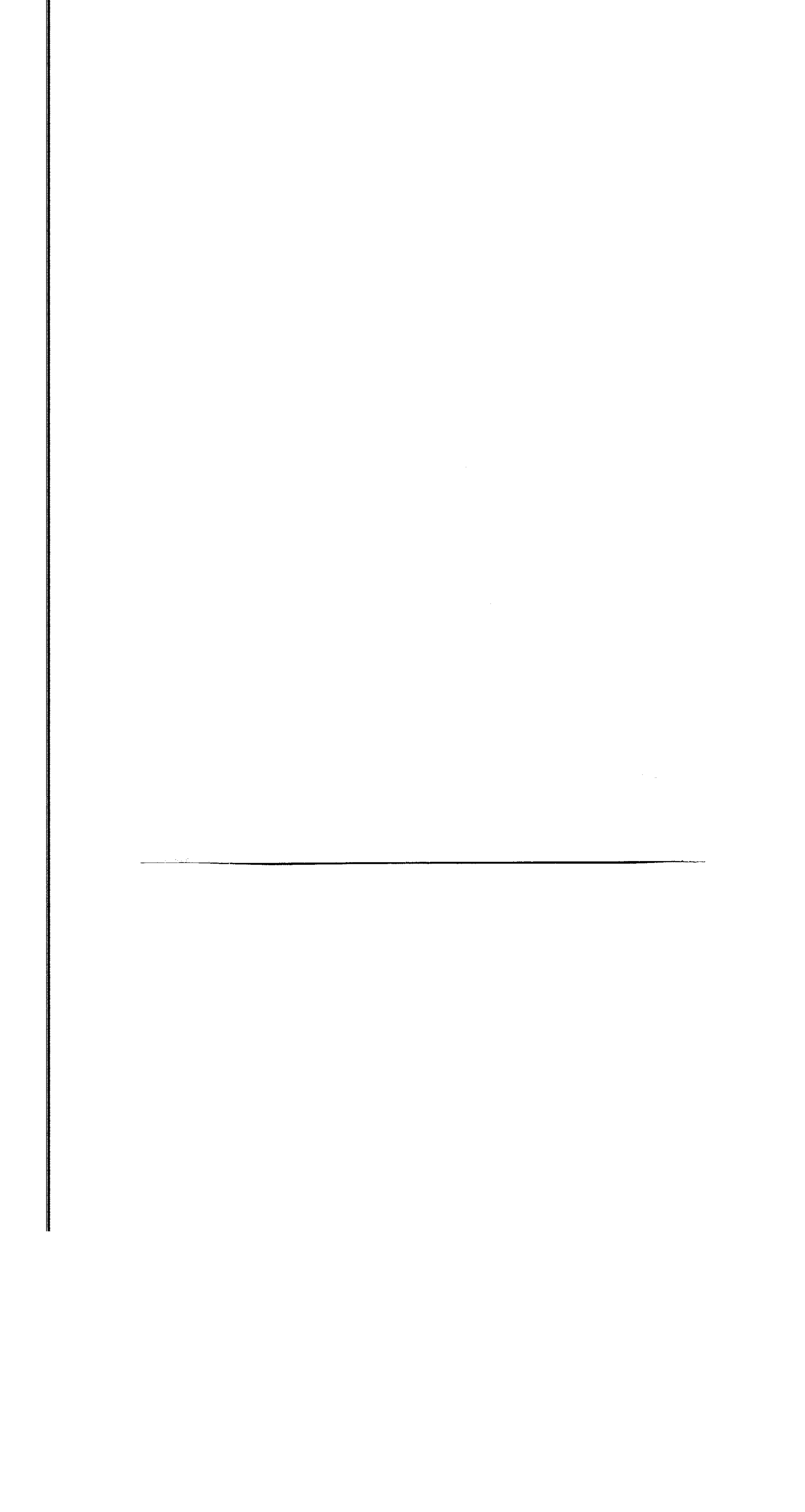
اما فى الشرق فبالاضافة لضعف مصر كانت فلسطين وسوريا تعانيان النزاعات الداخليـة ، مما هيـأ الفرصة لقوة فتية أن تتدخل فى بلاد الشـام ونعنى بهم الآشـوريين ، فكانت حمـلات تيجلات بيليسر الثالث الذى اسـتولى بمقتضاها على بلاد الشام وادخلها ضمن المقاطعات الآشـورية وأتبع نحوها نظـام الترحيل الجماعى لسكانها وأحل مكانهم سـكان من مناطق أخرى ، وكان وراء ذلك أهداف اقتصـادية وسياسية ، وتابعه فى هذه السياسة من جاء بعده من ملوك آشـور (سرجون الثـانى ــ سناحريب) ولكن رغم هذه السياسـة الوحشية لم تنقطع ثورات بلاد الشـام فى وجه الآشـوريين فكان تمرد هوشع ملك السامرة على السـيادة

الآشورية ورفض دفع الجزيــة الســنوية ، وتحاشــيا لانتقــام آشور قام بالاتصــال بمصر وطلب عونها ويميل الباحث الى ان الملك المقصــود الذى حكم مصر خــلال تلك الفترة ولم يذكره العهد القديم هو « تف ــ نخت » وان لفظة « ســوا » التى جاءت فى العهد القديم هى اسم « ســاوا » أو « سايس » عاصمة « تف ــ نخت » ، ثم كانت ثورة أشــدود وعصيان هانو حاكم غزة الذى خلع الحــاكم الآشورى وطرد الحاميــة ومن الواضح أن مصر كانت وراء كل هذه الثورات وتلك التمردات ، اما بارســال الامدادات والجنود كما حدث فى موقعة قرقر ، واما بوعد هذه الممالك بالمساعدة لتشجيعها على الثورة كمــا حدث مع هوشــع ملك السامرة ٠

وعلى ذلك ظلت مصر تعمل على اشعال الثورة فى فلســطين ضد آشــور ، ولثلاث مرات اجتاحت الجيوش الآشــورية سوريا وفلســطين حتى الحــدود المصرية ، ولثــلاث مرات ولأســباب مختلفة ــ كانت مصر عاملا مهما فى المرات الثلاث ــ يعودون دون أن يعبروا هذه الحدود ، الا أن النهاية لم تكن بعيدة الوقوع حيث كان على مصر أن تواجه سنة الحيــاة فى شيخوختها الثالثة ، وبلغ الأمر مداه فجهز الملك الآشــورى أسرحدون كل امكانياته لغزو مصر باعتبارها آخر مناطق الشرق القديم بعدا عن نفوذه وأملا فى القضــاء على ما بقى لها من قدرة على المنافسة الحربيــة وطمعا فى ثرائها وقطع معونتها عن حلفائها فى فلسطين وســورية وتحقق أمل آشــور فى احتلال مصر عام ٦٧١ ق٠م ٠

اذا كانت العلاقات السياسية بين مصر وفلسطين قد اتسمت بالمد والجزر ، الا أن التأثيرات الحضــارية ظلت متبادلة بين البلدين، حيث انها ليست سريعة الزوال كالنظم السياســية وقد وجدنا هذه التأثيرات واضحة تماما فى المجــالات المختلفــة مثل الفكر الدينى والأدب والعمارة والفن ٠

المصـــادر والمراجـــع



أولا ـ المراجع العربية والمعربة

ابراهيم ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، جـ ٣ ، سورية ، ط ٣ ، دار المعارف ١٩٦٦ ٠

أبو بكر ، عبد المنعم : اخناتون ، القاهرة ١٩٦١ ٠

ـــــــ وآخرون : العراق القديم ـ تاريخه وحضارته ، الألف كتاب ٥٩ بدون تاريخ ٠

أبو طالب ، محمـود : آثار الأردن وفلسطين فى العصور القديمة ، الأردن ١٩٨٠ ٠

أحمد ، محمد خليفة : دراسات فى تاريخ وحضـارة الشعوب السامية القديمة ، القاهرة ١٩٨٥ ٠

الأحمدى ، سامى سـعيد : « الادارة ونظام الحكم » فى حضـارة العراق القديم ، جـ ٢ ، بغداد ١٩٨٥ ٠

باقـر ، طـه : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ـ الوجيز فى حضارة بلاد الرافدين ، جـ ١ ، ط ٢ ، بغداد ١٩٨٦ ٠

بكر ، محمـد ابراهيم : تاريخ السودان القديم ، القاهرة ١٩٨٤ ٠

ـــــــ : « مدينـة فرعونيـة تقدم أدلة أثريـة جديدة

تؤكد الصلات السامية مع مصر » المجلة التاريخية المصرية ، ٣٠ ، ٣١ ، ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ ٠

جلال ، ألفت محمد : الأدب العبرى القديم والوسيط ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

حسن ، سليم : مصر القديمة ، ج ٦ ، القاهرة ١٩٤٩ ٠

ـــــــــــ : مصر القديمة ، ج ٩ ، القاهرة ١٩٥٢ ٠

ـــــــــــ : مصر القديمة ، ج ١١ ، القاهرة ١٩٥٨ ٠

حنون ، نائل : عقائد ما بعد الموت فى حضارة بلاد وادى الرافدين القديمة ، بغداد ١٩٧٧ ٠

زايد ، عبد الحميد : الشرق الخالد ، القاهرة ١٩٦٦ ٠

ـــــــــــ : القدس الخالدة ، القاهرة ١٩٧٤ ٠

سليمان ، عامر : « العلاقات السياسية الخارجية » فى حضارة العراق القديم ، ج ٢ ، بغداد ١٩٨٥ ٠

سعيد ، أحمد محمد : نهاية الأسرة التاسعة عشرة فى مصر (١٢٠٤ ـ ١١٨٤ ق٠م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٨٩ ٠

سعد الله ، محمد على : الدور السياسى للملكات فى مصر القديمة ، الاسكندرية ١٩٨٨ ٠

شهاب الدين ، تحية محمد : الوحى الالهى فى مصر القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة ١٩٨٨ ٠

شكرى ، محمد أنور : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٨٦ ٠

صالح ، عبد العزيز : التربيـــة والتعـليم فى مصر القديمـــة ، القـاهرة ١٩٦٦ ٠

ـــــــــــ : حضـارة مصر القديمـة وآثارهـا ، جـ ١ ، الاتجاهات الحضـارية العامـة حتى أواخر الألف الثالث ق٠م ، القاهرة ١٩٨٠ ٠

ـــــــــــ : الشرق الأدنى القديم ، جـ ١ ، مصر والعراق ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٨٢ ٠

ظاظـا ، حســـن : القـدس ــ مدينـــة الله أم مدينـــة داود ، الاسكندرية ١٩٧٠ ٠

ـــــــــــ : الفكر الدينى الاسرائيلى ، القـاهرة ١٩٧١ ٠

عبــود ، هنــرى : معجم الحضارات السامية ، بيروت ١٩٨٨ ٠

العزاوى ، داود سليمان : تاريخ العلاقات العراقية المصرية فى فجر التـاريخ حتى الحرب العالميـة الأولى (٣٠٠٠ ق٠م ــ ١٩١٤ م) ، بغداد ١٩٨٤ ٠

عصفور ، محمد أبو المحاسن : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ــ من أقـدم العصـــور حتى مجىء الاسـكندر ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨١ ٠

فخــرى ، أحمـــد : مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٨٦ ٠

ـــــــــــ : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم مصر ــ العراق ــ سوريا ــ اليمن ــ ايران ، ط ٢ ، ١٩٦٣ ٠

قنديل ، عبد الرازق أحمد : « يهود مصر » مجلة كليـة اللغـات والترجمة جامعة الأزهر ، ١٠ ، ١٩٨٦ ٠

كامــل ، وهيــب : ديودور الصقلى فى مصر ، القاهرة ١٩٤٧ .

مصطفى ، عادل سيد : دراسة تاريخية وحضارية للأسرة الرابعــة والعشرين فى مصرالفرعونية ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٩٠ .

موسى ، محمد العزب : موسى مصريا ، القاهرة ١٩٦٩ .

نور الدين ، محمد عبد الحليم : دور المرأة فى مصر القديمــــة ، ألقابها ووظائفها ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٦ .

أرمــان ، أدولــف : ديانــة مصر القديمــة ، ترجمــة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٢ .

أرمان ، أدولف ورانكه ، هرمان : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٣ .

البــرايت، وليــم : آثار فلسطين ، ترجمة زكى اسكندر ومحمد عبد القادر ، القاهرة ١٩٧١ .

ايمار ، أندريه وأبوايه ، جانيين : الشرق واليونان القديمة ، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان ، بيروت ١٩٦٤ .

برستد : جيمس هنرى : تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسى ، ترجمة حسن كمال ، القاهرة ١٩٢٩ .

ــــــــــــــــ : فجر الضـــمير ، ترجمــة ســليم حســن ، القــاهرة ١٩٥٦ .

بريشارد ، جيمس : نصوص الشرق الأدنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، جـ ١ ، ترجمة عبد الحميد زايد ، القاهرة ١٩٧٨ .

تشرنى ، ياروسلاف : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة أحمد قدرى، هيئة الآثار المصرية (مشروع المائة كتاب) الكتاب السادس ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٧ ·

جاردنر سير آلان : مصر الفراعنة ، ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ ·

دريوتون ، ايتين وفانديه ، جاك : مصر ، ترجمة عباس بيومى ، القاهرة ١٩٥٠ ·

دوماس ، فرانسوا : الهة مصر ، ترجمة زكى سوسن ، القاهرة ١٩٨٦ ·

ديلابورت : بلاد ما بين النهرين ـ الحضارتان البابلية والآشورية ـ ترجمة محرم كمال ، **بدون تاريخ** ·

رو ، جورج : العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد ١٩٨٦ ·

سيجال : حلول تاريخ الأنبياء عند بنى اسرائيل ، ترجمة حسن ظاظا ، بيروت ١٩٦٧ ·

شارف ، الكسندر : تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى أنشأ مدينة الاسكندرية ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٦٠ ·

فرانكفورت ، هنرى : فجر الحضارة فى الشرق القديم ، ترجمة ميخائيل خورى ، بيروت ١٩٥٩ ·

ـــــ وآخرون : ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، بغداد ١٩٧٤ ·

فرويد ، سيغموند : موسى والتوحيد ، ترجمة جورج طرابيشى ، بيروت ١٩٧٣ .

كريمر : صمويل نوح : من ألواح سومر ، ترجمة **طه باقر** ، بغداد .

لوبون : غوستاف : حضارة بابل وآشور ، ترجمة محمود خيرت ، القاهرة ١٩٤٧ .

———— : اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ، ترجمة عادل زعيتر ، نابلس ، **بدون تاريخ** .

ماير ، ادوارد : حياة صمويل النبى ، ترجمة مرقس داود ، القاهرة ١٩٦٧ .

موسكاتى ، سبتينو : الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، **القاهرة** ١٩٦٨ .

ماسبيرو ـ جاستون : تاريخ المشرق ، ترجمة أحمد زكى ، القاهرة ١٨٩٧ .

هيردوت يتحدث عن مصر : ترجمة محمد صقر خفاجة ، القاهرة ١٩٨٧ .

ويلسون ، جون : الحضارة المصرية ، ترجمة احمد فخرى القاهرة ١٩٥٥ .

يويوت ، جان : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زاهران ، القاهرة ١٩٦٦ .

Aharoni, Y., The Northern Boundary of Judah», P.E.Q.. 90, 1958, PP. 27 — 31.

—————— , The Land of The Bible, A Historical Geography, Translated from the Hebrew by Rainey, AF., London, 1970.

Albright, W.F., The Biblical Period, from Abraham to Ezra, N.Y., 1936.

—————— , «New Light from Egypt on the Chronology and History of Israel and Judah», B.A.S.O.R., 130, 1953, PP. 4 — 11.

—————— , «The Amarna Letters», A.N.E.T., 1969, PP. 438 — 490.

—————— , The Amarna Letters from Palestine, S.A.H3.. 2A. 1980, PP. 98 — 107.

—————— , The Sea People in Palestine, C.A.H3., 2A. 1980, PP. 705 — 715.

Al-Amir, Mustafa, «Monogamy, Polygamy, Endogamy and Consanguinity in Ancient Egyptian Marriage», B.I.F.A.O., 62, 1964, PP. 103 — 107.

Allen, C.M., (ed.) The Eerdmans Bible Dictionary, 1987.

Andre, P.R., Chronologie égyptienne, Les Hebvreux en Egypte, Paris, 1968.

Astour, M., C., Hellensoemitica, Leiden, 1965.

Atlas of the Bible, 1987.

Barnett, R.D., «The Sea Peoples», C.A.H3., 2A, 1980, PP. 359 — 371.

Bartlett, J.R., «The Moabites and Edomites» in Wiseman, D.J., Peoples of The Old Testament Times, Oxford, 1073.

Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914.

Bermant, C.H., and Weitzman, M., E.B.L.A, An Archaeological Enigma, London, 1979.

Blackman, A.H., «On the Position of Wonen in the Ancient Egyptian Hierarchy», J.E.A., 7, 1927, PP. 8 — 30.

Bliss, F.J., and Macalister, A.S., Excavtion in Palestine, London, 1902.

Blegen, C.W., «The Expansion of the Mycenaean Civilization», C.A.H3., 2A, 1980, PP. 172 — 179.

Bonfont, G., «Who were the Philistines ?» A.J.A., 50, 1946, PP. 251 — 261.

Borger, R., «Das ende des Agyptischen feldherrn Sib'E»,

J.N.S.E., 19, 1960, PP. 49 — 53.

Botti, G., «Who Succeeded Ramesses IX Nefer ke re ?»,

J.E.A., 14, 1928, PP. 48 — 51.

Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, IV, Chicago, 1906.

Bright, J.A., History of Israel, London, 1972.

de Buck, A., «The Judical Papyrus of Turin», J.E.A., 23, 1937, PP. 152 — 164.

Budge, E.A.W., Egyptian Magic, London and Boston, 1986.

Bury, J.B., A History o fGreece, 4th, ed., Oxford and London 1987.

Capart, J., and Gardiner, A.H., «New Light on the Ramesside Tomb-Robberies», J.E.A., 22, 1936, PP. 169 — 193.

Catling, H.W., «Cyprus in the Late Bronze Age» C.A.H3., 2A, 1980, PP. 188 — 215.

Terny, J. «A Note on the Repeating of Births», J.E.A., 15, 1929. PP. 194 — 199.

————, «Fluctuation in the Grain Prices during the Twentieth Dynasty» A.O., 6. 1933, PP. 173 ff.

————, «Studies in the Chronology of Twenty-first Dynasty», J.E.A., 32, 1946, PP. 24 — 30.

————, «Egyptian Oracles» in Parker, R.A., A Saite Oracle Papyrus from Thebes, Previdence, 1961.

Terny, J., «Egypt from the Death of Ramesses III to the End of The Twenty-first Dynasty», C.A.H3., 2B. 1980.

Chaban, M., : Fouilles a Achmounein», A.S.A.E., 8, 1908, PP. 210 — 223.

Childs, B.S., Isaiah and The Assyrain Crisis, London, 1967.

Clermont — Ganneau, G.A., La Stèle de Mesa, Paris, 1887.

Maressy, G., «Fouilles de L'angle nord-Ouest de L'Eenciente du grand Temple d'Amon a'Karnak», A.S.A.E., 22, 1922, PP. 60 — 64.

Daumas ,F., La Civilisation de L'Egypte pharaonique, Paris, 1965.

Douthan, M., «The Excavation at Tell Mor», I.E.J., 10, 1960, PP. 123 — 125.

Dothan, T., The philistinges and Their Material Culture, New Havan and London, 1982.

Douglas, J.D., (ed.) The New Bible Dictionary, London, 1965.

Driver, S.., Notes on the Hebrew Text of the Books of Samuel, Oxford 1913.

Driver, G.R., and Miles, J.C. The Babylonian Laws, London, 1955.

Edgerton, W.., «The Government and Governed in The Egyptian Empire J.N.E.S., 6, 1947, PP. 152 — 160.

————— , «The Strickes in Ramesses III's Twenty Ninth Year», JN.E.S., 10, 1951, PP. 137 — 145.

Edgerton, W.F., and Wilson, J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936.

Erman, A., The Literature of the Ancient Egyptian, London, 1927.

Faukner, R.O., «The wars of Sethos I». J.E.A., 33, 1947, PP. 34 — 39.

————, «Egypt from the Inception of the Ninetenth Dynasty to the Death of Ramesses III» SA.H3., 2A, 1980.

Frankfort, H., Kingship and the Gods, Chicago, 1948.

————, «Egyptian and Assyrian Relisfs», Netherlands Year-Book for History of Art, 5, 1954, PP. 1 — 10.

Freedman, D.N., «A Moabite Inscription from Kerank», B.A.S.O.R., 175, 1964, PP. 50 — 51.

Gaballa, GA., «Three Documents from the Reign of Ramesses III» J.E.A., 59, 1973, PP. 109 — 113.

————, Narrative in Egyptian Art, Mainz, 1976.

Gardiner, A.H., «The Ancient Military Road between Egypt and Palestine», J.E.A. 6, 1920, PP. 99 — 116.

————, Egypt Grammar, Oxford, 1927.

————, Late Egyptian Stories, Brussels 1932.

————, «Ramesside Texts Relating to the Taxation and Transport of Corn», J.E.A., 27, 1941, PP. 41 — 72.

————, Ancient Egyptian Onomastica, 2 Vols. Oxford, 1947.

Glueck, N., The Other Side of the Jordan, New Haven 1945.

Goedicke, H., «The End of (So) king of Egypt». B.A.S. O.R., 171. 1963, PP. 64 — 66.

Goedicke, H., «Was Magic Used in the Harem Conspiracy aganist Ramsses III»., J.E.A. 94, 1964, PP. 86 — 91·

———— , «Consideration on the Battle of Kadesh», J.E.A., 52, 1966. PP. 72 — 80.

———— , The Report of Wenamun, Baltimor and London, 1976.

Goetz, A·, «Hittite Historical Texts», A.N.E.T., 1969.

Griffith, F., «Akhenaten and the Hittites», J.E.A. 9. 1923, PP. 78 ff·

———— , «The Teaching of Amenophis the son of Kanakht», J.E.A., 12, 1926, PP. 181 — 231.

Hall, H·R., «Egypt and The External World in The Time of Akhenaton» JE.A., 7, 1921, PP. 39 ff.

———— , «A Ramesside Royal Statue from Palestine», J.E.A·, 14, 1928 ,PP. 280 — 281.

———— , The Ancient History of the Near East, 11th ed., London, 1963.

Hitti, Ph.K., History of Syria, London, 1951·

Hograth, D.G., «Egyptian Empire in Asia», J.E.A· 1, 1914, PP. 9 — 17.

Honer, L·L., Sennacherib's Invasion of Palestine, 1926

Hook, S.H., Myth and Ritual, London, 1963.

Jacobsen, T., «The Concept of Divine Parentage of the Ruler in the Stele of the Vultures», J.N.E·S., 2, 1943. PP. 119 — 121.

Kees, H., Herihor und die Aufrichtung des Thebanischen Gottesstats, Gottingen, 1936.

————, Ancient Egypt, Acultural Topography, Translated by Morrow, F.D., 1961.

Keller, W., The Bible as History, London, 1967.

Kenyon, K.M., «Excavation in Jerusalem» P.E.O., 95. 1963.

Kenyon, Archacology i nthe Holy Land, London, 1970.

Kevin, R.O., The Wisdom of Amen-em-opet and Its Possible Dependence upon the Hebrew Book of Proverbs, Philadephia, 1931.

Kitchen, K.A., «Some New Light on the Asiatic Wars of Ramesses II», J.E.A., 50, 1964, PP. 68 — 79.

————, «The Philistines» in Wiseman, Peoples Of Old Testament Times, Oxford, 1973.

————, On The Princdoms of Late Libyan in Egypt, C.d.E., 52, 1977.

————, The Third Intermediat Period in Egypt (1100 — 650 B.C.) 2nd ed., Warminster, 1986.

————, «Egypt and Israel during the First Millen nium B.C,» V.T., 40, 1988, PP. 107 — 123.

Kraeling, G., Aram and Israel, N.Y., 1918.

Labat, R., Le caractère religieux de la royaute — assyro babylonienne, Paris 1939.

Lacau, P., et, Chevrier, H., Une Chapelle de Sesostris Ler à Karnak, Le Caire, 1956.

Leclant ,J·, and Yoyotte, J., «Notes dHistoire et de civilisation ethiopiennes», B.I.F.A.O., 51, 1958, PP. 1 — 30.

Lefebre, G·, Histoire de grands prêtres d'Amon de Karnak

Jusqu'à la xxi Dynastie, Paris, 1929.

Leo Oppenheim, L.A., «Babylonian and Assyrian Historical Texts», A.N.E.T., 1969.

——————, «Histroiographi Documents, The Sumerian King List», A.N.E.T·, 1969.

Lods, A., La Religoin d'Israel, Paris, 1908.

——————, Isdrael from Its Beginning to the Middle Eight Sentury, London, 1972.

Louis, D.L·, «The Second Campaign of Sennacherib»,

J.N.E.S., 32, 1973, PP. 312 — 317.
lonia, 2 Vols 1926 — 1927.

——————, «Annals of Sennacherib» O.I.P., 2 PP.

Luckenbill, DD·, Ancient Records of Assyria and Baby-
9 — 19.

Macalister, R.A·S., The Excavation of Gezer, 3 Vols, London, 1912.

Malamat, A., «The Kingdom of David and Solomon, in Its Cantact with Egypt and Aram Naharaim» B.A. 21, 1958. PP. 96 — 102.

———————, Aspects of Foreign Policies of David and Solomon, J.N.E.S., 22, 1063, PP. 1 — 17.

Malamat, A., Campaigns to the Mediterranean Iahdunlim and other Early Mesopotamian Rulers, Chicago 1965.

Mariette, A., Le Serapeum de Memphis III, Paris, 1875.

Maspero, G., Histoire Ancienne des peoples de L'Orient Classique Tome III, Paris, 1899.

Mazar, B., «The Campaign of Pharoh Shishak to Palestine» V.T., 4, 1057, PP. 57 — 66.

———————, The Philistines and Their Vars with Israel, New Brunswick, 1971.

Meek, T.J., Hebrew Origins, N.Y., 1950.

Mercer, S.A.B., The Tell El-Amarna Tablets, Toronto, 1939.

Millard, A.R., «The Canaanites» in Wiseman Peoples of Old Testament Times, Oxford, 1973.

Montgamery, J.A., The Books of Kings, London, 1951.

Montet, P., La Drame d'Avaris, Paris, 1940.

———————, Les Constructions et Le Tombeau de Pausennes à Tanis, La Necropole royale de Tanis) Tome II, Paris, 1951.

Mowinckel, S., LeMe caloque, Paris 1927.

———————, He that Cometh, N.Y., 1954.

Murphy, P., «A Fragment of a Moabite Inscription»., B.A.S.O.R., 125, 1952, PP· 20 — 23.

Naville, E., Festival Hall of Osorkon II, London, 1892.

Nelson, H·, «The Naval Battle Pictured at Medinet Habu» J.N.E.S., 2, 1943, PP. 40 — 55.

«Nims, ch.,» An Oracle Date din the Repeting of Births» J·N.E.S., 7, 1948, PP. 157 — 162.

Noth, M., The History of Israel, London, 1965.

Oesterley, W.O.E., «Egypt and Israel». in Glanville, The

Legacy of Egypt, Oxford, 1947, PP. 218 — 248·

―――――― , and Robinson, A History of Israel, London 1951.

Olmstead, A.T., Western Adsia in the Days of Sargon (722 — 705 B.C.), 1909.

―――――― , Western Asia in the Reign of Sennacherib of Assyria (705 — 681 B·C.) 1911.

Paul, J., A History of The Jews, N.Y., and London, 1987.

Peet, E., Egypt and The Old Testament, Liverpool, 1922.

―――――― , «The Supposed Revolution of the High — Priest Amenhotpe under Ramesses IX», J.E·A., 12, 1026, PP. 254 — 258.

―――――― , «The Chronological Problems of the Twentieth Dynasty»., J.E.A., 14, 1928, PP· 52 — 73.

―――――― , The Great Tomb-Robberies of the Twentieth Egyptien Dynasty, 2 Vols., Oxford, 1930.

Pederson, J., Israel, Its Life and Culture, Copenhagen, 1962·

Petrie, W.M.F., and Tufnell, 0·, Beth Pelet, Vol, 1, London 1930.

Petrie, W.M.F., A History of Egypt from XIXth to XXXth Dynasty III, London, 1906.

————, The Linking of Egypt and Palestine, Antiquit, 4, 1930, PP· 279 — 284.

————, »Gaza» Antiquity, 4, 1930, P. 277.

————, «Links of Palestine and Egypt : A.E. 1935, PP. 143 — 145.

————, Palestine and Israel, Historical Notes, 1934.

Pritchard, J·, New Evidence on the Role of the Sea Peoples in Canaan in the Beginning of The Iron Age, Beirut, 1967.

————, (ed.), Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Iestament, New Jersey, 1969.

Redford, D.B., Akhenaten, The Heretic king, Princeton, 1984.

Ropinson, H., A History of Israel, London, 1932·

Roth, C., A Short History of the Jewish People, London, 1969.

Roux, G., Ancient Iraq, Pelican Books, London, 1964.

Rowe, A., The Topography and History of Beth Shan, Philadelphia, 1930.

Rowley, H.H., «The Problem of the Exodus»., P.E.Q., 90, 1958. PP. 46 — 60.

Sander-Hansen, C.E., Das Gottesweib des Amon, Kopenhagen, 1940.

Schulman, A.R., Diplomatic Marriage in the Egyptian New Kingdom» J.N.E.S., 38 (1979).

————— , «The Curious Case of Hadad the Edomite», Egyptological Studies in Honor or Richard R. Parker, 1986.

Simons, J., Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia, Brill, 1937.

Simpson, D.C., «The Hebrew Book of Proverbs and the Teaching of Amenophis», J.E.A., 12, 1926, PP. 232 — 239.

Smith, E.G., The Royal Mummies, Cairo, 1912.

Spalinger, A., «The Foreign Policy of Egypt Preceeding the Assyrian Conqest»., S.d.E., 53, No. 105, 1978, PP. 33 — 47.

Speiser, E.A., Introduction to Hurrian, New Haven 1940 — 41.

————— , «Akkadian Myths and Epics, Old Babylonian Version» A.N.E.T., 1969.

Spiegelberg, W., «Briefe der 21-Dynastie aus El-Hibe», Z.A.S., 53, 1917, PP. 1 — 30.

Steindorff, G. and Seele, K., When Egypt Ruled the East, Chicago and London. 1957.

Tirard, H.M., «The Solidiers of Ancient Egypt», J.E.A., 2, 1015 PP. 229 — 233.

Trigger, B.G., et al, Ancient Egypt, Social History, Cambridge 1983.

Pphill, E., «The Nine Bows», J.E.O.L., 19, 1965 — 66, PP. 393 — 420.

Vercoutter, J., L'Egypte et Le Monde égéen Prehellenique, Cairo, 1956.

Weigall, A., Histoir de L'Egypte ancienne, Paris, 1968.

Wente, E., «A Letter of Complaint to The Vizier To», J.N.E.S. 20, 1961, PP. 252 — 257.

Wilson, J., The Burden of Egypt, Chicago, 1951.

——————, «Egyptian Historical Texts», A.N.E.T., 1969.

——————, «Egyptian Myths, Tales and Mortuary Texts», A.N.E.T., 1969.

——————, «Egyptian Instructions» A.N.E.T., 1969.

Wainwright, G.A., «El-Hibeh and Esh-Shurafa and Their Connection with Herakleopolis and Cusa», A.E.A.E., 27, 1927, PP. 76 — 104.

——————, «Keftu», J.E.A., 17, 1931, PP. 26 ff.

———— , «Some Sea Peoples and Other in The Hittite Archiver», J.E.A., 25, 1939, PP· 148 — 152.

———— , «Samaria», B.A., 22, No .3 1959, PP. 67 — 68·

———— , «Some Sea Peoples», J.E.A., 47, 1961, PP. 71 — 90.

Winnett, F., and Reed, W., «A Moabite Inscription form Kerak», B·A.S.O.R., 172, 1963, PP. 1 — 9.

Yadin, Y., «The Fourth Season of Excavations at Hazor», B.A. 22, No. 1, 1959. PP. 2 — 19.

———— , The Kingdom of Israel and Judah, London, 1961·

———— , The Art of Warfare in Biblical Lands, London, 1963.

Yoyotte, J., «Note set Documents Pour Servir A L'Histoire de Tanis», Kêmi, 21. 1971, PP. 35 — 52.

———— , «Fouilles a Tanis» Report Sur La XXI re Campagn A.S.A·E., 73, 1973, PP. 79 — 87.

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحة

الفصـل الثـانى :

الفصـل الثـالث :

الموضـــوع	الصفحة

صدر فى هذه السلسلة

١ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.

٢ـ على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.

٣ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.

٤ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.

٥ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.

٦ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.

٧ـ صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.

٨ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.

٩ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

١٠ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.

١١ مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤.

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨.

١٩ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر،
جمال بدوى، ١٩٨٨

٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى
جـ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى ،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩ .

٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بوون،
ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى،
١٩٨٩ .

٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩ .

٢٧ - فتح العرب لمصر جـ١ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد
أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٨ - فتح العرب لمصر جـ٢ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد
أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩ .

٣٠ - الموظفون فى مصر فى عهد محمد على ،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٩ .

٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
فتحى القاضى، ١٩٨٩ .

٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩ .

٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الأفريقى: نظرة على
الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩ .

٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ
مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .

٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠ .

٣٦ - المجتمع الإسلامى والغرب جـ٢ ،
تأليف : هاملتون بوون، ترجمة : د. أحمد
عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .

٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ
الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠ .

٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى
والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .

٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠ .

٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠ .

٤١ - محمد فريد: الموقف والمأساة: رؤية
عصرية ،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .

٤٢ - تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال، ط٢، ١٩٩٠ .

٤٣ - رحلة فى عقول مصرية ،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠ .

٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى
العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١ .

٤٥ - الحروب الصليبية جـ١ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن
حبشى، ١٩٩١ .

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة: د . عبدالرؤوف أحمد عمرو،
١٩٩١ .

٤٧ـ **تاريخ القضاء المصرى الحديث،**
د. لطيفة محمد سالم، ١٩٩١.

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،**
د. زبيدة عطا، ١٩٩١.

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،**
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ـ١٩٥٤)،**
د. سهير اسكندر، ١٩٩٣.

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)، أعدها للنشر: د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،**
د. إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢.

٥٣ ـ **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د. محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢.

٥٤ ـ **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،**
د. محمد عفيفى، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحروب الصليبية جـ٢،**
تأليف: وليم الصورى ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٢.

٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،**
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢.

٥٧ ـ **مصر الإسلامية وأهل الذمة،**
د. سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢.

٥٨ ـ **أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة**
د. إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣.

٥٩ ـ **الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧ـ١٩٦١)،**
د. عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣.

٦٠ ـ **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،**
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣.

٦١ ـ **تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،**
د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.

٦٢ ـ **هؤلاء الرجال من مصر جـ٣،**
لمعى المطيعى، ١٩٩٣.

٦٣ ـ **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية،**
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣.

٦٤ ـ **مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية،**
د. محمد نعمان جلال، ١٩٩٣.

٦٥ ـ **موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ـ١٩١٧)،**
د. سهام نصار، ١٩٩٣.

٦٦ ـ **المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى،**
د. نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣.

٦٧ ـ **مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣.

٦٨ ـ **الحروب الصليبية جـ٣،**
تأليف: وليم الصورى
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٣.

٦٩ ـ **نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ـ١٩٥١)،**
د. محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤

٧٠ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف: أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤.

٧١ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ـ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة: د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.

٧٢ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨ـ٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.

٧٣ـ تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.

٧٤ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.

٧٥ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د. سلام شافعى محمود، ١٩٩٥.

٧٦ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.

٧٧ـ الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف: وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٤.

٧٨ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ـ١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.

٧٩ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف: فريد دى يونج، ترجمة: عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥.

٨٠ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ـ١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.

٨١ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزى ميخائيل، ١٩٩٥.

٨٢ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٣ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٤ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.

٨٥ـ تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ـ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥.

٨٦ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥.

٨٧ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥.

٨٨ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥.

٨٩ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.

٩٠ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.

٩١ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.

٩٢ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ - قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ - العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى - الرومانى) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى،
اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧.
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).
د. سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ - مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش

١٠٩ - مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش

١١٠ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.
د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ - إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ - الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ - دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ ٣.
أحمد شفيق باشا.

١١٦ ـ أديب إسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد

١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى

١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د. البيومى إسماعيل الشربينى

١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ـ برديات من التاريخ المصرى الحديث
لويس جرجس

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد العطاوى

١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش

١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن
د. محمد نعمان جلال

١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش

١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨).
إبراهيم محمد محمد إبراهيم .

١٢٨ ـ معارك صحفية.
بقلم/ جمال بدوى.

١٢٩ ـ الدين الشام (وأثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦-١٩٤٣).
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).
سمير فريد.

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م.
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر.

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ١.
د. ماجدة محمد حمود.

١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر جـ٢
د. ماجدة محمد حمود.

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للفارندلى.
بقلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغنى.

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية
(فى ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر
السيد يوسف

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ/ ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك.
لطفى أحمد نصار

١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق . م
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م)
د. منيرة محمد الهمشرى
١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ حسن البنا متى.. كيف ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزى
ترجمة / نسيم مجلى
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية
فى القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطى
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. مجاسن محمد الوقاد
١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية فى العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزورى
١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق
١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
فى العصر الإسلامى
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
فى العصر الإسلامى والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغنى الأشقر
١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثانى
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار فى السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوى
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧م.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغير الاجتماعى فى مصر
(فى القرن التاسع عشر)
سامي سليمان محمد السهم

١٦٦- مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ مصر)
السيد يوسف

١٦٧- الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله

١٦٨- مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسرى عبد الغنى

١٦٩- مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ - ٥٦٧هـ / ٦٤٢ - ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله

١٧٠- القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)
مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١- تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر
القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت

١٧٢- تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٣- تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية
(من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٤- مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م
د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥ - محمد توفيق نسيم باشا ودوره فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل

١٧٦ - الملاحة النيلية فى مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان

١٧٧ - سياسة مصر العسكرية
ازاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم

١٧٨ - العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر
د. عمر على عافى

١٧٩ - دور الطائفة العثمانية فى تاريخ مصر
(١٥٦٤ - ١٦٠٩ م)
د. عفاف محمد السيد السيد

١٨٠ - الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم الشركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان

١٨١ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٢ - الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٣ - شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة

١٨٤ - النوبية فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق

١٨٥ - تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى
د. أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٦ - العقائد الدينية فى مصر الاسلامية (بين الاسلام والتصوف)
د٠ احمد صبحى منصور

١٨٧ - نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م/ ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) ج ١
د٠ عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ - نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ - ١٥١٧ م/ ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ) ج ٢
د٠ عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ - يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م
عرفه عبده على

١٩٠ - العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ - ١٩٦٣م)
د٠ عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبى

١٩١ - اليهود فى مصر العثمانية حتى اوائل القرن التاسع عشر ج ١
د٠ محسن على شومان ٠

١٩٢ - اليهود فى مصر العثمانية حتى اوائل القرن التاسع عشر ج٢
د٠ محسن على شومان ٠

١٩٣ - الامام محمد عبده (بين المنهج الدينى والمنهج الاجتماعى)
د٠ عبد الله شحاته

١٩٤ - تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية
د٠ فتحى الصنفاوى

١٩٥ - مجتمع افريقيا فى عصر الولاة
د٠ نريمان عبد الكريم أحمد

١٩٦ - تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ - ١٩١٤ م)
عبد العظيم محمد سعودى

١٩٧ - القدس الخالدة
د٠ عبد الحميد زايد

١٩٨ - العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية
د٠ عادل عبد الحافظ حمزة

١٩٩ - المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية
د. بهاء الدين ابراهيم محمود

٢٠٠ - تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور
(أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع كلية الآداب - جامعة الاسكندرية من ٢٢ - ٢٣ أبريل ١٩٩٨) .
اعداد : د. عبد العظيم رمضان

٢٠١ - امارة الحج في مصر العثمانية
(٩٢٣-١٢١٣هـ / ١٥١٧-١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر

٢٠٢ - المندوبون الساميون في مصر
د. ماجدة محمد حمود

٢٠٣ - الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى أبو طالب

٢٠٤ - العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا
(١٩٣٥ - ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى

٢٠٥ - تاريخ الغربية وأعمالها في العصر الاسلامى
(٢١ - ٥٦٧هـ / ٦٤٢ - ١١٧١م)
السيد محمد أحمد عطا

٢٠٦ - مصر للمصريين ج ٩
سليم خليل النقاش

٢٠٧ - الظاهر بيبرس
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

٢٠٨ - الدور المصرى والعربى في حرب تحرير الكويت ج ١
لواء / د. كمال أحمد عامر

٢٠٩ - الدور المصرى والعربى في حرب تحرير الكويت ج ٢
لواء / د. كمال أحمد عامر

٢١٠ - قبرص والحروب الصليبية
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

٢١١ - امارة الرها الصليبية
د. علية عبد السميع الجنزورى

٢١٢ - العامة في مصر في العصر الأيوبى
(٥٦٧ - ٦٤٨هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م)
شلبى ابراهيم الجعيدى

٢١٣ ـ الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى وأثرها السياسى والاقتصادى والاجتماعى (٦٤٨ هـ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ـ١٥١٧م)
عثمان على محمد عطا

٢١٤ ـ الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى
د٠ علية عبد السميع الجنزورى

٢١٥ ـ الفتح الاسلامى لمدينة كابول (٣١هـ / ٦٥١ م)
د٠ اصلاح عبد الحميد ريحان

٢١٦ ـ الراسمالية الأجنبية فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٥٧)
الجزء الأول
د٠ فرغلى تسن هريدى

٢١٧ ـ العيب فى الذات الملكية (١٨٨٢ ـ ١٩٥٢)
د٠ سيد عشماوى

٢١٨ ـ اقليم الغربية فى عصر الأيوبيين والمماليك (٥٦٧ ـ ٩٢٣ هـ/١١٧١ ـ ١٥١٧ م)
د٠ السيد محمد احمد عطا

٢١٩ ـ ثورة ١٩١٩ فى ضوء مذكرات سعد زغلول (١٩٥٣ ـ ١٩٦١) ٠
د٠ عبد العظيم رمضان

٢٢٠ ـ التنظيمات السياسية لثورة يوليو
د٠ حمادة حسنى أحمد محمد

٢٢١ ـ حرب النهر
ونستون تشرشل ٠ ترجمة عز الدين محمود

٢٢٢ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق٠م الجزء الأول
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٣ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق٠م ، ج ٢
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٤ ـ الدور الوطنى للكنيسة المصرية عبر العصور
(اعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة)
اعداد وتقديم ا٠د٠ عبد العظيم رمضان

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠٣/٥٤٦٠
ISBN — 977 — 01 — 8446 — 2